وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

بنية الخبر في كتاب الفصوص
لصاعد البغدادي (ت٤١٧هـ)

رسالة تقدمت بها الطالبة

صفاء عبد الكاظم حسين الشمري

الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة ذي قار

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.م.د رائد حميد مجيد البطاط

١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

Thi_Qar University

College of Education

The structure of the narration

In the book the AlFossos to Said Albaghdady

A thesis

Submitted to the College of Education

Thi- Qar University

In Partial Fulfillment of the requirements

For the degree of Master of Arts

In
Arabic language and literature

By

Safaa Abdulkadhim Hussein

Supervised by

Dr · Raed Hameed Majeed

٢٠١٤ A . D ١٤٣٥ A . H

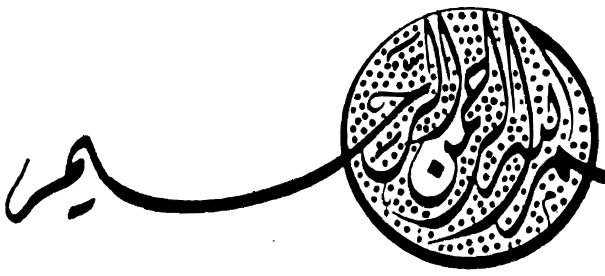

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة النمل : الآية ١٩)

إقرار المشرف

أشهد انّ إعداد هذه الرسالة الموسومة (بنية الخبر في كتاب الفصوص لصاعد البغدادي) للطالبة (صفاء عبد الكاظم حسين) جرى تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ذي قار ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

الإمضاء :

المشرف : أ.م .د رائد حميد البطاط

التاريـــخ : / / ٢٠١٤م

بناءً على التوصيات أرشح هذه الرسالة إلى المناقشة .

الإمضاء :

الاســـــم : أ.م.د. رافد مطشر السعيدان

رئيس قسم اللغة العربية

التاريـــخ : / / ٢٠١٤م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة انَّنا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (بنية الخبر في كتاب الفصوص لصاعد البغدادي (ت٤١٧هـ)) ، لطالبة الماجستير (صفاء عبد الكاظم حسين الشمري) ، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونعتقد أنَّها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، وبتقدير ( ) .

التوقيع :
أ.د. رياض شنته جبر
رئيس لجنة المناقشة
التاريخ :

التوقيع :
أ.م.د. رعد أحمد علي
عضواً
التاريخ :

التوقيع :
أ.م.د. عواد كاظم لفته
عضواً
التاريخ :

التوقيع :
أ.م.د. رائد حميد مجيد البطاط
عضواً ومشرفاً
التاريخ :

صادقها مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ذي قار

التوقيع :
أ.د. نعيم كريم عجيمي
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية
التاريخ :

الاهـــــــداء

✍ . . . إلى من نُدِبت فجادت سيدتي ومولاتي أم البنين (عليها السلام) .

ومن بعده . .

✍ . . . الى عائلتيّ الكريمتين وفاءً لما بذلتاه من أجلي .

✍ . . . الى أبي منتظر وفاءً لسعة صدره ودعمه الذي رافقني دائما .

✍ . . . الى مهجتيّ منتظر وحيدر أصلحهما الله وجعلهما ذخراً لي في الدنيا والآخرة .

أهدي لهم جميعاً ثمرة جهدي . . .

الباحثـــة

الشكر والعرفان

لزاما عليّ شكر الخالق قبل الخلق ، فأشكر المنعم -جلّ جلاله- عدد الرمل والحصى وزنة العرش والثرى على نعمة توفيقه لإتمام هذا العمل الذي ما كان له أن يكون لولا عناية الله وتوفيقه .

ولا يسعني إلا أن اشكر بعد الله عزّ في علاه من بذل لي جهده وأعطاني الكثير من وقته ، ومدّ يد العون نصحا و توجيها الأستاذ المشرف رائد حميد البطاط الذي اقترح الموضوع وراقبه وهو يتحول من فكرة الى حقيقة ، كما أشكره على سعة الحرية التي منحني اياها ، و ما منحني من غزارة علمه ، وسماحة نفسه ، ورحابة صدره التي اتسعت لأسئلتي وفوضى كلماتي فجزاه الله عني خير الجزاء .

وحبل الشكر موصول -إذ لا يكفي الاهداء- لعائلتيّ الكريمتين وزوجي الفاضل وكلّي عجز أن أوفيهم جزءا مما قدموا لي .

ويقتضي الوفاء أن اقدم شكري وتقديري لرئاسة قسم اللغة العربية متمثلة بالأستاذ المساعد الدكتور رافد مطشر السعيدان ، والى أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم في مرحلتي البكالوريوس والماجستير فقد مدّوا لي يداً ملؤها العطاء لا أستطيع مكافئتهم عليها إلا بالدعاء .

وأرق معاني الشكر والامتنان أقدمها الى أخواتي وزميلاتي في قسم اللغة العربية أ.م أزهار فنجان و م.م حنان بندر و م.م ميادة عبد الامير و م.م أزهار علي و م.م لمى شمخي و م.باحث منال فالح والاخت هند كامل فلهن مني جميعا كل شكر وتقدير.

وأخيرا كلمة شكر أقولها الى موظفي مكتبة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية ومكتبة كلية التربية للعلوم الانسانية ، والى كل من وقف معي بقلبه ولسانه وليعذرني الآخرون إن نسيتهم .

الباحثة

Abstract

Al-serdya represented wide area in the literature studying in order to reveal the internal rules that it ruled of the components which it consists of it .

The stories hold the important culture at Arabic . Characterized by its diversity and inclusiveness , through in the book "Al-fossos" to the baghdadian . but it did not hold by the studying only the studying the researcher Ibrahim bin Ali .

This studying is divided in to three chapters preceded by introduction and grading and it is followed with a conclusion and the references .

The preface involved three parts ,the first part explained the term of tale in the language .while the second part involved the life of author and his books and the third part explained the book "Al-fossos" through it approach the first chapter specialized the studying of the parts the content of the tale .

This chapter divided into four parts . the first part involved the content as part .the second part involved part of the beginning .the third part involved the interference between the poetry and prose . the fourth part involved the conclusion.

The second chapter involved study elements of the tale which it divided into three parts .the first part involved the study

of the chapter while the second part involved what had been mentioned and the third part the levels of the tale .

Finally, the third chapter involved the study elements narration in certain space .

That involved two parts ,the first part which called the time which explained the review and the presenting of the subjects into other .this part presented four elements (the abstract , omitting) and (conversation and description).the second part involved the place .

After that ,I have been written the conclusion which it involved the result and lists of the references .

I used the analysis approach in side of narration approach.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – ج
التمهيد : مؤلف الكتاب ومفهوم الخبر	١ – ١١
أولا: صاعد البغدادي	٢
ثانيا: كتاب الفصوص	٤
ثالثا : مفهوم الخبر	٩
الفصل الأول:انساق بناء النص الخبري	١٢ – ٧١
المبحث الأول: نسق الاسناد	١٣
المبحث الثاني: نسق الاستهلال	٢٨
المبحث الثالث: نسق التداخل النصي الشعري	٣٨
المبحث الرابع: نسق الخاتمة	٦٢
الفصل الثاني: اركان النص الخبري	٧٢ – ١٣١
المبحث الأول: الراوي	٧٣
المطلب الأول: انماط الراوي	٧٥
اولا : الراوي الممسرح	٧٥
ثانيا : الراوي غير الممسرح	٨١
ثالثا: الراوي شبه الممسرح	٨٤
المطلب الثاني: وظائف الراوي	٨٧
المبحث الثاني : المروي	٩٠
المطلب الأول: الشخصية	٩١
طرائق تقديم الشخصية	٩٣
أولا : الاخبـار	٩٣

ثانيا : الكشف	٩٥
انماط الشخصيات	٩٨
الشخصية النامية	٩٨
الشخصية الثابتة	١٠١
المطلب الثاني : الحدث	١١١
انساق بناء الحدث	١١٢
النسق المتتابع	١١٢
نسق التضمين	١١٥
النسق الدائري	١١٨
نسق التكرار	١٢١
نسق التداخل	١٢٣
المبحث الثالث : المروي له	١٢٥
انماط المروي له	١٢٦
المروي له الممسرح	١٢٦
المروي له غير الممسرح	١٢٩
الفصل الثالث : الفضاء	**١٣٣- ١٨٠**
المبحث الاول : الزمان	١٣٣
الزمن الطبيعي	١٣٤
الزمن النفسي	١٣٦
تقنيات الزمن	١٤١ -١٦٦
الترتيب	١٤١
الاسترجاع	١٤١
الاستباق	١٤٦
المدة	١٥١
تسريع السرد	١٥١

الخلاصة	١٥٢
الحذف	١٥٥
ابطاء السرد	١٥٨
الحوار	١٥٨
الوصف	١٦٢
المبحث الثاني : المكـــان	١٦٧
انماط المكان	١٦٨
المكان الاليف	١٦٩
المكان المعادي	١٧٢
المكان المفتوح	١٧٤
المكان المغلق	١٧٦
الخاتمة	١٨١ – ١٨٤
قائمة المصادر والمراجع	١٨٥ –٢٠٣
ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية	A-B

المقدمة

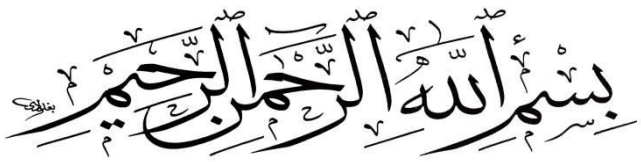

المقدمة

الحمد لله الذي علم الانسان مالم يعلم ، وميّزه عن سائر المخلوقات ليفهم ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة ومنقذ الامة ، وعلى آله الأخيار المصطفين الأبرار ٠

وبعد ٠٠٠

شغلت السردية في الآونة الأخيرة مساحة واسعة في الدراسات الأدبية وما زالت الخطى حثيثة في هذا الاتجاه ، متخذة من الأجناس المختلفة مادة لها ، في محـــاولة للكشف عن القوانين الداخلية التي تحكم تلك الأجناس ، والعناصر الأساسية التي تتكون منها ٠

إنّ إستئثار الخبر بحيز مهم من رصيد الثقافة العربية دفعنا الى معاينة مـــادة معرفية إبداعية إنتمت الى مضان الثقــافة العربيـــة الإسلامية ، وإنمازت بتنوعها وشموليتها ، وقد تمثلت هذه المادة بكتاب الفصوص للبغدادي ، إذ سعت الدراسة الى الوقوف على بنية الخبر فيه ٠

وعلى الرغم من أهمية الكتاب وموسوعيته وإشتماله على كم هائل من المعارف إلا أنه لم يحظ – على قدر إطلاع الباحثة – بدراسة أكاديمية سوى دراسة الباحث إبراهيم بن علي عسيري والموسومة بـ(المسائل النحوية والصرفية في كتاب الفصوص) ٠ ولعل هذا ما دفع الباحثة الى دراسة الكتاب وتفكيك بنية أخباره٠

وقد شُيّد بناء هذه الدراسة على ثلاثة فصــول يسبقها مقدمة وتمهيد ويليها خــاتمة وثبت بالمصادر والمراجع ،أمّـا التمهيد فقد توزع على ثلاثة محاور ، تناول الأول نبذة مختصرة عن حيـاة المؤلف وأبرز شيوخه ومؤلفـاته ، على حين تناول المحور الثـــــاني كتاب الفصوص من حيث منهجية تأليفه والمعارف المنضوية فيه ، وجاء المحور الثالث ليسلط الضوء على مفـهوم الخبر وفيه تم التعريف بالخبر لغة واصطلاحا ، فضلاً عن جهود الدارسين في تحديد ملامحه التي تميزه عن غيره من الاجناس ٠

ثم جاء الفصل الأول الذي خُصص لدراسة أنساق بناء النص الخبري ، وقد قُسّم على أربعة مباحث تناولت في الأول منها نسق الاسناد بعدّه جزءا من أجزاء الخبر والتعرف على وظيفة هذا الجزء ٠ على حين جاء المبحث الثاني ليتناول نسق الاستهلال وفيه تطرقت الى أنواع الاستهلالات التي تبتدأ بها فصوص البغـــدادي الاخبــارية ٠ ونتيجة لكثرة التواجد الشعري في النصوص النثرية الخبرية جاء المبحث الثالث ليتناول نسق التداخل النصي الشعري وصور هذا التداخل ، وأخيرا جـــاء المبحث الرابع تحت عنوان نسق الخاتمة وفيه وقفت على أنواع الخاتمة في الأخبار ٠

بعد ذلك جاء الفصل الثاني لدراسة عناصر بناء النص الخبري والذي قسم بدوره على ثلاثة مباحث ، خُصص الأول لدراسة الـــــراوي والتعرف على أنواعه ووظائفه ،على حين خُصص المبحث الثاني لـــدراسة المروي ، وقد إقتضت الـــدراسة تقسيم هذا المبحث على مطلبين ، الاول درست فيه الشخصيـــة وعرضت أنواعها وأشكال حضورها في أخبـــار ، البغدادي وتناولت في المطلب الثاني الحدث وأنساق بنائه ٠

وجاء المبحث الثالث لدراسة المروي له ، تناولت فيه مستويات تواجد المـــــروي له في النص الخبري ٠

وأخيرا وظّف الفصل الثـــالث لدراسة اطار العناصر السردية وهو الفضاء ، وقد إشتمل هذا الفصل على مبحثين ، جـــاء الأول تحت مسمى الزمان، تناولت فيه مستويات الســـرد الزمنية متمثلة في مستوى الترتيب الذي ضم تقنيتي الإسترجاع والاستبـــاق ، ومستوى المدة الذي اشتمـــل على اربع تقنيات زمنية اثنتان منهما لتسريع الســـرد وهما (الخلاصة والحذف) واثنتان لتبطئته وهما (الحوار والوصف) ٠ ودرست في المبحث الثاني بناء المكـــان وأهميته وعرّفت بأنواعه إعتمادا على ثنائية (الأليف / المعادي)،(المغلق /المفتوح)٠

بعدها أنهيت دراستي بخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثمّ قائمة بالمصادر والمراجع التي إعتمدتها الدراسة٠

وقد إعتمدت هذه الدراســة على المنهج التحليلي السردي ، المنفتح على المنــاهج الأخرى ، إذ تعاضدت النفسية والاجتماعية والتأريخية وغيرها في إستكمال التحليل السردي٠

ولا بدّ من الإشارة والتوضيح للقارئ إنّ هذه الدراسة قد إعتمدت في مضانها على مصادر كثيرة في الرواية والقصة ، لسببين الأول قلّة ما كُتب عن الأعمال السردية القديمة وبالأخص الأخبار ، والآخر إنّ هذه المصــادر الحديثة فصّلت القول في تقنيــات البنيات الســـــردية للحكي ٠

أمّا الأمر الآخر الذي أريد أن أنوه عليه هو إقتصار الباحثة على ترجمة بعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في متن الرسالة أو الأخبار لعدم إثقال الهامش من جهة ، ولأنّ بعضها الآخر لم نجد له ترجمة في كتب الرجال أو تراجم الأعلام ٠

وإذا كان لابدّ من ذكر أهم المصادر التي إعتمدتها الدراسة فهي كثيرة ، تتولى قائمة المصادر والمراجع بيانها ، إلا أننا أخذنا إفادة من كتاب الخبر في الأدب العربي لمحمد القاضي ، وكتاب الخبر في السرد العربي(الثوابت والمتغيرات) لسعيد جبار ، وكتاب السرد العربي القديم لإبراهيم صحراوي ٠

وعلى الرغم من من صعوبة دراســـة النصوص السرديــة القديمة وفق منــاهج حديثة كالمنهج السردي ، إلا أنّ الباحثة قد أخذ بيدها استـاذ جليل القــدر ، بصير بالبحث وطرقه ، فأفاض عليه من غزير علمه وسديد تجربته وكريم أخلاقه ، فلم يبخل بنصيحة ولم يدّخر معلـــومة تفيد البحث، فرافق الباحثة استاذا موجّها ومقوّما وأخا كريما فجزاه الله عنــي كل خير ٠

وختاما آمل أن تُسهم هذه الدراسة في تقديم معرفة متواضعة في حقل الدراسات الادبية ، وألتمس العذر إن أخطأت أو قصّرت ، ولكن حسبي إني إجتهـدت وحاولت ، فان أصبت فبفضل من الله ، وإن أخطأت فعذري إني بشر والكمال لله وحده٠

التمهيـــــــد
مؤلف الكتاب ومفهوم الخبر

أولا : صـــــاعد البغدادي

ثانيا : كتـــــاب الفصوص

ثالثا : مفـــــهوم الخبـــر

أولا :صاعد البغدادي

على الرغم من أنّ محقق كتاب الفصوص الدكتور عبد الوهاب التازي قد أفرد كتاباً كاملاً تحدث فيه عن صاعد البغدادي بشكل مفصل[١] .إلا أننا إرتأينا أن نضمّن هذه الدراسة شيئاً عنه .

هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الملقب بالـــــــــبغدادي [٢] . ولم تُقدِّم المصادر أية إشارة عن مولده ، إلا أنّ التازي وإستناداً إلى حقائق وأحداث عرضها في كتابه ، يرى أنّ ولادته تنحصر بين عامي (٣٢٩ ـ ٣٣٠ هـ)[٣] .

عاش نحو ثلاثين سنة من عمره في بغداد ، ثم رحل إلى الأندلس بســـبب الفتن التي ظهرت في العراق بعد موت عضد الدولة البويهي [٤] .

وكان صاعد البغدادي عالماً ملماً بالعديد من العــلوم كاللغة والآداب والأخبار، ويدل على ذلك تنوع مادة فصوصه . كما عُرف بسرعة الجواب ، وطيب المعاشرة ، ومتعة المجالس ، وروح المرح ، وحب المزاج [٥] .

فضلاً عن ذلك تظهر في شخصية صاعد شخصية النـــــــديم التي تخالط شخصية الأديب والمحاضر ، وتتميز شخصية صاعد النديم بالبراعة في المحاورات ، والزاد الثقافي وسرعة البديهية [٦] .

---

[١] يُنظر صاعد البغدادي حياته وأثاره : عبد الوهاب التازي : ٩٩ ـ٢١٠.
[٢] يُنظر معجم الأدباء : ياقوت الحموي : ٣ / ٤١٥ ـ ٤١٦ ، وفيات الأعيان : ابن خلكان : ١ / ٤٢١ ، معجم المؤلفين : عمر رضا : ١ / ٨٢٧ ، جذورة المقتبس : الحميدي : ٣٤٥ ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : أبو الحسن علي بن بسام : القسم الرابع ، مج ١ : ١٥ ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس : الضبي : ٣١٩ ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المغربي : ٧٥ .
[٣] يُنظر صاعد البغدادي حياته وأثاره : ٩٨ .
[٤] يُنظر المصدر نفسه : ١٠٩ .
[٥] يُنظر جذوة المقتبس : ٢٢٣ .
[٦] يُنظر تحقيق كتاب الفصوص لصاعد البغدادي قراءة في المنهج : محمد رضوان الداية ، (بحث) : ٣٧٥ .

وقد تتلمذ البغدادي على يد أشهر الشيوخ ، ومنهم أبو ســــــعيد السيرافي وأبو علي الفارسي والرماني[١].

ولم يقتصر البغدادي في تأليفه على كتاب الفصوص بل نجد له مؤلفات أخرى منها كتاب الجوّاس وكتاب الهجفجف [٢] .

ونتيجة لما عرف به البغدادي من صفات ، تدل على حــــــــسن خلقه وعلمه وشدة فصاحته وحسن معاشرته ، قرّبه الوزير المنصور ونادمه وحضي بمكانة مرموقة لديه [٣] .

خرج صاعد البغدادي من الأندلس متجهاً إلى صقلية فتوفي بها سنة ٤١٧ هـ [٤] .

---

[١] يُنظر كتاب الفصوص : صاعد البغدادي : ١ / ٣١ ، ٣١٧/٣ ، أبوسعيد بن عبد الله بن المرزبان القاضي السيرافي النحوي ، له شرح كتاب سيبويه وأخبار النحاة البصريين وغيرها ٠يُنظر : بغية الوعاة :١/ ٥٠٧ ٠، أبو علي الفارسي هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد ، من علماء العربية ، الرماني هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، امام في العربية والأدب في طبقة الفارسي والسيرافي ، له عدة مؤلفات منها شرح اصول ابن السراج ٠يُنظر : بغية الوعاة: ١٨٠/٢ ٠

[٢] يُنظر معجم الادباء : ٣ / ٤١٧ .

[٣] يُنظر صاعد البغدادي حياته وآثاره :١٢٠ -١٢١ ٠

[٤] يُنظر المصدر نفسه : ١٣٩ ـ ١٤٠ .

ثانيا : كتاب الفصوص :

يُعدُّ كتاب الفصوص من الكتب الموسوعية التي تضم بين طيّاتها مختلف المعارف . إذ تتنوع المادة المضمّنة فيه بين القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والأخبار ، والأشعار ، والمواعظ ، والحكم ، بالإضافة إلى المسائل النحوية ، واللغوية ، والصرفية ، والعروضية . فهو ((صورة مكتملة لأدب المزاوجة بين الفائدة والمتعة))[١] .

وقد سمي كتاب الفصوص بهذا الاسم نسبة إلى الأحجار الـــــكريمة الثمينة ، إذ اختار البغدادي هذه التسمية للدلالة على قيمة ما يتضمنه الكتاب من المعارف الثمينة والنادرة [٢] .

لقد كان تأليف كتاب الفصوص من قبل البغدادي نوعا من الـتحدي لعلماء الأندلس ، الذين كانوا يُظهرون عدم حاجتهم لعلوم المشرق . خاصة تلامذة أبي علي القالي [٣]. ويمكن القول إنّ شرارة الإبداع في تأليف الفصوص ، قد توقّدت بعدما عرض عليه المنصور كتاب الامالي لأبي علي القالي فقال له : ((إذا أراد المنصور أمليت على مُقتدي خدمته ، وكتاب دولته كتاباً أرفع منه قدراً ، وأجل خطراً ، لا أُدخل فيه خبراً مما أدخله أبو علي . فأذن له المنصور في ذلك))[٤] .

ونتيجة لإبداع البغدادي في تأليف فصوصه إستاء علـــــماء الأندلس من ذلك ، فأمر المنصور ابن أبي عامر بإغراق كتاب الفصوص في النهر[٥]، ((وفي ذلك يقول أحد شعراء العصر :

قَدْ غاصَ في البحرِ كتاب الفصوص

وهكـــــــــــــذا كلَّ ثقيل يغوص

---

[١] صاعد البغدادي حياته وآثاره : ٢٦٨ .
[٢] يُنظر المصدر نفسه : ٢٣١ ـ ٢٣٢ .
[٣] يُنظرالمصدر نفسه: ٣٢١.
[٤] يُنظرالذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : مج ٤: ١٥ .
[٥] المصدر نفسه والصفحة.

فأجابه صاعد بقوله:

عادَ إلى مـــــــــــــعدَنِهِ إنّما

توجد في قعرِ البـــــحارِ الفصوص))[١] .

لقد إستقى البغدادي مادة كتابه من مصادر متعددة يمكن إجمالها بالآتي :[٢]

١ ـ القران الكريم .

٢ ـ الحديث النبوي الشريف .

٣ ـ أشعار العرب .

٤ ـ مخطوطات العلماء كالأصمعي والفراء وسيبويه وغيرهم .

٥ ـ المرويات الشفاهية التي أخذها من فصحاء العرب كمرويات شيخه السيرافي وأبي علي الفارسي وغيرهم .

٦ ـ المصادر المخطوطة ككتب التفسير ، ومعاني القرآن وكتاب الحماسة وغيرها .

لم يتّبع البغدادي في تأليف كتابه منهجاً معيناً ، ولم يُقسّـم فصوصـــه على أجزاء تتعدد بتعدد مادتها ، بل ينتقل بالقارئ بين القرآن والحديث والشعر والشروح اللغوية والمسائل النحوية وغيرها من الموضوعات ، فضلاً عن ذلك نجد بعض الفصوص تتضمن معارفاً مختلفة، على حين نجد بعضها الآخر يقتصر على علم واحد ، وبذلك يمكن القول إنّ فصوص البغدادي ((لا تخضع في توزيعها إلى منهج واضح ثابت))[٣] .

إلا أننا نلحظ إلى جانب ذلك وجود بعض الإنتظام بين بعـــــض الفصوص من حيث تقارب موضوعاتها ، فمثلاً في الفص (٤٦) يورد البغدادي خبر مرقش مع إبنة عمه أسماء [٤] . ويقوده ذلك في الفص اللاحق إلى شرح بيتين قالهما المرقش [٥] .

---

[١] الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة: القسم الرابع ، مج ١ : ١٦ .
[٢] يُنظر المسائل النحوية والصرفية في كتاب الفصوص : إبراهيم بن علي عسيري ، (أطروحة دكتوراه) : ٢٨ ـ ٢٩ .
[٣] صاعد البغدادي حياته وآثاره : ٢٣ .
[٤] يُنظر كتاب الفصوص : ١ / ١٥٧ ـ ١٦٣ .
[٥] يُنظر المصدر نفسه : ١ / ١٦٣ .

يتكون كتاب الفصوص من سبعمائة وثلاثة وستين فصاً ، تنوعت من حيث الطـــول فمنها ما لا يتجاوز بضعة أسطر ، ومنها يتعدى بضعة صفحات . وفضلاً عن هذا التنوع الكمي نجد تنوعاً موضوعياً . فد ضمن البغدادي فصوص ـ كما أشرنا ـ معارفاً متنوعة يمكن أن نجملها بالآتي :[١]

١ ـ فصوص الآيات القرآنية : إيماناً من البغدادي بأهمية القران الكريم وجلالته ، أفتتح كتابه بفص بناه على تفسير آية قرآنية . ، فضلاً عن الآيات التي يستعين بها أثناء الشروح . وقد تميزت فصوص الآيات بطولها قياساً بالفصوص الأخرى ، إذ يعرض فيها البغدادي الجوانب اللغوية والنحوية والصرفية والقراءات المتعددة [٢] .

٢ ـ فصوص الاحـــاديث النبوية : لقد رصّع البغدادي فصوصه بالاحاديث النبوية الشريفة ، أُختير بعضها للحديث عن معناه ، وبعضها الآخر لما يتضمنه من مســـائل يُراد مناقشتها [٣] .

٣ ـ فصوص المواعظ والحكم والأمثال : تميز هذا النوع من الفصوص بقلته قياساً بالأنواع الأخرى ، ولعلّ هذا عائد إلى ما عُرف به البغدادي من مزاج وهزل ، إلا أنّ البغدادي جاء بها من أجل التنوع في الموضوعات كغيره من الكتب [٤] .

٤ ـ فصوص الأخبار :إنّ شيوع أدب السمر في القرن الرابع ، والمكانة التي تبؤها البغدادي في الأندلس عندما أصبح نديماً للملوك والأمراء . أدّى ذلك إلى سرده كثير من الأخبار والقصص ، وقد إنعكس ذلك على كتابه ، إذ نجده زاخراً بالأخبار [٥] .

٥ ـ فصوص الطرائف والملح : وهي الفصوص التي أراد البغدادي بها تسلية القارئ . ولعل أهم ما يميز هذه الفصوص امتزاج الجد والهزل فيها [٦] .

٦ ـ فصوص الهزل والمجون : وهي القصص التي يميل فيها البغدادي إلى الإضحاك الصريخ ، وهو نتاج طبيعة البغدادي الهزلية التي عُرف بها ، فضلاً عن سيادة هذا النوع

---

(١) يُنظر صاعد البغدادي حياته وآثاره : ٢٤٣ ـ ٢٧٨ .
(٢) يُنظر مثلاً كتاب الفصوص : ١ / ٣٤ ، ١ / ٥٢ ، ١ / ١٧١ .
(٣) يُنظر المصدر نفسه :١٤٥/٢ ، ٥/ ٢٥٧ ، ٥/ ٣٠١ .
(٤) يُنظر المصدر نفسه :٢/ ١٠٩ ، ٤/ ٢٠ .
(٥) يُنظر المصدر نفسه :١/ ٧٠ ، ٢٧٠/٤ ، ٢٩٣/٥ .
(٦) يُنظر المصدر نفسه :٢٢٣/٢ ، ١٨/٤ .

من الأدب آنذاك [١] .

٧ ـ فصوص المختارات الشعرية : لقد حفل كتاب الفصوص بعدد غير قليل من الأشعار، التي ضمنها البغدادي فصوصه أو أفرد لها فصوصاً خاصة بها . إذ نجده تارة يذكرها لذاتها ، وتارة أخرى لتفسير معناها أو شرح غريبها . ولم يقتصر البغدادي على شعر عصر بعينه بل نجده يذكر الشعراء من العصور المختلفة [٢] .

٨ ـ فصوص المختارات الأدبية (النثرية) : وهي قليلة جداً إذا ما قيست بالمختارات الشعرية وتتضمن الرسائل والخطب [٣] .

٩ ـ الفصوص اللغوية والنحوية والصرفية المتواجدة في الفصوص التي يذكرها [٤] . وقد جمع في هذه الفصوص بين ما سمعه من شيوخه ، وما نقله من العلماء ، وبين ما كان إجتهاداً منه .

١٠ ـ فصوص العروض والقوافي : لم يغب علم العروض عن فصوص البغدادي بل نجد له حضوراً واضحا ،فقد ضمنه البغدادي كتاب القوافي للمازني [٥] .

إنّ الناظر لفصوص البغدادي يعجب حقاً من غناها وتنوعها ، ويـــــرى في مؤلفها شخصية موسوعية علمية ، إلا أنّ أدق المواصفات التي يمكن أن يوصف بها كتاب الفصوص ((إنه كتاب أخبار وأشعار))[٦] . إذ يَغلب هذان النوعان ويطغيان على غيــرهما .

وتعد فصوص الأخبار مزيجاً من التاريخ والقصص والإسمار والخــرافة والطرائف والملح ، وترد للإمتاع والتسلية ، أو للاعتبار والاتعاظ، كما تتضمن شروحاً لغوية إذ جعلها البغدادي مصدراً للمتعة والتسلية معاً .

فمثلاً الأخبار ذات الطابع التاريخي تناولت أخبار الجاهلين وأخبار الصحابة وأخــبار

---

[١] يُنظر كتاب الفصوص : ١٥٤/١ ، ١٣٠/٤ ، ٢١/٤ .
[٢] يُنظر المصدر نفسه : ١ / ١٦٣ ، ٢٥٣/٣ ، ٤/٥ .
[٣] يُنظر المصدر نفسه :١٣٤/٤ ، ٢٩٠/٣ .
[٤] يُنظر المصدر نفسه :٢/ ٢٩٤ ، ٢٧٥/٢ ، ٢٥٧/٤ .
[٥] يُنظر المصدر نفسه :١٦٥/٥ ــ ٢٢١ .
[٦] صاعد البغدادي حياته وآثاره :٢٥٠ .

عصر بني أمية والعباس ، أما أخبار القصص والأسمار ، فتتميز بالمتعة والأنس وغلبة الخيال على الحقيقة ، وعلى الرغم من تواجد الخيال في هذه الأخبار ، إلا أننا نلحظ ندرة الخرافة فيها ، إذ أورد البغدادي فصاً خرافياً واحداً [١] ، ولعل هذا عائد إلى إحساسه بعدم مناسبة هذا النوع من الأخبار مع مجالس الأندية العلمية [٢] .

وبالإضافة إلى هذا التنوع في مضامين الأخبار في كتاب الفـصوص ، نجدها تتنوع من حيث طولها ، فمنها الأخبار القصيرة التي لا تتجاوز بضعة أسطر تتركز حول فكرة واحدة وعدد محدد من الشخصيات [٣] . بالإضافة إلى الأخبار المتوسطة الطول والتي يتوسع البغدادي قليلاً في سرد أحداثها ، ويبرز فيها عدداً أكبر من الشخصيات والأحداث [٤] ، كما نجد إلى جانب هذين النوعين الأخبار الطويلة التي تستغرق عدة صفحات يجمع فيها البغدادي بين الوصف والسرد والحوار بالإضافة إلى تنامي الأحداث وتطورها على مساحة سردية واسعة [٥] .

لقد جمعت أخبار البغدادي عناصر البناء القصص الـــــسردي من سرد وشخصيات وحدث وزمان ومكان. وبهذا يمكن القول إنّ أخبـــار البغدادي على الرغم من بساطة أغلبها إلا أنها ذات بناء فني محبك ومنسجم وقصصي ، إذا ما قورن مع ما نجده في الرواية الآن .

ولابد من الإشارة إلى أنّ كتاب الفصوص كُتب بلغة أدبية راقية ، بعـــيدة من القص الشعبي ، أو التمازج اللغوي الذي حصل نتيجة الحركة الأدبية التي شهدها القرن الرابع الهجري .

---

[١] يُنظر كتاب الفصوص : ١ / ١١٥ .
[٢] يُنظر صاعد البغدادي حياته وآثاره :٢٥٣ .
[٣] يُنظر كتاب الفصوص : ٨٦/٤ ، ٢١/٤ ، ٥/ ٢٥٧ .
[٤] يُنظر المصدر نفسه :٣ / ١٠٢ – ١٠٥ ، ١٤/٥ – ١٥ ، ٤١/٤ – ٤٢ .
[٥] يُنظر المصدر نفسه : ١٥٧/١ – ١٦٣ ، ٢٠٧/١ – ٢١٨ ، ٣/٣ – ١٥ .

ثالثاً : مفهوم الخبر

لا شك في أنّ إعطاء مفهوم واضح للخبر يستوجب الإنطلاق من تحـــــــــديد دلالته اللغوية ، فابن منظور يقول إنّ ((الخبر ما أتاك من نبأ ممن تستخير))[١] .و كما نجد ما يشابه ذلك في المعجم الوسيط فالخبر فيه ((قول يحتمل الصدق والكذب لذاته وجمعه أخبار))[٢]. وبذلك يمكن القول إنّ دلالة الخبر تقترب من نقل الكلام كتابة أو مشافهة.

وعلى الرغم من الإمتداد السردي لفن الخبر عند القدماء ، إلا أننا لم نجد له تعريفاً محدداً وواضحاً ، بل نجدهم يتحدثون عنه أثناء حديثهم عن التنوع والغنى اللذين يتميز بهما التراث النثري العربي ، من دون أن نجد فصلاً للخبر عن بقية الأنواع الأخرى . فنجد في طيّات أقوالهم خلطاً واضحاً بين مفاهيم متعددة كالخبر والحكاية والنادرة والقصة [٣] .

ومن ذلك ما أورده أبو علي القالي في مقدمة كتابه عنـدما قال : ((وأودعته فنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار ، وأنواعاً من الأمثال ، وغرائب من اللغات))[٤] .ونجد ما يماثل ذلك في كتاب الحيوان ، إذ يتحدث الجاحظ في مقدمته عن تنوع مادة كتابه لتشمل القران الكريم والشعر والخبر والنوادر والحكم [٥] .

ويرى محمد القاضي إنّ سبب هذا الإهمال عـــائد إلى إعتقادهم بأنّ الخبر جنس أدبي معروف فلا حاجة إلى التعريف به . أو لعل هذا نتاج الخلط بين الخبر وبقية فنون القص الأخرى[٦] .

وحين يصل الأمر إلى المحدثين يجد المتتبع لكتبهم ودراســـاتهم ما يمكن الاستناد

---

[١] لسان العرب : مادة (خبر) : ٤ / ٢٧٧ .
[٢] المعجم الوسيط : مجموعة مؤلفين : ١ / ٢١٥ .
[٣] يُنظر فن الخبر في التراث النثري القديم : المفهوم والتطور : حنان المراعي ، (بحث) : ٤ .
[٤] الأمالي : ١ / ٣ .
[٥] يُنظر كتاب الحيوان : ١ / ٦٣ .
[٦] يُنظر الخبر في الأدب العربي : محمد القاضي :١٠٧ .

عليه لإعطاء صورة واضحة للخبر تميّزه عن بقية الأنواع الأخرى . فهم يرون أنّ الخـبر يمتلك خصوصية مزدوجة فهو ينتمي الى الحقلين الادبي والتاريخي [١] ، إلا أنه قد ((إستقل عن التاريخ ، وإكتسب قيمة أدبية خالصة عندما عرفت الحضارة العربية طبقة متوسطة من التجار والكتّاب وأصحاب الحرف)) [٢].

ونتيجة لذلك برز الخبر بوصفه جنساً أدبياً مستقلاً، يمـــــكن أن يُعرّف بأنه ((فن قصصي ... يغلب عليه قول الحقيقة يشير إلى سرد من التاريخ)) [٣]. يصدر عن مخبر إلى مخاطب مع وجود فاصل زمني بين المخبر(الراوي ، السارد) وبين الأخبار والحكايات[٤]. وبذلك يكون الخبر ((سرداً أو بنية سردية يتوفر فيها الراوي والمروي والمروي له)) [٥].

ولا تقتصر الأخبار على مضمون واحد ، بل تتنوع مضـــــامينها وتتعدد الأغراض المرادة منها ، ولعل أبرز أنواع الأخبار [٦] :

١ ـ خبر لتوصيل المعرفة للمتلقي : كأخبار الأنبياء والأخبار التاريخية ، ويكون هدفها التعريف بالشخصيات والحوادث والإخبار عنها .

٢ ـ خبر لخلق الانفعال لدى المتلقي بقصد التدبر ، كما في أخبار المواعظ والحكم .

٣ ـ خبر لخلق الانفعال لدى المتلقي بقصد الإضحاك . كأخبار المُلح والنوادر والظُرف ويرد هذا النوع من الأخبار لغرض الفكاهة .

٤ ـ خبر لخلق اللذة الروحية كأخبار العشاق .

وقد تركزت جهود الدارسين أيضاً على إستكناه الملامح التي ينفرد بـــها الخبر عن

---

(١) يُنظر الهوية والذاكرة الجمعية : عبد القادر جبر: ٨.
(٢) فن الخبر في تراثنا القصصي : شكري محمد عياد ، (بحث) : ١١ .
(٣) مصطلحات تراثية للقصة القصيرة : عبد الله أبو هيف ، (بحث) : ١١٢.
(٤) يُنظر المكونات السردية للخبر الفكاهي (دراسة في أخبار الحمقى والمغفلين) : عبد الله محمد عيسى ، (بحث) : ١٨٧ .
(٥) البنية السردية للخبر في كتاب بلاغات النساء : عقيل عبد الحسين ، (بحث) : ١١٦.
(٦) يُنظر الكلام والخبر : سعيد يقطين : ١٧٥ ـ ١٧٨ .

غيره من الأجناس النثرية الموازية له في الموروث التراثي العربي . ولعـــــلّ أبرز هذه الملامح أو الخصائص الاقتصاد في الأساليب وهي ميزة ناتجة عن بساطة بنية الأخبار[١]. فضلاً عن ذلك فإنّ الخبر ((على عكس الأنواع السردية الأخرى ينمو أفقياً في حين تنمو الأنواع الأخرى أفقيا وعمودياً))[٢] .

ومن خصائص الخبر الأخرى بساطة الانتقال بين البداية والـــــنهاية عبر مساحة سردية قصيرة في الغالب ، وهذه البساطة تنعكس على الحدث والبنية الزمانية والمكانية لتجعلها هي الأخرى تتسم بالبساطة [٣] .

وقد أضاف الدكتور محمد القاضي سمة أخرى ، هي إرتكاز الخـبر على الإسناد الذي يشّكل جزءاً لا يتجزأ من إستراتيجيته [٤] .

وبذلك يمكن القول إنّ الخبر ((هو إعادة صياغة وإنتـــــــاج لفنون سردية كانت معروفة من قبل ، إنه نسج جديد للتعبير عن محتوى قديم))[٥]، كما إنّ غلبة النسق الاخباري على جل المؤلفـــات العربيـــة القديمة ((شـــاهد على انتداب استراتيجية الخبـــر رافدا فكريا فاعلا)) [٦] يُسهم كثيرا في إغناء المدونات السردية العربية ٠

---

[١] يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٤٠٦ .
[٢] الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات : سعيد جبار : ٢١٨ .
[٣] يُنظر المصدر نفسه والصفحة.
[٤] يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٤٠٦ .
[٥]فن الخبر في كتاب لطف التدبير(دراسة وظائفية) : اشراق سامي ، (اطروحة دكتوراه): ١٠ ٠
[٦] ستراتيجيات القراءة السردية في التراث العربي : أوراد محمد : ٩ ٠

الفصل الاول
انساق بناء النص الخبري

المبحث الاول : نسق الاسنـــاد

المبحث الثاني : نسق الاستهلال

المبحث الثالث : نسق التداخل النصي الشعري

المبحث الرابع : نسق الخـاتمة

المبحث الاول

نسق* الاسناد

السند في اللغة :

حدد أصحاب المعاجم ماهيّة السند لغوياً على أنه ((ما ارتفع عن الأرض من قُبيل الجــبل أو الوادي ... ، يُقال : فلان سند أي معتمد ..)) [١]٠على حين إنّ الأسناد هو ((مصدر للفعل الثلاثي المزيد (أسند) وذلك مـــن قولهم : أسندت الحديث إلى فلان ، أُسندهُ إسناداً إذا رفعته)) [٢]٠

السند في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح فالسند يمثل((أولئك الرواة الناقلون المذكورون قبل متن الحديث ، أما الإسناد فهو حكاية طريق متن الحديث)) [٣]٠

والمحدثون يستعملون كلاً من السند والإسناد للدلالة على المـــعنى نفسه ، لأنهما يتقاربان في معنى الإعتماد ، أي الإعتماد عليهما في صحة الحديث وضعفه [٤]٠

ولعل أوضح تعريف للإسناد ما ذكره الرافعي حين قـــال: ((والإسناد لا يُراد به إلا شهادة الزمن على إتصال النسب العلمي بين راوي الشيء وصاحب الشيء المروي)) [٥]٠

لقد اختلف الدارسون في البداية الحقيقية لنـشوء الإسناد ، فمـــنهم من يرى إنه نشأ أول الأمر في أحضان الحديث النبوي الشريف ومنهم شوقي ضـيف ، إذ يرى إنّ القـدماء طبّقوا كل ما إتخذه أصحاب الحديث في حديثهم من مناهج دقيقة في رواية الشعر وأخبار الشعراء [٦] ٠

*النسق هو: ((علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الاشياء التي تربط بينها ، ويعمل النسق على بلورة منطق التفكير الادبي في النص))٠معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : سعيد علوش : ٢١١ ٠

[١] لسان العرب : ابن منظور : مادة سَنَدَ : ٦ / ٣٨٧ .

[٢] معجم مقاييس اللغة : ابن فارس : ٣ / ١٥ .

[٣] نزهة النظر في شرح نخبة الفكر : أحمد بن علي العسقلاني : ٢٤ .

[٤] يُنظر الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية : محمد ضاري حمادي : ١٩٧ .

[٥] تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي : ١ / ٢٩٥ .

[٦] يُنظر. البحث الادبي طبيعته، مناهجه، أصوله ،مصادره :شوقي ضيف :٨٣

وعلى مثل ذلك جـــاء رأي عبد الله إبراهيم ، فهو يرى إنّ الإسناد ظهر بوصفه وسيلة للتأكد من سلامة الحديث النبوي ،((ولهذا إكتسب صفة دينية شأنه في ذلك شأن الحديث نفسه ، ومثلها عُني بالمتن كونه يصدر عن الرسول ، عُني بالسند لأنه حامل ذلك المتن)) [١].

ومن مؤيدي هذا الإتجاه أيضا عماد الدين رشيد ، في بحثه الذي تحدث فيه عن أثر مصطلح الحديث في حفظ ثقافة الأمة[٢].

وفي المقابل ذهب عدد من الباحثين إلى خلاف ذلك ، ومنهم ناصـــر الدين الأسد ، إذ يقول : ((إننا نذهب مذهباً يخالف ما ذهبوا إليه ، فنحن نرى فيما يبدو لنا ، إنّ الرواية الأدبية أصل قائم بذاته ، وقد وجدت عند العرب منذ الجاهلية فكان علماء النسب الجاهليون وممن أدرك الإسلام منهم ، يأخذون علمهم بالنسب عن شيوخ هذا العلم ممن تقدمهم أو عاصرهم وكذلك كان رواة الشعر والأخبار الجاهلية)) [٣].

وممن رفض تأثر علماء الأدب بعلماء الحديث أحمد جـــاسم النجدي ، فهو يرى إنّ تأثر علماء الأدب بعلماء الحديث أمرٌ لم يُذكر في ما وصل إلينا من القدماء ، فضلاً عن أنّ علماء الحديث أنفسهم يشيرون في مقدمات كتبهم إنهم وضعوها خدمةً للحديث الشريف والمؤلفين فيه ، وليس لجميع المؤلفين من محدثين وأدبـاء ومؤرخين [٤].

على حين وقف محمد القاضي موقفاً وسـطاً فهو يرى إنّ الإسنـــاد وإن وُجِد قبل الحديث فقد كان بدائياً لا تحكمه القوانين والقواعد الثابتة ، فالغاية هي المتن ليس الإسناد ، ولكن بعد ظهور الحديث وما صاحبه من تبلور لمصطلحاته ، شهدت حركة الإسناد تطوراً واضحاً ، وظهرت المؤلفات التي إلتزم أصحابها الإسناد في مؤلفاتهم [٥] .

ولعل هذا الرأي هو الأكثر صواباً ، إذ إننا لا يمكن أن ننفي الإسناد عـــــن أدباء العصر الجاهلي ، فتناقلهم الأخبار والأحاديث والأسمار والقصص عن أسلافهم ما هو إلا

---

[١] يُنظر موسوعة السرد العربي : عبد الله إبراهيم : ٣٥ .
[٢] يُنظر أثر مصطلح الحديث في حفظ ثقافة الأمة الإسلامية : عماد الدين الرشيد ، (بحث): ٥٨ ـ٦٢ .
[٣] مصادر الشعر الجاهلي : ناصر الدين الأسد : ٢٥٥ .
[٤] يُنظر أثر علماء الحديث في منهج البحث الأدبي : أحمد جاسم النجدي ، (بحث) : ١٣ .
[٥] يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٣٠٠ .

صورة بدائية عفوية للإسناد ، ولكن في الوقت نفسه لا يمكن أن ننسب إليهم ما وصل إليه الإسناد من تطور ووضوح في مؤلفاته .

وقد أخذ الإسناد مكانة علمية بارزة سواء عند عـــــلماء الحديث أو عند أصحاب الرواية الأدبية إذ ((لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)) [١] ، حتى عُدَّ الإسناد ((نسق من التراسل الشفوي للرواية ، وهو السبيل الوحيد للتثبت من صحة إنتساب الأخبار القديمة))[٢] . وأصبح تقليداً متعارفاً عليه في التراث العربي ومكوناً من مكونات الخبر الأدبي ، فهو ألصق بالخبر من غيره من الأنواع الأخرى .[٣] إذ حرص المؤلفون على توافره في نصوصهم ((استجابة لنزوع ثقافي يُؤثر الصدق والواقعية)) [٤] .

ونتيجة لذلك أصبحت دراسة الأخبار بالإقتصار عـــــلى متونها ،ليس أمراً مجافياً لطبيعة الخبر فحسب ((وإنما هو أيضاً وعلى وجه الخصوص مخلٌّ بدراسة الخبر ، لأنه يهمل مدخلاً مهماً من المداخل التي تؤدي إلى فهم هذا الضرب من الإبداع))[٥] .

وعلى هذا الأســـاس إرتاينا أن نعقد هذا المبحث مـن هذا الفصل لدراسة الإسناد في كتاب الفصوص ، فقد حرص البغدادي على إسناد أخباره حرصاً شديداً ، إذ لا يكاد يخلو منه خبر إلا ما ندر .

ولـم يخرج صـــــــاعد البغدادي عمّا إعتمده أصحاب الحـــديث من ألفاظ الإسناد ومصطلحاته عند إيراده الأخبار[٦]. وبصورة عامة يمكن أن نميّز طريقتين ، إعتمدهما في إيراد أخبـــاره ، فأما أن يأتي بألفاظ تدل على السمـــــاع ((وهي أرفع الطرق عند الجماهير)) [٧] . وقد ورد هذا النوع كثيراً في كتاب الفصوص ، فغالباً ما ترد أخبار البغدادي ســـــماعاً .

---

(١) معرفة علوم الحديث : النيسابوري : ٦

(٢) موسوعة السرد العربي : ٣٥ .

(٣) يُنظر السرد العربي القديم : إبراهيم صحراوي : ١٧٤ .

(٤) السرد العربي القديم البنية السوسيو ثقافية والخصوصيات الجمالية : د . عبد الوهاب الشعلان ، (بحث): ٦ .

(٥) الخبر في الأدب العربي : ٢٢٥ .

(٦) للاطلاع على تفاصيل مصطلحات الإسناد بالتفصيل يُنظر أصول الحديث : عبد الهادي الفضلي : ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية :جعفر السبحاني : ٢٢٥ ـ ٢٢٨ ، بحوث في علم الدراية والرواية : مالك مصطفى : ٢٤٩ ـ ٢٦٠ .

(٧) الخلاصة في أصول الحديث : الحسين بن عبد الله : ١٠٠ .

ومن هذه المصطلحات قوله (سمعت) ، وقد ترددت كثيراً في فصوص البغدادي ، ومنـــها قوله : ((سمعت أبا حامد الخراساني ببغداد ، يُحـكى إنه إجتمع ابن المقفع ويحيى بن زياد الحارثي ...))[١] ، وكذلك قوله في خبره الذي نقله عن أبي علي الفارسي إذ يقول : ((سمعته رحمه الله يقول : قال ابن الإعرابي))[٢]

ومن مصطلحـــات السمـاع الأخرى (قال) ، وهي أكثر صيغ السمـــاع وروداً في كتاب الفصوص . ومن نماذج هذه الصيغة ما أورده البغـــدادي في أحد أخباره حين قال : ((قال أبو زيد : حسين أبو الطليسان)) [٣] . وقوله في موضع آخر ((قال همام بن غالب الضرير : قال أبو بكر بن دريد ...))[٤]. وفيها تكون الشخصية القائلة للنص معروفة ضمن أطار البلاد [٥] .

إلا أننا نجد في بعض الأحيان إنّ البغدادي لا يُصرح بإسم الشخص القائل للخبر ، إذ يختفي الراوي ليفسح المجال ويترك الكلام لشخصيات وهمية٠ فمثلاً يقول البغدادي في أحد أخباره : ((وقال رجلٌ : سألت ناساً من أهل اليمن الى من أنكح ؟ ...)) [٦] . وقوله في خبر آخر: ((أخبرني شيخ من الحي)) [٧]. فالبغدادي في هذه الأخبار لم يصرح باسم الراوي الذي أخذ منه الخبر ، بل أكتفى بقوله (رجل) . ولعله بذلك يُهيئ القاري لتقبل أي شيء يسرده ، عندما يُلقي عهدة الكلام على غيره .

وللسماع صيغ أخرى متعددة نجدها في كتـاب الفصوص منها (حدثنا) وما يُشتق منها وقد جعلها العلماء مرادفة لـ (قال)[٨] . وتُعد هذه الصيغة ((مفتاحاً حيادياً لا يُستعمل للخبر فقط ، وإنما يصلح لكل حديث شفوي ، ويغلب وجوده في الأخبار الواقعية ، وهو مفتاح الخبر التقليدي))[٩] . ومن نماذج هذا المفتاح الإسنادي قول البغدادي ((حدثنا أبو بكر محمد بن شاذان في نهر طابق ببغداد ، قال حدثني علي بن سليمان الأخفش ، قال :

---

(١) كتاب الفصوص : ٢ / ٦٩ ،،يحيى بن زياد الحارثي شاعر ماجن من أهل الكوفة ، وهو ابن خال السفاح ٠يُنظر الأعلام:٤/١٤٠ ٠

(٢) كتاب الفصوص : ٢ / ٢٩٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٣ /٩٧ .

(٤) المصدر نفسه :٢ /١٨ : ويُنظر مثلاً : ٢ /٤٠ ، ٢ / ٦٨ ، ٣ / ١٤ ، ٤ / ٨٣ .

(٥) يُنظر بنية السرد في القصص الصوفي : ناهضة ستار: ٩٠ .

(٦) كتاب الفصوص : ٤ / ٢٤٦ .

(٧) المصدر نفسه : ٢ / ٣٠٣ ، ويُنظر مثلاً : ٤ / ٨٢ ، ٣ / ٢٠٠ ، ٥ /١٥١ .

(٨) يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٢٤٤ .

(٩) الفن القصصي في النثر العربي : د . ركان الصفدي : ١٨٦ .

حدثنا محمد بن يزيد قال :حدثنا العتبي ...)) [١] ، وكذلك قولــه : ((حدثني أبو علي التنوخي القاضي قال :حدثني أبي قال : ...))[٢] .

وعلى الرغم من أنّ هذه المصطلحات ـ حدثني، حدثنا ـ تدل جميعها على السماع إلا أن هناك فرقاً واضحاً بينهما ، فاذا قلت حدثني فقد سمعته من العالم وحدي . وإذا قلت حدثنا فقد سمعته مع جماعة . [٣]

ومن مصطلحات السماع الأخرى التي وردت في كتاب الفصوص (أخبرنا) ، ومنه قول البغدادي ((أخبرنا أبو عبد الله اليزيدي ...))[٤] . ومثلهُ أيضاً ((أخبرنا أبو الحسن علي بن المرزبان الخيري قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو معاذ))[٥] .

وتدخل ضمن صيغة أخبرنا حكى وروى [٦] ، وقد وردت صيغة حـــكى في أسانيد البغدادي إذ يقول في أحدها : ((وحكى الأصمعي عن بعض ملّاح المدينة))[٧] . وقال أيضاً : ((وحكى ابن الأعرابي إنّ بلاد خولان أجدبت))[٨] .

أما صيغة روى فقد وردت كثيراً في فصوص البغدادي ، حيث نجد عشرات الأخبار التي تُفتتح بهذه الصيغة ، نذكر منها على سبيل المثال قوله : ((روى لي أبو النضر قاضي هيت عن أبيه عن أبي حاتم ، قال : حدثنا أبو عبيدة قال : .....))[٩]، وقوله : ((روى محمد بن دريد ، عن السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، قال : كان يزيد بن المهلب يقول :...))[١٠] .

---

[٢] كتاب الفصوص: ٢ / ٢١١ .
[٢] المصدر نفسه: ٢ / ٢٢٤ ، التنوخي القاضي هو المحسن بن علي بن محمد التنوخي ، صاحب كتاب نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .يُنظر معجم الأدباء: ٩٢/١٧ .
[٣] يُنظر الكفاية في علم الرواية : الخطيب البغدادي : ٢٩٤ .
[٤] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٢١ ، أبو عبد الله اليزيدي هو محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدي من أهل الأدب والعلم بالقرآن واللغة .يُنظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :٢٦٥/١ .
[٥] كتاب الفصوص: ٣ / ١٠١ .
[٦] يُنظر الكلام والخبر : ١٩٢ .
[٧] كتاب الفصوص : ٤ /٨٦ .
[٨] المصدر نفسه : ١ / ٧٥ .
[٩] المصدر نفسه : ٣ / ١١٠ .
[١٠] المصدر نفسه : ٣ / ١٠٦ ،يزيد بن المهلب أمير من الشجعان الأجواد تولى العراق ثم خراسان ثم الشام.يُنظر الاعلام :١٩٠/٨ .

ويلحظ الدارس في الإسناد والقائم على الألفاظ (حدثني وحـــدثنا وأخبرني وأخبرنا) تخلل حرف الجر (عن) بين هذه الألفاظ، إذ يأتي عند قول الراوي حدثنا فلان عن فلان ، وهو يدل على وجود فجوة في سلسلة السرد بسقوط حلقة أو عدة حلقات ، وهذا يختلف عن قوله : حدثنا فلان إنّ فلان قال [١].

وقد أورد الخطيب البغدادي في كفايته هذا المعنى((نظمه بعض المتأخرين شعراً فقال :

يتأدّى اليّ عـــــــنك مليحٌ من حديث وبـــارع من بيان

بين قول الفقيه حدثنا سفيانُ فرقٌ وبين عن سفيـــان))[٢]

ومن أمثلة ذلك قول صاعد البغدادي : ((حدثنا أبو سعيد السيرافي رحمه الله ، عن أبي بكر بن السّراج ، عن أبي سعيد السيرافي ، عن أبي زيد ، عن المفضل الضبي قال : ...))[٣] . وقوله أيضاً ((أخبرنا أبو سعيد السيرافي رحمه الله ، قال أخبرنا ابن مقسم ، عن ثعلب عن الأثرم عن أبي عبيدة ...))[٤] .

وأحياناً يأتي الإسناد بصيغة تدل على القراءة ، مثل قراءة الراوي عـــلى غيره ، وتعرف هذه الطريقة بـ (العرض) لأن الراوي يعرض نصه على غيره [٥] .

وقد أستهل البغـــدادي بعض أخبـــاره بأسانيد تدل على القراءة ، من قبيل قولـــه : ((قرأت على أبي سعيد رحمه الله : حدّث ابن دريد عن السكن بن سعيد ، عن العباس بن هاشم))[٦] . وقد ترد القراءة بصيغة الجمع كقول صاعد : ((قرأنا على أبي سعيد السيرافي رحمه الله كتاباً فيه ـ والأصل له ـ حدثنا أبو بكر محمد بن دريد ...))[٧] .

وقد يكون الراوي هو المستمع للخبر المقروء وليس قارئاً له ، ومـــنه الخبر الذي قُرِئ على البغدادي ، إذ قال : ((قرأ علينا ابن شاذان قال : حدثنا القاسم بن بشار عن أبي معين الهاشمي ...))[٨] .

---

[١] يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٢٤٥ .
[٢] الكفاية في علم الرواية : ٢٩١.
[٣] كتاب الفصوص : ١ / ٧٠ ، المفضل الضبي هو أبو العباس المفضل بن محمد الضبي صاحب كتاب المفضليات ٠يُنظر بغية الوعاة :٢٩٧/٢ ٠
[٤] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٩٨ .
[٥] يُنظر أصول الحديث : ٢١٨ .
[٦] كتاب الفصوص : ٣ / ١٠٦ .
[٧] المصدر نفسه : ٢ / ١٦٦ .
[٨] المصدر نفسه : ٤ / ٢٧٤ .

أمـــا الطريقة الثانية التي إعتمدها البغدادي في إسنـــاد أخبــاره ، أن يأتي بالخبر منقولاً من كتاب آخر هو ما يُعرف عند علماء الحديث بالوجادة [١]. ومضمونها أن يقف الراوي على كتاب شخص آخر فيه أحاديث يرويها بخطه ، فيعمد إلى الأخذ منها[٢] .

وقد ضمّن البغدادي فصوصه العديد من الأخبار الـــتي أخذ مادتها من كتب أخرى وقعت بين يديه ، ومن أمثلة ذلك قوله : ((وجدت بخط سلمة صاحب الفراء ، ثم وجدت بخط البحتــري لبعض العرب ...))[٣] . وقوله أيضاً : ((وجدت بخط أبي عمرو الشــيباني))[٤] .

ومن المصطلحات التابعة للوجادة (نقلت) الــتي تدل أيضاً عــلى أنّ البغدادي قد أخذ مادة الخبر من مصدر آخر عثر عليه . كما في قوله في بعض أسانيده : ((نقلت عن يد الأصمعي مما استثاره لنفسه))[٥] . وقوله في موضع آخر : ((نقلت من خط أبي زيد سعيد بن آوس الأنصاري زائداً على الثلث من نوادره التي في أول الكتاب))[٦].

وعلى أساس ما ذكرنا يمكن القول إنّ الإسناد في كـــــتاب الفصوص ورد بصيغ متنوعة ، ذكرنا بعضاً منها ، والجدول الآتي يوضح تلك الصيغ وعدد مرات ورودها في الفصوص الخبرية :

---

[١] يُنظر علوم الحديث ومصطلحه : د . صبحي الصالح : ١٠١ ـ ١٠٢ .
[٢] يُنظر بحوث في علم الدراية والرواية : ٢٦٠ .
[٣] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٤٨ .
[٤] المصدر نفسه: ٣ / ٣١٧ .
[٥] المصدر نفسه : ٢ / ٣ .
[٦] المصدر نفسه : ٤ / ٢٢٦ .

الصيغة	عدد مرات ورودها في فصوص الأخبار
قال	٥٣
حدثنا	٣٧
روى	٢٢
نقلت	١٣
حدثني	١١
روي	٩
قرأت	٧
يُروى	٦
قرأنا	٤
أخبرنا	٤
سمعت	٣
حدَّث	٣
ذكر	٣
أملى علينا	٣
قرأ علينا	٢
وجدت	٢
تقول	١
أخبرني	١
ذكروا	١

وقد تنوعت أسـانيد البغـدادي في فصوصه من حيث الطـول ، فمنها ما أسنده الى سلسلة طويلة من الرواة ـ وهو الغالب ـ إذ يجد في ذلك ضالته المنشودة في تحقيق المصداقة الحكائية والتوثيق السردي[١]. ومن نماذج ذلك الخبر الآتي: ((حدثنا أبو سعيد قال : حدثنا أبن السراج ، عن أبي سعيد السكري ، عن أبي حاتم عن العتبي قال : ...))[٢] .

وقد تطول هذه السلسلة من الرواة لتـصل الى أكثر من ذلك كقول البغدادي في أحد أسانيده : ((حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي قال : حدثنا أبو عبد الله القاضي المعاملي ، قال : حدثنا محمد بن إشكاب ، قال : حدثنا أبو النضر قال : حدثنا أبو جعفر الرازي عن عبد الله بن دينار ، عن بشير بن بشار ، عن أبي هريرة قال : ...))[٣] .

ولعل البغدادي كان يهدف بهذا الإسناد الطويل وضـــــع الخبر في إطاره الزمني لأنّ ((كل رجل في سلسلة الإسناد إنما هو قطعة من الزمن تتصل بقطعة ... حتى يتهيـــأ من ذلك مسلك التاريخ ، ويتضح منهجه حتى كأنك تبصره رأي العين ويقين الـخبر))[٤] .

في حين نجد هناك أخباراً في فصوص البغدادي ذات إسـناد قصير إلا أنّ هذا النوع أقل من سابقه ، ولعل هذا القصر عائد إلى قصر الفترة الزمنية بين وقوع الخبر وروايته ، أو بسبب شيوع الحادثة التي تُشكل عماد الخبر المروي . ومثال هذا النوع من الأسانيد ما نجده في الخبر الآتي : ((قال محمد بن سلام : كان هشام بن العاص مع أخيه عمرو بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب ، فلقوا العدو في مضيق ، فقتل هشام بين الصفين ...))[٥] .

ولعل قصر السنـد في هذا الخبر عـائد إلى تحديد الســـارد زمن وقوع الخبر وهو (خلافة عمر بن الخطاب) ، فكان هذا التحديد الزمني بمثابة التسلسل الإسنادي وصولاً إلى زمن الخبر .

ومثل ذلك أيضاً قول البغدادي : ((قال : وهاجر عمر بن العـــاص في الهدنة التي

---

(١) يُنظر الخبر في السرد العربي (الثوابت والمتغيرات) :٣١١ .
(٢) كتاب الفصوص : ٥ /٢٣ .
(٣) المصدر نفسه : ١ / ٨٣ .
(٤) تاريخ آداب العرب : ١ / ٢٨٨ .
(٥) كتاب الفصوص : ٤ / ٣٠٣ .

كانت بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين قريش ...))[1] .ولعل السارد يرى إنّ زمن الهدنة معروف لدى الناس كونه حدثاً تاريخياً مهماً في تاريخ المسلمين لذلك لم يُطيل سنده .

وأحياناً نجد بعض أخبار البغدادي تخلو مـن الإسناد ، إلا أنّه قليل جداً بل يمكن أن يُعد نادراً ، إذ يخرج البغدادي من إسلوبه الذي عُرِف به في أخباره ٠ ومنه الأخبار التي يكون البغدادي حاضراً في أحداثها ، فيتولى هو مهمة سرد الخبر ، يقول البغدادي : ((وكاثرني في الحفظ ذات يوم في حضرة فنا خسروه أبي شجاع ببغداد رجل يعرف بقرموطة ...))[2]. فهذا الخبر قد ذكره البغدادي من دون إسناد ، كونه الراوي الأساس له .

ويمكن أن نذكر نموذجاً آخر للأخبار الخالية من الإسناد ، وهو قـــول البغدادي : ((وأسر رجل من مزينة رجلاً من بني أسد يُقال له قمامة ، فقال : أطلقني ولك ستون بعيراً ...))[3] ولعل سبب إيراد هذا الخبر من دون إسناد كونه متعلقاً بالخبر الذي يسبقه والذي ورد بإسناد ، بدليل حرف العطف في بداية الخبر . فالخبر السابق يتحدث عن غزو مزينة ، يقول البغدادي فيه : ((قال لي المفضل الضبي ، عن عبد الله بن الحسن : خرج غُربى من هذيل يريدون ، مزينة ...))[4] .

وبعد أن عرضنا مصطلحات الإسناد وصوره التي وردت في كتاب الفصوص ، لا بد لنا أن ننتقل للحديث عن وظائفه ، كونه جزءاً من أجزاء الخبر الأدبي ، يقوم بوظائفه شانه شأن بقية الأجزاء الأخرى .

ويمكن القول إنّ وظيفة الإسناد الأولى التي تكاد أن تكون بديهية ، قيامه بدور الشاهد على أنّ الخبر مروي غير مخترع [5] . وهذه الوظيفة هي التي جعلت معظم مؤلفي الأخبار يذكرون أسانيد لأخبارهم ، ومنهم صاعد البغدادي ، إذ حرص على ذكر أسانيد أخباره كما أشرنا سابقاً .

---

(١) كتاب الفصوص : ٥ / ٣ .
(٢)المصدر نفسه: ١ / ١٤٤ . فنا خسروه : هو أبو شجاع الملقب بعضد الدولة إبن الحسن الملقب بركن الدولة أحد ملوك البويهيين ، يُنظر الأعلام : خير الدين الزركلي : ٥ / ١٥٦ .
(٣) كتاب الفصوص : ٤ / ٢٨٩ .
(٤) المصدر نفسه : ٤ / ٩٨٧ .
(٥) يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٣٢٧ .

ويمكننا أن نمثل لذلك بقـول البغــدادي : ((روى السكن بن سعيد ، عـن أبيه ، عن هشام بن محمد ، عن أسعد بن عمرو الجعفي ، عن خالد الحارثي قال : ...))[١] . فهذا التعدد في الرواة إنما يدل على حقيقة الخبر ، وكلما إزداد عدد الرواة دلَّ ذلك على أمانة الراوي الذي نقل الخبر عن الراوي الذي سبقه وهكذا .[٢]

ومن وظائف الإسناد الأخرى توثيق المتن بوساطة ذكر ســـــلاسل متعددة للمتن الواحد . ومنه قول البغدادي : ((وقرأنا على أبي الحسن المرزباني فيما روى عن ابن دريد عن ابن عمرو السكن بن سعيد الجرموزي ، عن محمد بن عباد المهلبي ، عن هشام بن محمد السائب الكلبي ، عن أسعد بن عمرو الجحفي الشاعر ، عن خالد بن قطن الحارثي وابن الأبلج الكندي قالا : ...))[٣] .

فهذا الخبر قد وصل إلى البغدادي عن طـريق سلسلة إســناد تبدأ بطرفين ، ويمكن أن نوضح ذلك بالمخطط الآتي :

خالد بن قطن الحارثي

أسعد بن عمرو الجعفي الشاعر ← هشام بن محمد ← محمد بن عباد المهبلي

أبن الأبلج الكندي

ولعل البغدادي كان يهدف بذكره خالد بن قطن الحارثي وابن الأبلج الكندي ، توثيق روايته ، إذ لو كان يريد الإسناد لإكتفى بذكر طرف واحد يُكمل به سلسلة الإسناد .

وقد تتعدد جهات الإسناد لتصل إلـى أكثر من أثنين كما في قول البغدادي : ((حدثنا أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ببغداد ... قال حدثنا ابن نقيش النحوي ، عن أبي يوسف الأصبهاني ، عن أبي حاتم السجستاني وأبي علي النضري ، وأبي محمد الباهلي ، وكلهم عن الأصمعي قال : حدثني العلاء بن أسلم عن أبي نخيلة قال : ...))[٤].

---

[١] كتاب الفصوص : ١ / ٢٠٧ .
[٢] يُنظر بنية السرد في القصص الصوفي : ٩٠ .
[٣] كتاب الفصوص : ٢ / ٩٤ .
[٤] المصدر نفسه : ٢ / ٩٤ .

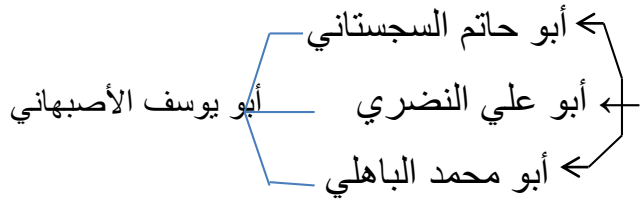

ولعل هذه الوظيفة ـ توثيق المتن ـ تفسر لنا سبب تعزيز صاعد البغدادي للمصادر المسموعة بالمصادر المقروءة . ففي بعض أخباره نجد عبارة تدل على السماع مصحوبة بعبارة تدل على أنّه وجد ذلك مكتوباً . ولعل الخبر الآتي يوضح ما ذكرناه ، يقول البغدادي: ((قرأ علينا أبو سعيد رحمه الله ، ثم وجدته بخط الفراء ونقلته ، فكانت رواية أبي سعيد كما كتبه الفراء بخطه))[١] .

ولأنّ الخبر الذي يحظى بالقبول هو الخبر الذي يرويه العديد من الرواة غير المتعارفين ومن ثمّ لم يتفقوا على سرد خبر كاذب [٢].فقد أخذ البغدادي خبره هذا من راويين أثنين بطرق مختلفة ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنّه يدلُّ على صحة الخبر

ولعل هذا التعدد والتنوع في سلاسل الإسناد يمكن أن يؤدي وظيفة أخرى ، هي الدلالة على سعة إطّلاع المؤلف وثقافته المتنوعة ، فالراوي المطّلع هو الذي يستقي علومه من مصادر متعددة . ويمكن أن نسوق مثالاً آخر على ما أوردناه ، وهو قول البغدادي : ((نقلت من خط الأثرم صاحب أبي عبيدة ، لابي طلحة عبد الله بن عبد العزى من بني عبد الدار ، ثم رأيته بخط محمد بن حبيب))[٣] .

وأحيانا يهدف الراوي من ذكر الإسناد إلقاء عهدة الحديث على غيره [٤] . فمثلاً نجد في أحد أخبار الفصوص ، إنّ البغدادي يفتتح خبره بعبارة (قالت العرب) وهي ((مفتاح سردي يوحي بشعبية القصة وإنتشارها وهو معادل لقولنا تناقلت العرب فيما بينها

(١) كتاب الفصوص : ٣ / ٢٦٤ .
(٢) يُنظر الغائب (دراسة في مقامات الحريري) : عبد الفتاح كليطو : ٥١ .
(٣) كتاب الفصوص : ٣ : ٢١٤ .
(٤) يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٣٢٨ .

هذه القصة))[١] .

وبما إنّ الخبر الذي ذكره البغدادي بـعد هذا المفتاح السردي ـ قالت الـــعرب ـ هو خبر غرائبي ، فقد أراد بهذا المفتاح الإسنادي إلقاء عهدة الحديث على غيره ، والإيحاء بشعبية هذا الخبر حتى يكون مقبولاً من قبل القارئ . يقول البغدادي : ((تقول العرب : خاصم الضبُّ الضفدعة في الماء أيهما أصبر عنه وكان حينئذٍ للضفدعة ذنب ، وكان الضب ممسوخ الذنب ، فلما غلبها الضب ، أخذ ذنبها ...))[٢] .

ومن الوسائل الأخرى التي لجأ إليها البـغدادي لإلقاء عهدة الكلام عـــــلى غيره ، إستعمال ضمير الغائب ، وهو أسلوب يحمي السارد من إثم الكذب بجعله مجرد حاكٍ يحكي ، لا مؤلف يؤلف ، أو مبدع يُبدع [٣] .ومثال ذلك قول البغدادي : ((وذكروا إنّ عمر بن الخطاب سأل رجلاً من أهل الطائف))[٤] . فلفظة ذكروا لا تحيلنا إلى اسم محدد ، بل تفسح المجال أمام السارد كي يتصرف بخبره كيف شاء ، من دون أن يتحمل مسؤولية ذلك ، فعندما ينسب أخباره إلى راوٍ مجهول يجعل نفسه خارج حدود النص محملاً الراوي تبعات الخبر الذي ينقله [٥] .

وقد يلجأ المؤلفون ومنهم البغدادي الى إختصار ســـلاسل أسانيدهم الطويلة بعبارة تُطَمئِن القارئ الى صحة الخبر المروي . كذكر بعض صفات الراوي التي جعلت الراوي التالي له مطمئناً للأخذ منه ، ومن ثمّ يحصل الإطمئنان لدى المتلقي أيضاً . ومثال ذلك قول البغدادي : ((حدثنا الحارث بن وداع البـــاري ، وكان من أعلم النـــــاس بأنباء العرب قال : ...)) [٦] .

فضلاً عن الوظائف السابقة التي ذُكِرت أضطلع الإسناد بوظيفة أخرى تتـــمثل في ((تقديم معلومات تتصل بظروف الرواية وبأحوال الرواة))[٧] . ففي أحد أخبار البغدادي نجده

---

[١] الفن القصصي في النثر العربي : ١ / ١١٥ .
[٢] كتاب الفصوص : ١ / ١١٥ .
[٣] يُنظر في نظرية الرواية : عبد الملك مرتاض : ١٥٤ .
[٤] كتاب الفصوص : ٤ / ١٠٦ .
[٥] يُنظر الإشارة الجمالية في المثل القرآني : عشتار داوود : ١٥٦ .
[٦] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٩٣ .
[٧] الخبر في الأدب العربي : ٣٣٠ .

يقول : ((وجدت في الكتب التي نقلتها من خزانة القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي رحمه الله إلى خزانة الوزير ...))[١] .

ففي هذا الخبر بيّن لنا البغدادي ظروف الرواية حـين أخبرنا إنه وجـد خبره في الكتب ولم يسمعه سماعاً ، ثم إنه حدد مكان هذه الكتب ، وكيف وصل إليها .

ومما يتصل بظروف الرواية أيضاً بيان مكان الرواية وزمنها ، حـيث أنّ ذكر المكان والزمان يفيد توضيح ظروف الرواية من جانب ومن جانب آخر هو ((مبالغة في التحرج من الشك ... وإلا فما جدوى هذه المعلومات بعد إنقضاء زمن طويل عليها))[٢].

ونجد في فصوص البغدادي العديد من الأخبار الـتي ذكر فيها صاعد البغدادي مكان الرواية أو زمانها . يقول في أحد أسانيده: ((حدثنا أبو بكر محمد بن شاذان في نهر طابق ببغداد ...))[٣] . فالبغدادي لم يكتفِ بتحديد بغداد مكاناً للرواية ، بل ذكر في أي مكان من بغداد حدثت ، وقوله في خبر آخر : ((وأملى علينا يوماً آخر في داره ، حدثنا أبو الحسن علي ...))[٤].

وأحياناً نجد البغدادي في تحديده لظروف الرواية يذكر زمانها مع ذكر المكان فمثلاً يقول : ((حدثنا الأمير أبو جعفر محمد بن ورقاء ببغداد سنة خمس وستين وثلاثمائة...))[٥] وقوله أيضاً : ((أملى علينا أبو علي الفارسي النحوي رحمه الله ببغداد ، في داره على الشط عند مشرعة الروايا ، سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ...))[٦] .و بهذا التحديد الدقيق لظروف الرواية يجعل البغدادي القارئ أكثر إطمئنانا لصحة الخبر ، كما إنه يُعلى من شأن فصوصه ، ويُكسب نفسه مكانة مرموقة في أوساط التأليف ٠

---

(١) كتاب الفصوص : ٣ / ١٩٠ .
(٢) الفن القصصي في النثر العربي : ١٨١ .
(٣) كتاب الفصوص : ١ / ٧٥ . نهر طابق : محلة ببغداد ، يُنظر معجم البلدان : ياقوت الحموي : ٥ / ٣٢١ .
(٤) كتاب الفصوص : ٢ / ٢٧٥ .
(٥) المصدر نفسه : ٣ / ٥٥ .
(٦) المصدر نفسه: ٢ / ٢٦٢ .

كما وظّف البغدادي أسانيده للتعريف بالرواة وبيان أحوالهم ، ففي أحـــــد أخباره يعرفنا بالراوية الذي أخذ عنه الخبر ، مبيناً لنا لقبه وصفاته يقول : ((حدثني أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن البقال ، وكان أديباً من شعراء بغداد ومجورديها ، وكان حسن الدين رصين العقل ، كثير الخير ، ممتع المجالس ...))[١] .

وقد يكون التعريف بالرواة بوساطة ذكر أنسابهم كقوله : ((حدثنا القـــاضي أبو الحسن بن بطة بعكبرا قال : حدثنا ابن دريد ،عن السكن بن ســعيد الجرموزي ،عن عبد الله بن خالد بن عمران البجلي ، عن ابن الكلبي ، عن ابن الهيثم الرجبي رجلٌ من حمير قال : ...))[٢] . فالراوي في هنا الخبر عرّف المتلقي بأحد رجالات إسناده عن طريق ذكر نسبه .

كذلك نجد البغدادي يعرفنا في بعض أسانيده بوظيفة الرواة الذين أخذ عنهم الخبر ، إذ يقول : ((حدثنا أبو محمد بن الأزرق قاضي تكريت ...))[٣] . ، ويقول أيضاً ((حدثنا أبو حفص محمد بن عيسى البرجمالي المقرئ في الكرخ ...))[٤].

ويمكن القول إنّ البغدادي قد عرّف برواته ليُشعر متلقي أخباره بالإطمئنان لها، ويُقلل من الشك في مصدرها ، وليثبت للقارئ بأنه على علم بمصدر الخبر وليس مضمونه فقط .

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول إنّ الإســناد في كتاب الفصوص يمكن أن يُعد ملمحاً بارزاً من ملامح الكتاب ، إذ إلتزم به البغدادي طيلة المسار السردي للكتاب سعياً منه لتحقيق الأمانة المنشودة ، حتى أصبح البغدادي راوياً مفارقاً لمرويه ، فهو ناقل للخبر الأدبي ، إلا أنّه مبدعٌ له في الوقت نفسه .

---

[١] كتاب الفصوص : ٣ / ٣٠٢ .
[٢] المصدر نفسه : ٢ / ١٧٥ .
[٣] المصدر نفسه: ١ / ٧٧ .
[٤] المصدر نفسه : ٢ / ٦٨ .

المبحث الثانـي

نسق الاستهـــلال

إنّ استقراء المعاجم اللغوية يحيلنا إلى معانٍ متعددة للكلمات التي يُشتق منـــها الفعل (هلل)، ففي لسان العرب نجد ((هلّ السحاب المطر ... إستهل المطر وهو شدة إنصبابه ، وإستهلت السماء في أول المطر ... وإستهل الصبي بالبكاء : رفع صوته وصاح عند الولادة))[١] .يماثل ذلك ما نجده في أساس البلاغة ((أهل الصـبي ، وإستهل إذا رفـــــع صوته بالبكاء ... ومن المجاز ما أحسن مستهل قصيدةٍ مطلعها))[٢] .

ومن خـــلال السياقات اللغوية التي وردت فيها اللفظة ـ هلل ـ نجد معان متعددة لها منها ((الوجود من العدم ، والتتابع دون إنقطاع . أما عند إقترانها بحروف الطلب الألف والسين والتاء ، فإنها تختص بالدلالة على أول الظهور المسموع))[٣] .

وتأسيساً على ما أوردنا من دلالات لغوية ، فالإستهلال يرتـبط بالأشياء المتحركة ، والحية ، فوجوده دليل على الحيوية والحركة في الأشياء التي يستهلها لذا فإنّ دلالة الإستهلال ، هي دراسة الجزء النامي من الشيء سواء أكان حياً أم متحركاً ، فهو يمثل البدء بحياة النص وحركيته .[٤]

أمّا في الإصطلاح فالإستهلال هو ((الجزء الأول من الكلام ... الذي يقدّم فيه المتكلم جملة من الألفاظ والعبارات يشير فيها إشارة لطيفة إلى موضوع الكلام ، وكيفية التدرج فيه))[٥]. وهو بذلك يتمثل في السطور القليلة التي تقع بين العنوان والمتن ، تؤيد ما جاء في العنوان وتقود القارئ إلى جسم النص [٦] .

وبعد أن تطرقنا للمعنى اللغوي والإصطلاحي ،لابـد لنا أن نتحدث عـــن الإستهلال

---

[١] لسان العرب : مادة (هلل) : ٩ / ١٢١ .
[٢] أساس البلاغة :الزمخشري : ٧٠٥ .
[٣] يُنظر الاستهلال في شعر غازي القصيبي : البندري معيض عبد الكريم ،(رسالة ماجستير) : ١٩ .
[٤] يُنظر جماليات الاستهلال في مواقف النفري : إبراهيم الحمداني ، عامر جميل ، (بحث) :٧٨ .
[٥] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة ، كامل المهندس : ٣٢ .
[٦] يُنظر فن الخبر الصحفي : عبد الجواد الربيع : ١٥٢ .

بشي من التفصيل كونه من((أهم العناصر البنائية للنص))[١] . إلا أنّ هذه الدراسة لا تعني تجزئة النص وتقسيمه ، فهو ـ أي الإستهلال ـ مُنجز مع النص في مقام واحد ، وصدرا عن ذات واحدة وهي الراوي [٢] ، كما إنها لا تعني نزعه عن سياقه ضمن الإطار الذي ورد فيه أو قطع علاقته بالأجزاء التالية له ، بل تختص بتصوره ((بنية متكاملة ذاتياً ، وهذه البنية قابلة للمعاينة الفردية))[٣].

لقد تنبّه الباحثون إلى أهمية الإستهلال بعـــــدّه ((مفتاحاً للسرد)) [٤] أو ((بذرة الإبداع الأولى))[٥]. حتى وضعه بعضهم موضع البسملة[٦] ولم يكن هذا الإهتمام وليد الدراسات الحديثة ، بل نجده كثيراً ما يرد في كتب النقاد القدامى تارة بهذا المصطلح وأخرى عن طريق المصطلحات المرادفة له .

ومن أبرز هؤلاء النقاد الجاحظ إذ يقول:((ليـــكن صدر كلامك دليل حاجتك))[٧] ، وهو ما أشار إليه ابن الأثير عندما تحدث عن الإبتداء إذ قال : ((أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان الإبتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي إلى إستماعه))[٨] . على حين عدّه اسامة بن منقذ وأبو هلال العسكري من فنون البديع[٩] . ووضعه صاحب أنوار الربيع ضمن فنون البلاغة [١٠] .

ولم يقتصر الأمر على ما ذكرنا بل نجد العديد مـــن الكتب قـــــد ضمنها أصحابها إشارات واضحة عن أهمية الاستهـــــلال ، وحث الأديب على العنـــــاية به بغية التـــأثير

---

(١) الاستهلال الروائي دينامية البدايات في النص الروائي : ياسين النصير ، (بحث) :٣٩ .
(٢) يُنظر نسيج النص : الأزهر الزناد : ٣٠ .
(٣) المقامات اللزومية لأبي الطاهر محمد السرقسطي(دراسة أسلوبية) : مي محسن حسين ، (أطروحة دكتوراه): ١٠٢ .
(٤) موسوعة السرد : ٢٤٣ .
(٥) أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر : ثائر زين الدين : ١٤ .
(٦) يُنظر الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي : ياسين النصير : ٦٢ .
(٧) البيان والتبيين: ١ / ١١٦ .
(٨) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣ / ٩٨ .
(٩) يُنظر البديع في البديع في نقد الشعر: ٤٠٠ ، الصناعتين: ٢٩٩ .
(١٠) أنوار الربيع في أنواع البديع : علي معصوم المدني : ١ / ٣٤ .

بالمتلقي ، وشد الإنتباه إلى النص [١] .

وبعد الإطّلاع على نصوص النقاد في حديثهم عـن الإستهلال نجدهم عـــــبرّوا عن ذلك بمصطلحات عدة ، منها الإستهلال ، والإبتداء ، والمطلع والمقدمة ، ((إلا أنّ هذه التسميات على الرغم من تعددها اللفظي تعد شيئاً واحداً على مستوى التلقي وهو البدء))[٢] ونستطيع إثبات ذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة ، فالإستهلال في لسان العرب يعود كما ذكرنا إلى الفعل (هلل) وهو يدل على بداية ظهور الهلال أو بداية المطر [٣] . أما الإبتداء فهو مأخوذ من الفعل (بدأ) الذي يدل على بداية الشيء . يقـول الزمخشري: ((هاتها من ذي تبدأت أي أعد الكلمة من أولها))[٤] . أما المطلع فهو يعود إلى الأصل (طلع) الذي يشير بدوره إلى بداية طلوع الشمس والنبات وغيرها [٥] . وأخيراً المقدمة التي تمثل بداية الشيء ومنه ((قادمة الرجل نقيض آخرته .. ومقدمة الجيش : الجماعة المتقدمة))[٦] .

إلا أنَّ مصطلح الإستهلال قد تميّزعن مرادفاته ، ولعل ذلك عائد إلى معناه المعجمي ، فهو الوحيد الذي يدلّ على بدء رفع الصوت ،ورفع الصوت في اللغة هو إستهلال ، فضلاً عن ذلك إنّ جمهور التلقي الشفاهي أو السماعي السائد في بداية الأمر كان يتطلب رفع الصوت عند البداية [٧] .

والإستهلال كأي جزء سردي له وظائفه الـتي يقوم بها داخل النص الأدبي ، فـــهو يضطلع بوظيفتين أساسيتين :

الأولى : ((جذب إنتباه القارئ أو السامع وشده إلى الموضوع))[٨] . إذ يخلق نوعاً من التشويق والترقب لمعرفة ما أراد السارد تبليغه ، ومن أبرز أدوات جـــــذب الإنتباه

---

[١] يُنظر الوساطة بين المتنبي وخصومه :القاضي الجرجاني : ٥١ ، العمدة : ابن رشيق القيرواني : ٣١٣ ، خزانة الأدب وغاية الأرب : ابن حجة الحموي : ٣ ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني : ٢٧٨ ، عيار الشعر : ابن طباطبا : ٣٣ .

[٢] الاستهلال في شعر غازي القصيبي : ٢٠ .

[٣] يُنظر لسان العرب : مادة (هلل) ٩ / ١٢١ .

[٤] أساس البلاغة : ٦١ .

[٥] يُنظر المصدر نفسه : ١٩٧ .

[٦] المصدر نفسه : ٤٧٣ .

[٧] يُنظر الاستهلال في شعر غازي القصيبي : ٢٦ .

[٨] الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي : ٢١ .

وضوح المعاني ، ودقة الألفاظ وسهولتها ، وجعل الإبتداء مناسباً لمقام النص[١].

أما الثـــانية فهي :((التلميح بأيسر القول عمّا يحتويه النص))[٢] إذ يعـــــمل على تقديم مختصر للعمل الأدبي ، ففي كثير من الأحيان نتعرف على مجريات الأحداث في النص الأدبي ببدايته ، كما أنّ البداية تُدخل القارئ إلى عالم النص بإعطائه خلفية عامة عن أحداثها ، حتى يتمكن من ربط الأحداث فيما بعد [٣] .

أمـــا حجم الاستهلال فيما يخص النصوص القصيرة والمـتوسطة ومـــــــنها أخبار البغدادي ، ففي الأغلب تتألف البداية الاستهلالية من جملة واحدة فقط ، وفي أحسن أحوالها من جملتين مترابطة في البناء والمعنى ، والجملة المفردة أفضل من الجملتين في الأعمال القصيرة ، وليست للجملة حدود إلا بما يجعلها مفيدة [٤] .

ونتيجة لتنوع النصوص الأدبية تتنوع بداياتها ، فكل أديب يحاول التفرد والتميّز في نصوصه ، ذلك إنّ منطلق كل بداية مهما كان نوعها السعي لبلوغ الإختلاف ، والإبتعاد عن المتداول حيث يتم التفرد ، وإكساب النص مشروعية إعلانه عن ذاته بين كم هائل من النصوص [٥] .

لذا فما سنعمل عليه هو بيان أنماط الإستهلال الـتي طالعتنا بها الأخبار الواردة في كتاب الفصوص ، بعيداً عن الإقرار بأنّ ما جئنا به هو إستيفاء كل الأنواع ، إذ إنّ هناك العديد من أنواع البدايات التي تتنوع بتنوع نصوصها .ومن أهم هذه الأنواع:

١-الإستهلال الحدثي :

يمكن القول إنّ الاستهلال الحدثي هو الاستهلال الـذي يتضمن الحدث الرئيس الذي يُبنى عليه العمل الأدبي [٦] ، وهذا النوع من البدايات يعمل على تأكيد حدث معين ((حتى يتسنى خلق وصل بين ما قيل في السابق ، وبين ما يليه ويلحقه))[٧] .

---

[١] يُنظر أنوار الربيع في أنواع البديع :٣٤/١ .
[٢] الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي : ٢١ .
[٣] يُنظر بناء الرواية : سيزا قاسم : ٣٠ .
[٤] يُنظر الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي : ٣٣ .
[٥] يُنظر البداية في النص الروائي : صدوق نور الدين : ٥٦ .
[٦] يُنظر دراسات في القصة القصيرة جداً : د . جميل حمداوي : ١٥٢ .
[٧] البداية في النص الروائي :٦١ .

ومن أمثله هذا النوع من الإستهلال الخبر الذي أورده البغدادي في فصـــوصه إذ يقول بعد إسناد طويل: ((بَرُصَ أبو عزة الجمحي فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسه ، فقال : الموت خير من هذا ، فأخذ حديدة فدخل بعض شعاب مكة ...))[١] .

إنّ الإستهلال في هذا الخبر هو إستهلال يصور الحدث الأساس الذي يُبنى عليه الخبر٠ وعلى أساس هذه البداية قامت أحداث القصة الأخرى مثل إبتعاد قريش عنه، ثم ذهابه إلى أحد شعاب مكة ، ثم طعنه نفسه حتى يصل الأمر إلى شفائه من مرضه وهو الحدث الأخير ، وهذه الأحداث جميعها مبنية أساساً على الحدث الإستهلالي وهو بَرصُ الجمحي .

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً الخبر الذي إستهله البغدادي بحدث إجتماع ابن المقفع مع أصحابه يقول:((إجتمع ابن المقفع ويحيى ابن زياد الحارثي ، ومطيع بن إياس، وحماد عجرد فقالوا: نحن بلغاء الزمان وفصحاؤه ، فلم لا نصنع مثل هذا القرآن ...))[٢] .

في هذا الخبر نلاحظ إنّ بداية النص زامنت بداية الحـــدث أي أنّ صـــاعد البغدادي نقلنا مباشرة إلى الحدث الأساس الذي توالدت منه أحداث أخرى متتابعة، إبتداء من إجتماعهم ثم تفرقهم ، ثم إجتماعهم مرة أخرى لنصل في نهاية الخبر إلى الحدث الأخير وهو تفرقهم وعدم إجتماعهم مرة أخرى [٣].

ومن ذلك أيضاً قول البغدادي ((غزت نمير حـنيفة فساقت أموالاً ، وقـــتلت رجالاً وثابت حنيفة فتبعوهم قال : فلقيت غلاماً منهم فقلت : كيف صنع قومك ...))[٤] .فالبداية في هذا الخبر ((بداية حاضنة لما يحدث في النص فهي تشد أوصال الحدث بخيوط ممتدة منه وإليه))[٥] . فجميع الأحداث التي يسردها الغلام في الخبر تعود أسبابها إلى الحدث الإستهلالي ، وهو غزو نمير ، وما خلفه هذا الغزو من عودة للحرب مرة أخرى .

---

[١] كتاب الفصوص : ٣ / ٢١٠ ،أبو عزة الجمحي عمرو بن عبد الله ، شاعر جاهلي أدرك الاسلام ولم يُسلم ٠يُنظر: طبقات فحول الشعراء : ابن سلام : ٢٣٤ ٠

[٢] كتاب الفصوص : ٢ / ٨٢ .

[٣] يُنظر المصدر نفسه والصفحة٠ .

[٤] المصدر نفسه : ٥ / ٢٥٠ .

[٥] العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي : محمد فكري : ١١١ .

٢- الاستهلال الوصفي :

وهذا النوع من الإستهلال يعمل على ((إضاءة أجواء النص))[١] ، بتقديم وصف عن محـــور الخبر الذي سيسرده الراوي، فمثلاً في أحد أخبـــار البغدادي نجد الإستهلال يتناول وصفاً لكتاب إذ يقول فيه: ((كان مولانا المنصور بن أبي عامر أطال الله بقاءه ، أمر بقراءة البارع ، وهو كتاب لابي علي القالي رحمه الله ، صنفه بالأندلس ، ونقض كتب المستنصر رحمه الله عليه وإستقصى ، وهو كتاب إحتذى فيه بالمفضل بن سلمة صاحب الفراء . وهو كتاب بليغ يقع بخط مجموع في نحو من ثلاثة الأف ورقة ، وسمّاه البارع ، يرد فيه على كثير مما أورد صاحب العين ويخطئه فيه ...))[٢] .

إنّ البداية الوصفية في هذا الخبر أعطت القارئ فكرة واضحة عن الكتاب الذي تدور أحداث الخبر حوله . فبعد أن قدّم لنا البغدادي سرداً وصفياً ، إنتقل إلى ذكر الأحداث التي دارت حول مقارنة هذا الكتاب ، بكتاب آخر ، لينتهي الخبر بتفضيل كتاب البارع من قبل المنصور ، ولعلَّ هذه البداية الوصفية جاء بها البغدادي لإقناع القارئ بما سيحصل في نهاية الخبر من تفضيل الكتاب .

وأحيـــــاناً تسعى البداية الوصفية إلى إعطـــاء المتلقي صورة واضحة عن إحدى شخصيات الخبر، عندما تقترن الأحداث بشخصية محددة الصفات والأفعال . فوجود شخصية معينة في الجملة الإستهلالية يوحي بأنّ لهذه الشخصية دوراً في تشكيل الحدث الرئيس للخبر [٣] . كما في خبر تنازع أبي نيقة والباهلي إذ يقول البغدادي في ذلك الخبر : ((كان أبو نيقة مدّاحاً كثير الشعر ، مدح روح بن حاتم ، وكان أبو هشام الباهلي يهجو روحاً ، فإلتقي أبو نيقة والباهلي وسط الجسر فتنازعا وتشاتما ...))[٤] .

إنّ تصدير الخبر بوصف الشخصية بلون معين من الصـفات يخلق لدى المتلقي أفقاً

---

[١] البداية في النص الروائي : ٦١ .
[٢] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .
[٣] يُنظر بنية السرد في القصص الصوفي : ٩٢ .
[٤] كتاب الفصوص : ٣ / ١٠٢ ، أبو نيقة هو الحسين بن الورّاس ، شاعر من خزاعة ،يُنظر معجم الشعراء : المرزباني : ٢٨، روح بن حاتم هو أمير من الأجواد الممدوحين، كان حاجبا للمنصور العباسي ووالياً للمهدي والرشيد ،يُنظر الاعلام : ٣٤/٣ ، أبو هشام الباهلي شاعر مكثر كان على عهد المنصور والرشيد ،يُنظر : معجم الشعراء : ٢٨ .

واسعاً من التصور لما سيحصل في نهاية الأحداث ، فضلاً عن ذلك فإنّ البغدادي قد إختار هذه النعوت بالذات كونها الحجر الأساس ، الذي يُبنى عليه صراع الشخصيات ؛ لتصل الأحداث في نهايتها إلى مكافئة روح لابي نيقة لمدحه إياه [١] ، وهو أكثر ما كان يتوقعه القارئ بعد قراءته لاستهلال الخبر .

٣- الاستهلال الفضائي :

يرتبط الإستهلال الفضائي إرتباطاً وثيقاً بمكونات البنية السردية ، خاصة عنصري الزمان والمكان ، إذ إننا نلحظ إستحواذ المكان على إستهلال الخبر عندما تكون بنية النص مكانية ، على حين يتصدر الزمان غيره من العناصر عندما تكون بنية النص زمانية .[٢]

وفي الإستهلال الزماني يؤدي الزمن دوراً بارزاً إذ تترتب عليه عناصر التشويق والإيقاع والاستمرار [٣] .

ومن نماذج الإستهلال الزماني في كتاب الفصوص قول البغدادي في أحد أخباره : ((دخلت ذات عشية إلى هارون الرشيد وهو متململ على فراشه ، فقال لي : ...))[٤].

إنّ الخبر السابق قد إستُهِلّ إستهلالاً فضائياً زمانياً ، إذ تصدر الخبر زمن العشية وهو اللبنة الأساس التي بُنيت عليها بقية الأحداث ، إلا أنّ هذا الزمن لم يكن زمناً طبيعياً بل زمناً نفسياً ((يتناول ما هو شخصي في العمق))[٥]،لذا فهو يتداخل مع كل أحداث تلك الليلة ،عاكساً هموم الشخصية ونتيجة لهذا التداخل نجده يتكرر في الخبر عدة مرات .

ومن النماذج الأخرى للاستهلال الزماني قول البغدادي : ((عن هشام بن عروة قال : لما ناهزت الحُلم ، دعاني عمي عبد الله بن الزبير في جماعة جمعهم من ولده وولد إخوته ...))[٦] .

---

[١] يُنظر كتاب الفصوص : ٣ / ١٠٣ .
[٢] يُنظر العنوان وسيموطيقا الاتصال : ١٢٤ .
[٣] يُنظر بناء الرواية : ٢٦ .
[٤] كتاب الفصوص : ٣ / ٨٧ .
[٥] البداية في النص الروائي : ٣٧ .
[٦] كتاب الفصوص : ٣ / ٥٩ .

إنّ الزمن في هذا الخبر هو زمن الماضي ، ماضـي الشخصية الـتي تروي الأحداث ، إلا أنّه يمثل بداية أحداث الخبر ، وعلى الرغم من إنّ هذه الافتتاحية تركز على الماضي إلا أنها لا تنفرد به ، فكلما تقدم النص إلى الأمام تزايدت مساحة الحاضر وتناقص عرض الماضي . فلو تتبعنا الخبر وجدنا الأحداث تبدأ من إجتماع هشام بن عروة مع عمه ، ثم تتنامى الأحداث شيئاً فشيئاً ، حتى تصل متقدمة إلى الأمام إلى زواجه من ابنة عمه .

أما الاستهلالي المكاني فإنه يركز على إبراز المكان وإعطائه مكانة أكبر من غيره من العناصر السردية ٠ ويرد الاستهلال المكاني تارة بذكر الاسم الصريح كقول البغدادي : ((وسمعت باليمن عن فرعان ـ وكان لصاً ـ أنّه حضره الموت في بيت المحلق فجعل يرتجز ويقول (رجز) :

قد كُنتُ أحياناً شَـــــديدَ المُعتَمد

أشوسَ ذا شغبٍ على القرنِ الألَد

قد ورَدت نفسي ومـــا كادت تَرِد))[1]

وتارة أخرى لا يصرح السارد بالاسم ، بل يظهر لنا الاستهلال المكاني من سياق النص الخبري ومنه قول البغدادي: ((بينما أنا بأبي دؤاد الإيادي وابنه وابنتيه على بيت لهم ـ وأنا إذ ذاك بالسواد ـ إذ خرج ثور من الأجمة ، فانهدى بين يديه)) [2] ٠

يمكن القول إنّ المكان في الخبرين السابقين ، يمثل إحلال للقارئ في دائرة مجرى الأحداث ، بغية التأكيد على أهمية المكان حيث تتفاعل الشخصيات وتتوالى الأحداث فيه ٠

٤- الاستهلال الحواري :

يقوم هذا النوع من الاستهلال على الحوار بين الشخصيات ، ويطلق عليه بعضهم البدايات المشهدية أو القولية [3]. ومن أمثلة ذلك قول البغدادي : ((قال أبو الحسن المدائني

---

[1] كتاب الفصوص : ٣ / ٩٤،و الأبيات منسوبة للحطيأة في فوات الوفيات : الكتبي : ٣٨٠ ، وهي منسوبة أيضا للمازني أنشدها لفرعان عند احتضاره يُنظر معجم الشعراء : ١٨٩ ، فرعان بن الأعرف التميمي شاعر لص ٠ معجم الشعراء: ١٨٨ ٠

[2] كتاب الفصوص : ٤ / ١٢٣ ، والأبيات لأبي دؤاد الأيادي يُنظر ديوانه : ٣٠٧ ٠

[3] يُنظر دراسات في القصة القصيرة جداً : ١٦٢ .

: قيل لعمرو بن العاص : ما أبطا بك عن الإسلام وأنت في عقلك ؟ قال : ...))[١] . وكذلك قوله : ((قال لنا أبو بكر محمد بن السراي : قيل لسيبويه يا أبا بشر ، هل رأيت مع الخليل كتباً يُملي عليك منها ؟ قال : لم أجد معه كتباً إلا عشرين رطلاً ...))[٢] .

إنّ الحـــوارية التي نجدها في أول الخبرين الســـابقين تمثل الأساس الذي يرتـكز عليه الخبر ، إذ ينطلق السرد بإنطلاق السؤال من الشخصية المحاورة ، لتلقي بعد ذلك عهدة السرد على الشخصية المجيبة ، التي تأخذ بدورها بيد القارئ لتصله إلى نهاية الخبر ، ويمكن القول إنّ الخبر في هذا النوع من البدايات يكون جواباً لسؤال .

٥- الاستهلال التشخيصي :

يُسمى هذا الاستهلال بالبداية الشخوصية [٣] ، إذ يُعطي السارد خلفية بسيطة عن الشخصية الرئيســـة التي تدور حولها أحداث الخبر ٠ ومثال ذلك قول البغدادي : ((كانت سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أم المطلب في هـــاشم عند أحيحة بن الجلاح ، فولدت له عمرو ...)) [٤].

إنّ التقديم الذي حظيت به شخصية سلمى في إستهلالية هذا الخبـر ، كان لـه دور كبير في تعريف القارئ بنسبها وممن تزوجت ، ومن ثمَّ فهو كفيل بإضاءة أجواء الخبر ليتسنى للقارئ متابعة ما يأتي من أحداث تلعب فيها شخصية سلمى دوراً رئيساً .

ويمكن أن نورد أيضاً خبراً يرصد لنا شخصية أخـرى وهي شخصية أبـــي الحسن يقول البغدادي : ((حدثنا علي بن الجهم إن أبا الحسن بن الناصر الإصم العلوي الذي أسلم الديلم على يده ، وكان أديباً شاعراً ...)) [٥].

---

[١] كتاب الفصوص : ٣ / ٢٠١ .
[٢] المصدر نفسه : ٢ / ٢١٥ .
[٣] يُنظر دراسات في القصة القصيرة جداً : ١٥٦ .
[٤] كتاب الفصوص : ١ / ١٢٦ ٠
[٥] المصدر نفسه : ا/ ١٩٩ -٢٠٠ ، أبو الحسن من أبناء الحسن بن علي بن عمرو بن زين العابدين العلوي الهاشمي ، أسلم على يده عدد كبير من الديلم ، وهو من شعراء العرب ٠يُنظر : الأعلام : ٢٠٠/٢ ٠

يمكن القول إنّ البداية في هذا الخبر تعطينا تصوراً واضحاً عن أبرز شخصيات الخبر ، وما هذه الصفات التي ذكرها البغدادي في هذه الإفتتاحية إلا رموز وإشارات يمكن للقارئ أن يجد صداها في طيّات الخبر عندما تبدأ هذه الشخصية بالتفاعل مع الشخصيات الأخرى ، ولأهمية هذه الشخصية في هذا الخبر نجدها شغلت حيزاً سردياً مفرداً في بداية الخبر ـ الإستهلال ـ كما إنّـها شاركت بقية الشخصيات في الحيز السردي الجماعي الذي تتحرك فيه شخصيات الخبر .

ولابدّ من الإشـــارة إلى أن هناك بعض الأخبار في كتـــاب الفصوص قد جاءت من دون إستهلال ومنها قول البغـــدادي : ((عن أبي العباس قال : عطس شبيب بن شيبة بحضرة عمرو بن عبيد ثلاث عطسات ، يرفع في كل ذلك صوته بالتحميد ، رجاء أن يقول له رحمك الله ، فقال له عمرو : ولو تقطعت نفسك مني ، أو تتوب))[1].

وقوله في موضع آخر ((قـــال عمرو بن عبيد : أُتي الحـسن البصري بفالود فقـال لي : تقدم يا عمرو ، فما فرحت بشيء كفرحتي بأن عرف إسمي))[2] .ولعل قصر الأخبار السابقة وإرتكازها على أحـــداث بسيطة وشخصيات قليلة هو سبب ورودها من دون استهلال .

هذا ما وجدناه من أنواع الإستهلال في كتاب الفصوص ، وعـــليه يمكن القول إنّ الإستهلال عند البغدادي وفي فصوصه تحديداً ينماز بالتنوع بإستثناء الإستهلال المكاني ، كما إنّه يعكس بدوره القدرة الإبداعية التي يتمتع بها البغدادي . فلم يكن الابتداء عنده ـ كما نرى ـ مجرد نقطة إلتقاء بين السارد والقارئ ، وإنما لحظة إنبثاق للكلمة والصورة والإحساس معاً .

---

(1) كتاب الفصوص: ٢ / ٢٧٨ .
(2) المصدر نفسه: ٢ / ٢٧٩ ، وللاستزادة يُنظر مثلاً ٣ / ١٠٦ ، ٥ / ٢٥٧ ، ٤ / ٨٦ .

المبحث الثالث

نسق التداخل النصي الشعري

إنّ ظاهرة التداخل بين الأجناس الأدبية هي نتيجة لكون الأدب ظـــــاهرة إنسانية متطورة ، فهو عملية إبداعية والإبداع يكسر الحدود ويكره التقولب ضمن محددات ثابتة ، وهو نوع من الترافد والتناص ما بين النصوص الأدبية .

لذا يمكن القول إنّ التداخل النصي هو: ((التواجد اللغوي ـ ســـــواء أكان كاملاً أم ناقصاً ـ لنص في نص آخر))[١] . وهو حضور لمقطع من نص محفوظ في سياق الكتابة ، وهذا المقطع يُنسب إلى صاحبه ، أو يُذكر من القرائن ما يفيد إنّه كلام مُضمّن [٢] .

وبهذا يكون التداخل النصي الأدبي تواجد نصوص أدبـــية شعراً أو نثراً في نصٍ أدبي آخر . بحيث تكون منسجمة معه ، وتوظّف لتدل على فكرة يريد أن يطرحها الأديب فهو يُزيد النص عمقاً وتأثيرا ، من دون أن يكون عبئاً يُثقل كاهله ، بل يكون جزءاً من بنيته ونسيجه . إذ إنّ القول بوجود جنس أدبي نقي تماماً يُعد ضرباً من الخيال فلا وجود لنص مهما تضاءل أو أختزل قائم بذاته دون إمتصاصه لروافد من غيره لغةً أو مضموناً [٣] .

إنّ ظاهرة التداخل النصي بين الشعر والنثر ذات جذور قديمة . فـــالكتب الخاصة بالقبائل لم تكتفِ برواية الأخبار والأشعار، بل كانت تضم إليها عدداً غير قليل من أخبارهم وأيامهم ، فنجد مؤرخي تلك القبائل ينشرون في تاريخهم أشعاراً كثيرة يرون إنّها سند هذه الأخبار وعمادها [٤] . إذ كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار، وآخرين ينظّمون لهم القصائد بما يلائم تلك الأخبار ويعضدها [٥] . فضلاً عن ذلك إنّ

---

[١] مدخل لجامع النص : جيرار جينيت : ٩٠ .
[٢] يُنظر الرسائل الأدبية ودورها في تطور النثر العربي القديم : صالح بن رمضان : ٤١٦ .
[٣] يُنظر تداخل الأجناس وهيمنة السرد على الشعر : د. عبد الرحيم مراشدة ، (مقال): ٦ .
[٤] يُنظر تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) : شوقي ضيف : ١٦ .
[٥] يُنظر في الشعر الجاهلي : طه حسين : ٩٤ ـ ٩٥ .

المكانة العظيمة التي كان يتمتع بها الشعر ألقت بظلالها على النثر فراح يتمحور في كل كتاب مهما كان موضوعه [١].

إنّ تداخل المنثور مع المنظوم في الأدب الـعربي يأتي للـتقريب بين جنسي الشعر والنثر[٢] ،وكما إنّ تواجده يعني ((الوظيفة السردية التي يؤديها الشعر في بنية النص ، مما يشكّل وحدة عضوية لا يمكن معها فصل الشعر عن النوع الذي إلتحم معه))[٣] . وكما إنّ هذا التداخل قد يُعطي لأحدهما مكانة متميزة ويُفضّل على الآخر ، وقد يفرض بعض سماته على غيره ، وقد تغيب أهمية أحدهما أو تُهمش من دائرة الإهتمام ، إلا أنّ أهمية كل منهما تظل موجودة ويمارس كل منهما دوره في خدمة النـص الأدبي [٤].

لقد إشتملت أخبار البغدادي على كثـير من الأشعار الأمر الـــــذي يدعونا للكشف عن مضامينها ووظائفها . إذ تشكّل دراسة النصوص الشعرية في أخبار البغدادي جانباً مهماً من جوانب الدراسة السردية ، فهي تكشف عن أهمية الشعر في بناء النص الخبري ٠ كما إنّها تُعد وسيلة تعبير وطريقة لإيصال جملة من الأحاسيس والمشاعر المتآلفة في النص بغية إثارة المتلقي وإشراكه في عملية الخلق الأدبي . إذ لا بد للنص السردي من الإستعانة بأساليب معينة كي يؤدي مهمته في تقديم النص ، فمتعة الكتاب لا تتكامل إلا بوجود رافد آخر للنثر ((ليحرك مؤشر الإمتاع داخل الكتاب بما يقترحه من أساليب وتقنيات متنقلاً بين الشعر والنثر وهما يعملان معاً على تجسيد هذه الوظيفة وبلورة حضورها))[٥] .

ولم يكن تواجد الشعر في كتاب الفصوص من أجل التـنوع والشمولية فقط بل يأتي لتقوية المضمون ولتحقيق جملة من الوظـــائف الأخرى ٠إذ يكـــون أحيـــاناً بمثابة الهامش بالنسبة للنص السردي . إذ يخضع لإرادة النثر ويكون تابعاً له ، ويكون أحيانا أخرى بمثابة الأساس للنص ويأتي الخبر النثري تابعاً له . أي أنّ الخبر أما يمتهن الشعر ويصطنعه وإما أن يتكئ عليه ويتجمل به ، وهو ما تحدث عنه محمد القاضي إذ جعل

---

[١] يُنظر الفن القصصي في النثر العربي :٢٨٩ .
[٢] يُنظر السرد العربي القديم الانساق الثقافية وإشكالية التأويل : ضياء الكعبي : ١٤١ .
[٣] المبتدأ في قصص الأنبياء : محمد بن إسحاق : ٣٦ .
[٤] يُنظر الكلام والخبر : ١٩٤ .
[٥] بلاغة التزوير(فاعلية الأخبار في السرد العربي القديم) : لؤي حمزة عباس : ١٠٢ .

النص الشعري خادماً للخبر تارة ومستخدماً له تارة أخرى [١] .وبذلك فإنّ علاقة الخبر بالشعر تتجلى بمظهرين هما :

١- سلطة الخبر على الشعر

إنّ سلطة الخبر على الشعر تتجلى في صـــور مختلفة، أبرزهـــا أن يُتّخذ من الشعر عنصراً سردياً فاعلاً لا تقدّم القصة من دونه ، إذ يترتب عليه أحداث ومواقف مهمة [٢] . ونجد في أخبار البغدادي ما يمكن أن نسوقه مثالاً لذلك ٠فمثلاً يقول : ((ذكر أبو المقدام الضبي إنّ رجلاً من عُكل آواه الليل والقرو والسقب إلى حي من بني جعفر ، فلم يقروه ولا آووه ، وبات تحت السماء يقفقف صبراً وسغباً ، فلما أصبح غدا عنهم سائراً وهو يقول (طويل) :

بَنِي جعفر الأشرار لا درَّ دَرّكُم

ولا خرجَ الكلبُ الذي في حِرِامكم

فسمعه بعضهم ، فنادى في الحي : وا سـوء صاحباه ، مـا جنيتم يا بني جعفر على أعراضكم بإعراضكم عن هذا الطارق منذ الليلة ، إلا أنه قد وسعكم بما لا يُمحى على وجه الأرض فدونكم الرجل أحسنوا إليه ليمحو ذمه بثنائه . فتبادر إليه وجوه الحي فأنزلوه وفرشوا له وعقروا كـــــــــوم إبلهم لقراه ...))[٣] .

إنّ البيت الشعـري في الخبر الذي ذكرناه لـم يأتِ به الــبغدادي من أجل التنويع بين الأجناس ، بل جاء به وسيلة إنتقال من حدث لآخر . وهذا بدوره يتحقق عندما يكـون البيت حاملاً لدلالة معينة تؤدي إلى تغيير مسار الخبر ، إذ إنّ سماع آل جعفر البيت قلب الأحداث رأساً على عقب ، فبعد أن كان موقفهم الإعراض وعدم الضيافة فإذا بهم بعد ذلك يكرموه بأفضل ما جادت به أيديهم ، وبذلك يكون البيت الشعري أحـد أهم الركـــائز التي يستند عليها النص، بل يمكن أن نعده احدى حلقات التسلسل الخبري التي لا يمكن الاستغناء عنها ، فلو إفترضـنا عدم وجود البيت في الخبر عندها ندرك بسهولة الفراغ الذي تركته الحلقة المفقودة .

---

[١] يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٥٤٥ .
[٢] يُنظر الفن القصصي في النثر العربي : ٢٩٠ .
[٣] كتاب الفصوص : ٤ / ١٧ ، ولم نجد نسبة لهذا البيت في المصنفات الشعرية٠

ومثل ذلك أيضاً الخبر الآتي في فصوص البغدادي : ((خــرج داوود بن سلم إلى حرب بن خالد بن يزيد ، فلما قدم عليه قام غلمانه إلى رحله ، فأنزلوه وحطوا عن راحلته ، فلما دخل عليه سلّم ثم أنشده (متقارب) :

ولمّا دُفعـــــتُ لأبوابِهِم

ولا قيــتُ حرباً لَقيتُ النّجاحا

وَجدناهُ يَحمدُهُ المُجتـدُون

وَيَأبى على العُسرِ إلّا سَمَــاحَا

ويُغشونَ حتّى ترى كلبَهُم

يَهابُ الهريرَ ويَنسى النُّــباحا

فأمر له بجوائز كثيرة ، ثم إستأذنه بالإنصراف فأذن له ...))[1] .

لقد أسهمت الأبيات الشعرية في الخبر الــسابق في بناء الـنص السردي ، إنطلاقا من إستعمالها في تحفيز الأحداث . حيث تمت ولادة بعض الأحداث السردية عن طريق تداعي الشعر ، فلولا الأبيات التي أنشدها داوود لما حَظِي بتلك المكانة ولما حصل على الجوائز . لذلك فإن الأبيات كانت بمثابة المحرك لأحداث الخبر والدافع لعجلة القص إلى الأمام .

ويمكن أن نورد مثالاً آخر تمثيلاً لما ذكــرنا إذ يقول البغدادي : ((وحدثنا عنه أنه دخل على الحسن بن زيد يوماً في جماعة من الشعراء فأنشأ يقول (رجز) :

اللهُ فردٌ وابنُ زَيدٍ فردُ

فنزل ابن زيد عن سريره ، وخر على التراب ساجداً ما شـــاء الله ، ثم رفع رأسه وقال : يا ابن اللخناء ، فضّ الله فاك ، وأبعد مثواك ألا قلت (رجز) :

اللهُ فردٌ وابنُ زيدٍ عبدُ

والله لو علمت إنك قلته على غير مذهب الشعراء في بعد الاغياء ، والتناهي فــي الإطراء لأحرقتك وإكتحلت بسحيق عظامك ... ثم أخرجه وحرمه وحرم الشعراء معه))[2] .

---

(1) كتاب الفصوص : ١ / ١٩١، والأبيات منسوبة لداوود بن سلم يُنظر: الأغاني :٢٠/٦ ، داوود بن سلم مولى تيم بن مرة ، شاعر حجازي من أهل المدينة ،يُنظر الاعلام : ٣٢٢/٢ .

(2) كتاب الفصوص : ١ / ١٩٩ ، والابيات منسوبة لأبي الغمر الطمري كاتب الحسن بن زيد العلوي يُنظر: معجم الشعراء: ٤٦٣، وللاستزادة من النماذج يُنظر كتاب الفصوص : ٣ / ١٠٤ ، ٣ / ٨٦ ، ٢ / ٢٢١

إنّ القارئ للخبر السابق يلحظ إنّ الشعر فيه قد لعب دوره في النص ، فقد أدّى إلى تغيير الأحداث ، وشكّل بما حواه من معانٍ ودلالات حلقة من حلقات الخبر . ولعل ورود الشعر في الخبر أدّى إلى تأزّم أكثر في المواقف وإعطاء النص أبعادا أخرى ، فلو عبّر الحسن بن زيد عن تلك المعاني نثراً لكان ذلك أقل تأثيرا ، فزيد كره أن يشارك الله في الوحدانية وقد عظم عليه ذلك ، فضلاً عن خشيته من تناقل الناس لهذا الشعر كون الشعر أسرع في الحفظ ، وأسهل في النقل ، وبذلك يُخلّد بصفات ، لا يحب أن يوصف بها .

وأحياناً يأتي الشعر في النص ليكون برهانا على صحة ما يُساق من أخبار ، وإقتناع القارئ بوقوعها [1] ، ففي أحد فصوص البغدادي نجده يذكر أبياتاً لأحد شخصيات خبره سعياً معه لتأكيد مضمون الخبر . يقول: ((وحدثنا أبو سعيد عن ابن الإعرابي قال : كان يغشى مجلسي أبو محلم فيقعد حجرة من المسجد ولا يتكلم وينصرف آخر النهار فلما طال ذلك قلت له : ما أراك يا فتى تحظى من مجلسنا هذا بشيء ، ولعلك تغشانا أشهر . قال يا أبا عبد الله ، ما يغيب عن حفظي مما يجري شيء . فقلت أعد عليّ منه شيئاً . قال: فأخذ يعيد عليّ أوائل المجالس من أول حضوره إلى حيث أنتهى به اليوم . فكثر عجبي من ذلك فقلت : روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّه قال : يولد في كل أربعين سنة من يحفظ كل شيء يسمعه وأراك ذاك : قال : أنا ذاك .قلت : فهل قلت في هذا شيئاً ؟ قال نعم (طويل) :

إذا ما غَدا الطُّلاب للعِلمِ مالَهَا

مِنَ العلم إلا ما يُدَّون في الكُتبِ

غدَوتُ بتشميرٍ وجـــــدٍّ عليهمُ

وَمَحبَرتي سَمـعِي ودفترُهُم قلبِي

قال : فكتبها عنه))[2] .

إنّ الشعر في هذا الخبر قد أُنشد ليكون مكملاً لهذه الحادثة الغريبة ، ومؤكداً لها في

---

[1] يُنظر الخبر في الأدب العر بي : ٥٤٦ .
[2] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٧١ ، والأبيات للشاعر أبي علي البصير، يُنظر ديوانه : ٣٠١ .

آن . فالأبيات في هذا الخبر جيء بها لغايتين ،أولهما :جمالية تتمثل في ترصيع النثر بالشعر ، والأخرى: حجاجية تتمثل في إقناع القارئ بأنّ هذا الحدث الغريب قد وقع فعلاً (أي إضفاء الواقعية على الخبر)٠ فالأبيات جاءت إقناعاً للسامع القارئ أولاً ، ولتأكيد الحادثة وتخليدها ثانياً ، إذ يستعير الشاعر مكونات النص السردي ، ويُضفي عـليها شيئاً من إبداعه ، ليكسب النص الشعري تميزاً نوعياً عن النص النثري ، وإن تطابقا في التجربة ذاتها .

والواقع إنّ الشعر لم يدخل في هذه الأخبار عبثا ، وإنما كان دخوله جوهريا ، فمعظم ماورد من شعر في أخبار البغدادي إنما يروي الأحداث مرة أخرى على لسان أحد أبطالها ، وهو وإن كان يمزج في بعضها بين الأحداث الخارجية وبين موقفه النفسي ، إلا أنها في آخر الأمر وثيقة تؤكد أحداث الخبر، فمثلا يقول البغدادي في أحد أخباره : ((قـــال الحجاج يوماً وحوله بعض أصحابه : أما أنه لا يجتمع لرجل لذة حتى يجمع أربع حرائر . فسمع ذلك شاعر من أصحابه يقال له الضحاك فعمد إلى كل ما يملك فباعه وتزوج أربعة نسوة فلم توافقه واحدة منهن ، وأقبل إلى الحجاج فقال : سمعتك أيها الأمير تقول : إنه لا يجتمع لرجلٍ لذة حتى يجمع أربع حرائر ، وإني عمدت إلى قليلي وكثيري فبعته وتزوجت أربعاً ، فلم توافقني واحدة منهن . أما واحدة فلا تعرف الله ولا تصلي ولا تصوم ، والثانية حمقاء لا تتسالك ، والثالثة مذكرة متبرجة ،والرابعة ورهاء لا تعرف ضرّها من نفعها . وقد قلت فيهن شعراً قال : هات ما قلت فأنشده (طويل) :

تزوجتُ أبغي قُرّة العين أربعاً

فياليتني واللهِ لَـــــــــم أتزوج

فواحدةٌ لا تَـــتــقي اللهَ ربَّها

ولم تدرِ مـا التقوى ولا ما التحرج

وثانيةٌ حـــمقاءُ تُرني مجانةً

تواثبُ مَـــــن مرَّت بهِ لا تعرج

وثالثةٌ مــا إن توارى بثوبها

مُذَّكرَةٌ مشـــــــــــهورةٌ بالتبرجِ

ورابعةٌ ورهاءُ في كلِّ أمرِها

مفرّكةٌ هوجاءُ من نسلِ أهوجِ

فهنَّ طـــــلاقٌ كُلُّهنَّ بوائنٌ

ثلاثاَ ثلاثاً فاشـــــــهدوا لا أُلجلج))[1]

في هذا الخبر نجد الضحاك يقدّم لنا ما مرّ بـــــه من أحداث سرداً ، ثم ينتقل بعد ذلك لينظمها شعراً . ويمكن أن نلحظ من الوهلة الأولى تطابق التجربتين السردية الواقعية والشعرية الإبداعية ، وقد أسهمتا في الكشف عن أبعاد الواقعة الحياتية وإضاءة جوانبها ٠ فقد جعلتا القارئ على علم بما عاناه الضحاك مع زوجاته الأربع . ويمكن القول إنَّ استعارية الشعر ومجازيته التي يُعرف بها لم تؤثر على وضوح الأحداث ، فالقارئ للنص الشعري بمعزل عن الخبر يصبح على علم بتفاصيل الخبر، إذ إنّ الأبيات التي ذكـــرها الضحاك تتّبع مسيرة حياته من خطبته لنسائه حتى زواجه ، ليصل بالقارئ بعد ذلك في البيت الأخير إلى طلاقه لنسائه الأربع .

وبذلك يمكن القول إنّ الشعراء يُنشدون أشعارهم ليؤكدوا مـــا دار معهم من أحداث ، وهذه الأشعار تغدو فيما بعد دليلاً على تلك الحوادث٠ومن ذلك ما ذكره البغدادي في خبر الشاعر جميل بثينة إذ يقول فيه :((لما حضر الحَج ، حجَّ شبيب أخو بثينة ، فأتى المخبر جميلاً يخبره إنّ شبيباً قد حج ، فإن رأيت أن تستقيد منه فدونك إياه فأنشد جميل يقول (وافر) :

فَلا أَنســـى عجائبَ ذات نفسي

بمكّةَ إذ دُعيتُ إلـــــــى شَبيبِ

وقالوا يا جـــــميلُ أَتى أَخوها

فَقُلتُ أتى الحبيبُ أَخو الحبيبِ))[2] .

---

[1] كتاب الفصوص : ٤ / ١٣٣ ، ولم نجد نسبة لهذه الابيات في المصنفات الشعرية٠

[2] المصدر نفسه : ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، والأبيات للشاعر جميل بثينة ، يُنظر ديوانه: ٣٥ ٠

إنّ السارد في الخبر السابق قد ذكر الأبيات الشعرية التي أنشدها جميل في تلك الحادثة سعياً منه لتأكيد خبره . إذ إنّ صياغة الخبر شعراً بعد سرده نثراً يمكن أن يكون خير شاهد على صحة الخبر ، فالقارئ يكون أكثر إطمئناناً للخبر عندما يتلقاه من مصدرين مختلفين، لذلك نجد البغدادي كثيراً ما يزاوج في أخباره بين الشعر والنثر[١] . وبذلك يعطي للشعر وظيفة أُخرى بالإضافة إلى تأكيد الخبر وهي إعادة إنتاج التجارب النثرية [٢] . إذ يبدأ البغدادي أخباره بسرد أحداثها شيئاً فشيئاً ليصل إلى خاتمة الخبر، ثم يعيد بعد ذلك تلك الأحداث شعراً . ويمكن أن نمثل لذلك بالخبر الآتي : ((إستَنّت بلاد خفاجة ، وكان دُلم بن مسمع كثيرُ المال فأساف الأزل ماله ، وجَحَد العيش فقالت له عرسهُ أُنيسة : لو دخلت المدينة ، فاقترضت عند واليها ، أصبت خيراً ، فهَمَّ بذلك ، ثم ذكر بعده عن قومه ، وخشي أن يُضطهد فلا يُنصر فأنشأ يقول (طويل) :

قَالتْ أُنيسةُ بِـــع تلادَكَ والتمِس
داراً بِيـــــثربَ رَبَّةِ الآجامِ
يُكتبْ عِيالكَ في العطاءِ وتَفتَرِض
وكــذاك يَفعَلُ حازِمُ الأقوامِ
فهَمَمتُ ثُمَّ ذكـــرتُ ليلَ لِقاحنا
بِلوى عُنيزَةَ أو بِنَعفِ قُشامِ
إذ هُنَّ عن حســـبي مذاودُ كُلَّما
نـــزلَ الظلامُ بفتيةٍ أغتامِ))[٣] .

يعمل الشعر فيما تـقدم من خبر إلى إعادة إنتاج التـــجارب النثرية شعراً ، إذ سعى كل من الخبر والشعر للوقوف على تفاصيل الحادثة من دون أن ننسى أنّ المنُتج الأول للواقعة هو الخبر . إذ يمكن أن نلحظ تواجد العناصر السردية ذاتها في كلا الجنسين من

---

[١] للاستزادة من الشواهد يُنظر كتاب الفصوص : ٢ / ٢٧٦ ، ٢ / ٣٦٩ ، ١ / ١٢٦ .
[٢] يُنظر بلاغة التزوير : ٨١ .
[٣] كتاب الفصوص : ٢ / ٣٣٥ ، والأبيات منسوبة للشاعر جبيهاء الأشجعي يُنظر الأغاني : ٣٩/١٨ ، جبيهاء الأشجعي هو يزيد بن عبيد بن غفيلة شاعر بدوي من الحجاز ، نشأ وتوفي في أيام بني امية يُنظر : الوافي بالوفيات : الصفدي :٣١/٢٨ .

شخصيات وحدث ومكان وحوار وغيرها . فالشخصية الرئيسة في الخبر والتي دارت حولها أحداث الخبر قد نسجت هذه الحادثة شعراً . ولعل ألم الفقر بعد السعة ، وصعوبة الشكوى هي من دفع دُلم بن مسمع لقول الشعر ، فكما يعرف إنّ الشعراء يجدون في الشعر متنفساً لهم يعبرون بهِ عمّا يجوب خواطرهم .

وليس معنى هذا إن كل العرب شعراء ، وإنما معناه إنّ العرب تعودوا أن يُسجلوا أحداثهم شعرا ، فالحادثة تكون أكثر قبولا إذا كانت قد جاءت في شعر أحد شعرائهم ، حتى وإن لم يكن أحد شخصيات الخبر ومنه قول البغدادي :((قال أبو عبيدة : أخـــاف خالد بن عـــــبد الله القسري عبد الله الأصغر بن شيبة بن عثمان . فهرب من خالد فإستجار بسليمان بن عبد الملك وخالد حينئذٍ والٍ لسيمان على مكة ، فكتب سليمان إلى خالد إلا يهيجه ، وأخبره أنه أَمَّنه . فجاء بالكتاب فأخذ الكتاب فوضعه ولم يفتحه ، فأمر به ، فأُبرز ، فجلده ، ثم فتح الكتاب ، فقال له : لو كنت علمت ما في الكتاب ما جلدتَك ، فرجع عبد الله الأصغر إلى سليمان ، فأخبره الخبر ، فأمر بالكتاب في خالد بن عبد الله القسري أن تقطع يده ، فكلّمه فيه اليزيد بن المهلب ، وقبّل يده ، فكتب عبد الله الأصغر ، إن كان خالد قرأ الكتاب ثم جلده قُطعت يده ، وإن كان جلده قبل أن يقرأ الكتاب أُقِيدَ منه ، فأُقِيد منه عبد الله بن شيبه . ففي ذلك يقول الفرزدق (طويل) :

لَعَمرِي لَقَد ســـــــارَ ابنُ شيبةَ سيرةً

أرَتكَ نجومَ اللّـــــيلِ ضاحيةً تجري

لَعمرِي لَقَد صُبّت عـــــلى ظهرِ خالدٍ

شآبيبُ ما استَهلَلنَ من سَبلِ القطرِ

أتضرِبُ في العصيانِ منَ كانَ طائعاً

وَتَعصي أَمــيرَ المؤمنين أخا قَسرِ

فَلَولا يزيدُ بنُ المـــــــهلَّبِ حلَّقت

بِكفّكَ فتخاءٌ إلـــــــى جانبِ الوكرِ))[1]

إنّ القارئ لـــهذا الخبر يمكنه التعرف على الدور الـــذي إضطلع به الشعر داخل الخبر، فهو يؤدي ما يؤديه السند من إثبات لصحة الخبر . فالسارد عندما ذكر تفاصيل هذه الحادثة في الشعر كان كمن ذكر سلسلة إسناد أخرى للخبر، إذ إن الأبيات صدرت من شخصية خارجة عن الخبر . وقد أضاف ذلك عنصراً إثباتياً للخبر ، فالقارئ عندما يقرأ هذه الأبيات يكون أكثر إطمئناناً لصحة الخبر إذا عرف إنّ شاعرها لم يكن أحد شخصيات الخبر يمكن أن يؤلف أو يَنسب لنفسه ما يؤكد ويُعضد ما يقوم به من أحداث .

ومن الوظائف الأخرى التي أدّاها الشعر في فـــصوص البغدادي الوظيفة الوصفية إذ يستعين الراوي بالشعر لإكمال مالم يقَله النثر [2] من مواصفات تُغني الخبر وتوضح جوانبه . ويمكن أن نذكر الخبر الآتي تمثيلاً لما ذكرنا . يقول البغدادي : ((بينما عمرة بنت الحمار عند خالد بن يزيد بن معاوية تُنشِد ، إذ أتى بفرس أعجبه وأقبل عليه .فقال : هذا الجواد عين الجواد ، فقالت عمرة : ما تستحسن من صورته فأنشد يقول (طويل) :

حِرٌ يملأ الكفينِ جَـــهمٌ مُزعفرٌ

لهُ غمصٌ مستـــحصِفٌ مُتضرّمُ

---

(1) كتاب الفصوص : ٣ / ٢١٨ ـ ٢١٩ ، خالد بن عبد الله القسري أحد خطباء العرب وأجوادهم ، ولّاه هشام الكوفة والبصرة ،يُنظر الاعلام : ٢٩٧/٢ ، والأبيات وردت في ديوان الفرزدق برواية أخرى هي :

لَعَمري لقد صابت على ظَهر خالدٍ
شآبيب ما استهللن من سيل القطرِ
أتضرب في العصيان تزعُم من عصا
وتعصي أميرَ المؤمنين أخا قسرِ
فلولا يزيدُ بن المهلب حلّقت
بكفك فتخاءٌ الى الفتخِ في الوكر
لعمري لقد سارَ ابن شيبةَ سيرةً
أرتكَ نجوم الليل ظاهرةً تجري

ديوان الفرزدق : ٣٧٢ .

(2) يُنظر السرد العربي القديم (الانساق الثقافية واشكالية التأويل): ١٤١ .

مَنوطٌ بحقويَ ذاتِ دلٍّ غريرةٍ

تُضيءُ دُجى الظُّلماء حين تَبسَّمُ))[1]

فالأبيات الشعرية في الخبر السابق قد وظّفت من أجل بيان بعض صفات ذلك الفرس والتي لم تُذكر في الخبر ، فسارد الأحداث يبدأ سرده بذكر الحادثة عند إجتماع عمرة مع خالد بن يزيد ثم يستمر في سرد الأحداث إلى أن يصل إلى وصول الفرس ليتوقف هو عن سرد الأحداث ويترك خالداً يتم الخبر ، إلا أنه يتخذ مساراً جديداً فيكمل الخبر شعراً ، فيجيب على سؤال عمرة بذكر مواصفات الفرس . وبذلك تكون الوظيفة الوصفية هي الغرض من قول الشعر .

ومن أمثلة ذلك الخبر الذي ورد في فصوص البغدادي ، والــذي تدور أحداثه عن الأعرابي الذي يمدح خالداً القسري يقول البغدادي : ((أتى أعرابي خالداً القسري وهو أمير العراق قال : أيها الأمير إني مدحتك ببيتين من الشعر فاسمعهما . قال :هات ، فأنشد يقول (طويل):

أخالدُ إنّي لم أَزُركَ لِحـــــاجةٍ

سوى أَنني عافٍ وأنتَ جوادُ

أخالدُ بينَ الأجرِ والحمدِ حاجتي

فأَيُّهُما تأبى فأنتَ عِمـــــادُ

فقال له خالد : ما آبي عليك فيها ، هات حاجتك ...))[2] .

---

(1) كتاب الفصوص : ١ / ١٠٢ ، ولم نجد نسبة لهذه الأبيات في المصادر القديمة ٠ الغمص : ما سال من العين ، متضرم : مشتعل ، يئط : يصوّت الحقو : الكشح والخِصر ومَعقد الأزرار .

(2) المصدر نفسه : ٥ / ٢٩٢ ، والأبيات منسوبة الى اعرابي في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ٢٢٨/٢ ، والأبيات منسوبة للشاعر بشار بن برد مدح بها خالداً البرمكي ‘إلا أنها برواية اخرى هي :

أخالدُ إني لم أهبط اليك بذمةٍ
سوى إنني عافٍ وأنت جوادُ
أخالدُ إنّ الأجرَ والحمدَ حاجتي
فأيّهما تأتي فأنت عمادُ

يُنظر : خزانة الأدب : ٣/ ٢١٧

فالأعرابي في البيتين السابقين مزج بين مــدح الأمير بذكـر صفاته الحميدة وطلب حاجته ، وقد سعى بهذه المزاوجة للوصول إلى مراده، إذ إنّ تعداد الصفات الحميدة والتغني بها شعراً ، كان دأب الشعراء في حضرة الملوك والأمراء من أجل نيل العطاء والمكانة الحسنة ، فالأعرابي في الخبر قد حصل على العطاء بعد هذه الأبيات التي ضمنها وصفاً للأمير لم نعثر عليه في ثنايا النص السردي ، ولعل تأثير البيتين في نفس الأمير أقوى وأشد منه لو عددها نثراً، لأن هذه الأبيات سوف تحفظها الذاكرة العربية وتتناقلها الأجيال جيلاً بعد آخر ، فضلاً عن الذائقة العربية التي كانت تفضل الشعر على النثر .

فهذا الدور – الوصفي – يعمل على ترصيع أحداث الخبر السردية بمواصفات شعرية تُغني النص وتُعطيه بُعدا جماليا ، ومنه قول البغدادي: ((أنشدنا أبو عثمان الخالدي قال : أنشدني الموصلي لنفسه وقد شرب ليلة مع أصحابه . فقال : إسقني فقاعاً فأمر به ، فحسر عن ذراعه ، وأخذ كوز فقاعٍ ليشرب فأعجبه حسن ذراعه والفقاع في يده فقال (كامل) :

وَأغنَّ كالصبحِ المُـــنيرِ سَقَيْتُهُ
مشمولةً كســـنا الصَّباحِ الأفلجِ
تتنزَّهُ الألحاظُ بـــــينَ مضمخٍ
من خدّه ومورّد ومـــــــضرّجِ
لمّا شكا ألم الخـــمارِ سَقَيتُه
منهُ بمُخضرّ اللِّبـــاسِ مُدحرجِ
فَثَنى لِيشرَبَ مِنـــه كّفاً طارِداً
بالبردِ حَرَّ خَمـــــارِه المتُوهَّجِ
كالصَّولجانِ مِنَ اللَّجينِ مُعرَّجٍ
أوفى على كُرةٍ مِنَ الفيروزجِ))[1] .

[1] كتاب الفصوص : ٣ / ٢٢٥ ، الأبيات غير موجودة في ديوان ابراهيم الموصلي ، وللاستزادة من النماذج يُنظر : ٣ / ٢٢٧ ، ٣ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، ٤ / ١٢٠ .

إنّ الوظيفة التي تؤديها الأبيات في النــص الخبري واضحة جلية، إذا عــملت على إغناء النص الخبري بوصف رائع للساقي ، إذ نلحظ إنّ جميع الأبيات تدور حول وصف هذه الشخصية من دون أن تتناول شيئاً آخر كمجلس الشراب أو بقية شخصيات الخبر أو المكان . وبذلك يمكن القول إنّ الشعر في هذا الخبر قد غلبت وظيفته التزينية على وظيفته الوصفية لأنّ الشاعر قد أطال كثيراً في هذا الوصف . حتى أنّ قارئ الخبر يستميله جمال الوصف في الأبيات دون أن يحصل على فائدة تخدمه لفهم النص الخبري .

وأحياناً يعمل السارد على مسرحة الأحداث عن طريق الحوارية الشعرية[١] .فيأتي الشعر على شكل حوار على لــسان الشخصيات وبذلك يكون النص الخبري قريباً من الأعمال المسرحية .

والقارئ لكتاب الفصوص يجد ما يؤكد ذلك . فمثلاً يــقول البغدادي في أحد أخباره : ((مات ضرار وأولاده مُزود وجزء وشماخ شباب ، وكان يقال لأمــــــــهم أُم أويس فخطبها رجل من قومها يقال له شويس ، فبلغ بنيها والرجل الخاطب جالس ، فقام الشماخ فأخذ الدلو فجعل يمج وهو يقول (رجز):

أُمُ أُويس نَكَــحت شُويسا

ثم تنحى فقام مزود فصاح وهو يقول (رجز) :

أَعجبها جَدارة وَكــــيسا

ثم تنحى فقام جزء فصاح وهو يقول (رجز) :

أصدقُ مِنها لجبةً وَتَيسا

فقال الرجل : والله لا تزوجت أُمكم . ومضى هارباً))[٢] .

ففي الخبر الذي أوردناه نجد المشهد القــصصي واضحاً جداً ،إذ يتــــــوقف السارد ليتولى الشعر الذي يرد على لسان الشخصيات مهمة السرد . فإيراد الشعر في هذا الخبر لم يكن أمراً إعتباطياً من قبل السارد ، وإنّما جاء نتيجة حاجة فنية تعين المؤلف على تجسيد المشهد وتجسيمه، إذ إنّ الشعر في هذا الخبر قد تكامل مع السرد ليقدم لنا نصاً خبرياً

(١) يُنظر الرواية العربية عصر التجميع : ١٦٨ .
(٢) كتاب الفصوص : ٢ / ٢٤٣ ، وأبيات الرجز للشماخ ينظر ديوانه: ٤٤٦ .

متكاملاً يُشعر القارئ بأنه يشاهد هذه الحادثة . كما تدفعه الحوارية الشعرية بين أولاد أُم أويس إلى الاطلاع على رأيهم في الحادثة ومن ثمّ التفاعل مع النص .

ويمكن أن نمثل لذلك بخبر آخر مثل قول البغدادي في أحد فصوصه : ((واستضاف أبو فرعون في سنة المجاعة قوماً من باهلة ، وطرقهم ضيف من عقيل يُقال له عفاق وكان سميناً ، فذبحوه وأكلوه ، فلما رأى أبو فرعون ذلك ، خاف على نفسه وكرّ راجعاً . وراث خبر عفاق على أهله فخرجوا في طلبه ، فرأوا أبا فرعون فسألوه عن خبر عفاق فقال (رجز) :

إنّ عِفاقاً أكَلَتهُ باهِله

تمشّشوا عِظامه وَكاهِله

وَتَركوا أُم عفاقٍ ثاكِلَه

فقيل له : فكيف تخلصت أنت ؟ فأنشأ يقول (وافر) :

ولستُ بِسائِلِ الأَعراب شيئاً

حَمِدتُ اللهُ إذ لم يأكُلُوني))[1] .

يمكن القول إنّ الشعرفي هذا الخبر ليس معتمداً على الخبر ، وإنّما هو جزء من الحدث وصانع له ، فبداالخبر وكأنه مشهد مسرحي نثري شعري نابض بالحياة . فالشعر هنا لغة حوار بين الشخصيات ٠وفي هذا الخبر يتراوح السرد بين إسناد القول الشعري والقول النثري . فما بين أسئلة أهل عفاق النثرية وإجابات أبي فرعون الشعرية تتقدم أحداث الخبر إلى الأمام . ونجد في هذا الخبر إنّ الراوي سعى بإيراد إجابات أبي فرعون الشعرية بالإضافة إلى ما ذكرنا إلى إثبات سرعة بديهيته وشدة فصاحته . وهي أمور يدل عليها ما رُصِّع به الخبر من شعر .

ونجد النص الشعري أحياناً يقوم مقام المونولوج الداخلي ، إذ ((يتتبع بواسطته الحركة الداخلية في نفوس الأبطال))[2] . فتخرج القصة من مجرد كونها سرداً تاريخياً

---

[1] كتاب الفصوص : ٣ / ١٠٥ ، والأبيات لأبي فرعون يُنظر كتاب الحيوان ٢٦٩/١ ، وعفاق : عفاق بن مُريّ ابن سلمة بن قشيم القشيري ، كان جاور باهلة في سنة قحط ، فأخذه الأحدب بن عمرو بن جابر بن عمار الباهلي ، فشواه وأكله يُنظر : خزانة الأدب وغاية الأرب : ١٢/٧ ٠وللاستزادة من النماذج يُنظر كتاب الفصوص :٣ / ١٠٤ ، ١ / ١٠١ ٠

[2] الفن القصصي في النثر العربي : ٢٨٩ .

جامداً إلى قصة حيّة مليئة بالإنفعالات [١] . ويبدو هذا في أوضح صورة في الخبر الآتي : ((وسمعت باليمن عن فرعان ـ وكان لصاً ـ أنّه حضره الموت في بيت المحلق فجعل يرتجز ويقول (رجز) :

قد كُنتُ أحياناً شَـــــديدَ المُعتَمد

أشوسَ ذا شغبٍ على القرنِ الألَد

قد ورَدت نفسي ومـــا كادت تَرِد))[٢] .

إنّ الشعر هنا ـ كما نرى ـ هو تغيير في طريقة التعبير إقتضاه الموقف وإضطرت إليه أمانة البغدادي في نقل الأحداث ، فقد نقل إلينا ما أرادت الشخصية نقله . ونحن نشعر في هذه القطعة الشعرية التي تحكي قصة رجل حضرته المنية إنّ فيها من اليأس والخوف شيئاً كثيراً ، فهـــو يقترب من الموت خطوة خطوة ، لذا فإنّ أقرب لغة للتعبير عن الإحساس المتدفق في تلك اللحظة هي لغة الشعر . فالشاعر في هذا الخبر يحاور نفسه نادماً على ما مضى .

ومن الصور الأخرى التي يرد فيها الـــشعر تابعاً للنص الخـــبري تلك الأخبار التي يكون مدارها المـــوازنة بين شـــــاعرين أو أكثر ، إذ يصبح كل مقطع بمثابة الحُجة التي تُستعمل للدلالة على براعة الشاعر أو إثبات العكس [٣] .

ومن ذلك خبر يذكر فيه البغدادي لـقاء أبي العتاهية ببشار يقول فـيه : ((يُروى أنّ أبا العتاهية زار يوماً بشار بن برد فقال له : يا أبا العتاهية والله إنّي لأستحسن إعتذارك في البكاء إذ تقول (مجزوء الكامل) :

كَم مِن صديقٍ لي أسا

رِقُهُ البُكاءَ منَ الحياءِ

---

[١] يُنظر الرواية العربية عصر التجميع : ١٧٢ .

[٢] كتاب الفصوص : ٣ / ٩٤،و الأبيات منسوبة للحطيأة في فوات الوفيات : الكتبي : ٣٨٠ ، وهي منسوبة أيضا للمازني أنشدها لفرعان عند احتضاره يُنظر معجم الشعراء : ١٨٩ ، فرعان بن الأعرف التميمي شاعر لص ٠ معجم الشعراء: ١٨٨ ٠

[٣] يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٥٧١ .

فإذا تأَمّلَ لا مَـــــني

فأقولُ ما بي مِن بكاءِ

لكِن ذَهَبتُ لأَرتـــدي

فَطَرفتُ عيني بالرداء

فقال : أيها الشيخ ما غرفته إلا من بحرك ، ولا نحته إلا من قدحك، وأنت المبّرزَ السابق حيث تقول (وافر) :

وقالوا : قد بَكَيتَ ، فَقُلتُ : كلاَّ

وهل يبكي مِن الطربِ الجليدُ

ولكنّي أصابَ ســـوادَ عيني

عُويدُ قَذًى لـــه طرفٌ حديدُ

فقالوا : ما لِدَمـــعهما سواءٌ

أكِلتا مقلتيكَ أصـــابَ عودُ))[1] .

إنّ هذا الخبر لم يأتِ مناسبةً لقول الـــشعر ، بل جاء لسرد فكرة تفضيل شعر على آخر ، إذ إنّ الشعر في هذا الخبر ليس غاية في حد ذاته ، بل هو مطيّة للوصول لهذه الفكرة . ولعل دليلنا على ذلك إمكانية ذكر غير هذه الأبيات في غرض الإعتذار ، أو المفاضلة في غرض آخر ليصل السارد إلى غرضه الأساس ، وهو تفضيل بشار بن برد على أبي العتاهية إستناداً إلى ما يذكره من شعر . ولعل البغدادي في هذا الخبر كان موفقاً في طرح فكرته ، إذ جعل أبا العتاهية يفضّل المبرد على نفسه وبذلك وصل إلى ما أراد من دون أن يتحيز لشاعر دون آخر .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في فصوص البغدادي من موازنة أبي دؤاد بين أولاده عندما إنطلقوا يصفون ثوراً خرج عليهم إذ يقول : ((بينما أنا بأبي دؤاد الإيادي وابنه وابنتيه على بيت لهم ـ وأنا إذ ذاك بالسواد ـ إذ خرج ثور من الأجمة ، فانهدى بين يديه فقال في ذلك (مجزوء الكامل) :

---

[1] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٠٤ ، الأبيات الأولى للشاعر أبي العتاهية يُنظر ديوانه : ١٨ ، والأبيات الثانية للشاعر بشار بن برد يُنظر ديوانه :٤/٤٠ .

وَبَدَتْ لهُ أُذنٌ توجّـ

سُ حـــرّةٌ وأَحمٌّ واتدْ

وقوائمٌ عوجٌ لـها

مِن خـلفها زَمعٌ زوائدْ

كَمقاعدِ الرُّقبـــاء لِلضَّـ

رباء أيديهم نـــواهدُ

فلما فرغ من شعره قال : انفر يادُؤادُ فقال (مجزوء الكامل):

وَبَدتْ لـــــهُ أُذنٌ توجّـ

س حّرّةٌ وأحمٌّ مُرصفْ

وقوائمٌ عـــــــوجٌ لها

من خلفها زمـعٌ ملفّفْ

كمقاعدٍ الرّ قباء للضّربـ

ـــاء أيديـــــهم تلقَّفَ

فلما فرغ من شعره قال : إنفري يادودة فقالت : ما أقول مع من أخطأ ؟ قال ومن أين أخطانا ؟ قالت : للثور قرنان وجعلتم له قرناً واحداً ، قالوا لها : فقولي أنتِ ، فقالت (مجزوء الكامل) :

وَبَدتْ لـــــهُ أُذنٌ توجّـ

س حُرّةٌ وأحـــمياني

وقوائمٌ عـــــــوجٌ لها

من خَلفها زمعٌ ثماني

كَمقاعِدِ الرُّقباء للضّـ

رباء أيديـــهم دواني

فقال لها : غَلَبتنا يادودة))[1] .

---

[1] كتاب الفصوص : ٤ / ١٢٣ ، والأبيات لأبي دؤاد الأيادي يُنظر ديوانه : ٣٠٧ .

في هذا الخبر يستعمل السارد الشعر ويوظفه توظيفاً جديداً ، فالأبيات التي ذكرها البغدادي في هذا الخبر ، هي أبيات غرضها الأساس الوصف ، إلا أنّ البغدادي قد وظفها لتفضيل أحد هؤلاء الشعراء . إذ نجد أولاد دؤاد وأبيهم ينشد كل واحد منهم أبياته بعد أن يبين خطأ من سبقه في الشعر ، لنصل في النهاية إلى تفضيل الإيادي لأبنته إستناداً لما سمعه من كل واحد منهم . وبهذا يمكن القول إنّ الراوي دفع القارئ إلى قراءة الشعر كما يريد الراوي لا كما يريد الشاعر ، فالشاعر نسجها للوصف بينما الراوي أرادها للموازنة بين الشعراء .

ومن الموازنات الأخرى التي كان الشعر هو الفيصل فيها الخبر الآتي : ((قال معن بن زائدة لابن أبي حفصة ، وابن أبي عاصية ، وللضَّمري : لينشدني كل رجلٍ منكم أجود بيت قاله فيَّ فأنشده مروان (كامل) :

مَسَحتْ ربيعةُ وجه معنٍ سابقاً

لمّا جَرى وَجَرى ذوو الأحسابِ

فقال له معن :أعَثَرتُ فتمسح وجهي ؟ فانخزل مروان مستحيياً . فأنشده الضمري (بسيط):

أنت أُمرءٌ شأنُك المعالي

ودلوُ مُعروفكَ الرَّبيعُ

وَشأنك الحَمدُ تَشترَيه

يُشيعُهُ عنكَ ما تُشيعُ

قال : لم تُسمَّني فيه . فقال ابن أبي عاصية (كامل) :

إن ماتَ معنُ بني شريكٍ لَم يَزل

لندى إلى بلدٍ بَعيرَ مُسافرِ

فقال : ذِكرُ الموتِ بغيضٌ ولا بد منه)) [1] .

---

[1] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٦٧ ، البيت الأول للشاعر مروان بن أبي حفصة يُنظر ديوانه : ٢١٤ ، والأبيات الأخرى بدون نسبة في أمالي المرتضى : الشريف المرتضى : ٢٩٦/١ .

إنّ الأبيات في الخبر السابق ، وإن كـان غرضها واحدا إلا أننا نجد بينها فروقاً أهمها إختلاف قائلها وإختلاف جودتها بالنسبة لمعن بن زائدة، ولعل السارد إتخذ من ذلك مدخلاً ليوظّف هذه الأبيات في خبر الموازنة ، فجعل الشعر وسيلة للوصول إلى مراده . وبذلك دفع القارئ إلى عقد مقارنة أيضاً . وكأَن الأبيات أُنشدت أساساً لتكون حجة تفضيل الشاعر على غيره .

٢- سلطة الشعر على الخبر

إنّ العلاقة بين الشعر والنثر تتـــجلى لنا في مظهر آخر يتـــــمثل في تهافت البيان السردي وطغيان الشعر عليه، إذ يصبح الشعر الغاية الأولى التي يسعى إليها الخبر وسارده . فيكون الخبر تابعاً للشعر . وتظهر لنا هذه العلاقة في صور متعددة منها أن يأتي الخبر شرحاً لغوياً للنص الشعري وهذا ما يقتضيه إكتظاظ الشعر بالغريب حتى يصبح الخبر بمثابة ((الهامش الذي يُشرح فيه الغامض ويُفصّل المجمل))[١] . ولنأخذ الأخبار الآتية شاهداً على ذلك . يقول البغدادي : ((قال الراعي (كامل):

كَدُخانِ مُرتجل بأعلى تلعةٍ

غُرثــانَ ضرَّمَ عرفجاً مَبلولا

... سألني أبو بكر الزبيدي رحمه الله بحضرة مولانا المنصور أيده الله عن قول الراعي (كدخان مرتجل) وعنده الوزير سلمة وأبو عمر البصير النحوي وعدَّة من أهل الفهم ، فسبقني أبو عمر إلى الجواب وقال : المرتجل : الذي يجمع رجلاً من جراد فقلت : عندي زيادة ، وذكرت قول الأصمعي ...))[٢] . وكذلك الخبر الآخر والذي يقول فيه :((دخلت على أمير المؤمنين وقد جلس للسلام والناس متساقلون إليه . فقال لي : ما وراءك يا ابن قريب ؟ قلت : خير يا أمير المؤمنين ، ولكن ، ما معنى قوله (طويل):

ولا غَروَ إلا جارتي وَسُؤالها

ألا هل لنا أَهلٌ ، سُئِلتَ كذلكِ

فشق سؤالي عليه ، إذ سألته عما لا يعرفه ، وإنِف أن يقول لا أعــرف ، فأطرق

---

(١) الخبر في الأدب العربي : ٥٤٢ .

(٢) كتاب الفصوص : ٢ / ١١٩ ، والأبيات للراعي النميري يُنظر ديوانه : ٢٥٣ .

مفكراً ما شـــــاء الله ثم رفع رأسهُ وقال: لشد ما دعا عليها . قلت أحسنت يا أمير المؤمنين)) [1].

إنّ القارئ للخبرين السابقين يجد أنّ الشـــعر فيهما هو المـــــــحور والخبر جاء بمثابة الهامش . إذ إنبثق الخبر من الشعر كاشفاً لخوافيه مستجيباً لحاجته . ففي الخبر الأول نجد البغدادي بعد ذكره للبيت يتحدث عن معنى قول الشاعر (كدخان مرتجل) ثم يسوق خبراً تدور أحداثه حول أجتماع بعض العلماء وحديثهم عن معنى هذه العبارة . ولعل ذكر البغـــدادي هذا الخبر جاء خدمةً للبيت الشعري من أجل إغناء القارئ بالمعاني اللغوية لكلماته .أما الخبر الثاني فإنّ أحداثه تدور حول بيت شعري ، إذ تتحاور الشـخصيات وتتأزم المواقف حول مفهوم ذلك البيت . وبذلك يصبح الخبر خادماً للشعر في بيان معناه ، لأنّ جميع أحداث الخبر تتقاطع في نقطة واحدة وهي معنى البيت ، فـــدخول ابن قريب على الملك وسؤاله إياه كان بدافع الحصول على إجابة لمعنى البيت .

وأحياناً يأتي الخبر تمهيداً لقول الشعر وتوضيحاً لمناسبة قوله [2] . كقول البغدادي : ((قال الاصمعي : قال أبو العالية : نزل الكروّس الهُجيمي بشيخ من بني الهُجيم يُقال له عوف ، فأكرمه وأحسن قراه ، فغدا يهجوه فقال (طويل):

لَو كانَ عوفٌ مجـــــــــدباً لعذرتُهُ

ولكنَّ عـــــوفاً ذو حليبٍ وَرائبِ

لدى روضةٍ قرحاءَ برقاءَ جـــــادها

مِنَ الدّلوِ والوسميّ طَلٌّ وهاضِبُ

كأنّ الذبابَ الأزرقَ الحمشَ وسطها

إذا ما تغنَّى بالعـــــشيّاتِ شارِبُ

إذا الضـــيفُ ألقى نعلَهُ عن شِمالهِ

طُروقاً وصلَّى كفَّ أشعثَ ساغِب

---

[1] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٠٩ ، والأبيات للشاعر طرفة بن العبد يُنظر ديوانه : ٨٢ ، متساقلون : متتابعون .
[2] يُنظر الخبر في الأدب العربي : ٥٤٧ .

رأى آنفاً دُغماً قِبـــــاحاً كأنّها

مقاديم أكبار ضِـــــخام الأرانبِ)) [1] .

فالخبر السابق جاء بمثابة التوطئة ، والتـــــقديم للأبيات التي تـــليه ، إذ إنّ قارئ الخبر لا يستفيد منه شيئاً سوى معرفته سبب قول هذه الأبيات وهو هجاء عوف . بينما الأبيات الشعرية تُفصح لقارئها عن الشخصية المقصودة بالهجاء والصفات التي هُجي بها . وبهذا فإنّ الشعر في هذا الخبر كان هو الأساس ،أما النثر فقد وظّفه السارد خدمةً للنص الشعري .

ومثال ذلك أيضاً قول البغدادي : ((قال إبن الاعرابي كان الحجاج قد بَعث شتير بن الموج ليفتح له أحد الحصون في بلاد فارس ، فأصابه حجرٌ منجنيق فقالت أمه ترثيه (طويل):

أيا عينَ بكّي لـي شُتيراً َفَعبرةٍ

إذا أجدبَ المـــــــــولى وَقلَّ الولائحُ

وَمَاكُنتُ أَخشى أن تَكـونَ دريئةً

بجِلمودِ صـــــــخرٍ طرَّحتهُ الطَّوارحُ

لقد كنتُ في قومٍ عليكَ أشـــحّةٍ

بنفسك إلا أَنَّ مـــــــــن طاحَ طائحُ

يودَّون لو خاطوا عليكَ عُيُونَـهم

وهل تَدفعُ الموتَ النفوسُ الشـحائحُ))[2]

إنّ السارد في هذا الخبر قدّم للقارئ ثلاث عبـارات نثرية جعلها بمـــــثابة حلقة وصل بين المرسل والمرسل إليه (الشاعر والقارئ) مهّد بها لقول الشعر ، إذ إقتصرت المقدمة النثرية على بيان مناسبة قول الشعر، وهو رثاء شُتير، الذي مات في بلاد فارس . لذلك فإنّ النثر جاء تمهيداً للوصول إلى غاية وهي الشعر .

---

(١) كتاب الفصوص : ٥ / ٢٢٣ ، ولم نجد نسبة لهذه الأبيات في المصنفات الشعرية ، الكروس بن زيد بن حصن شاعر اسلامي من أهل الكوفة ، وهو أول من جاء بخبر واقعة الحرة ، قُتل سنة ٧٠ هـ ، يُنظر الأعلام : ٥/ ٢٢٤ ، المجرب : ذو الابل الجرباء . الحمش : الدقيق الساق .

(٢) كتاب الفصوص : ٣ / ٦٥ ، والأبيات موجودة في تفسير البيان : الشيخ الطوسي : ٣/ ٣٤٧ بدون نسبة ، الولائح : جمع وليحة الغرائر ، وهي التي يحمل فيها الطيب أو الماء .

ولعل أهم ما يميز هذا النوع من الأخبار هـو ميلها إلى الإيجاز ، فلا يرد فيها إلا ما كان ضرورياً لفهم الشعر [١] . ويمكن أن نلحظ هذه الميزة في ما ذكرناه من أخبار ، ويمكننا أن نمثل لذلك أيضاً بالخبر الآتي : ((روى لنا محمد بن مروان الانطاكي ، عن العباس بن الفضل قال : دخل أبو دلامة على المنصور وقد أبطأت جائزته فقال (بسيط):

سوداءُ حنكلةٌ في بَطـــــنِها ثجلٌ

وفي المفاصلِ في أرساغها فَدَعُ

فاخرنطمت ثمَّ قالت وهيَ مغضبةٌ

أأنت تتلو كتـــــابَ اللهِ يالُكعُ

خادع خليفتنا مِـــــنه بِمسألةٍ

إنّ الخلـــــيقةُ للسوّالِ ينخدعُ))[٢] .

إنّ الجزء النثري من الخبر قـــد أعطى بعض المعلومات للقارئ لتساعده في فهم الشعر ، إذ إنّ معرفه القارئ بأنّ هذه الأبيات قالها أبو دلامة بعد أن أبطأ المنصور في مكافئته يمكن أن تساعد القارئ في فهم النص الشعري ،إلا أنها لم تُعرّف القارئ بجميع جوانب الحادثة ، فالنص الشعري لا يذكر أسماء الشخصيات ولا مناسبة قول الأحداث . لذلك جاء النص النثري متمماً للشعر يذكر ما يجعله نصاً خبرياً تاماً ، فالخبر هنا سبق الشعر إلا أنه حكم على نفسه بأنّه تابع للشعر خادم له .

ومن مظاهر خضوع الخبر لسـطوة الشعر الأخبار التي تُبـــنى على((السؤال عمّا يُحفظ من شعر في هذه الحالة أو تلك))[٣] .ومنه قول البغدادي : ((حدثنـــــا أبو سعيد السيرافي رحمه الله قال : حدثنا ابن مقسم قال : حدثنـــا ثعلب قال : قيل لأبي عمرو بن العلاء: ما يُعجبك من شعر أبي دهلٍ ؟ قال : قوله (كامل) :

---

[١] يُنظر الخبر في الأدب العربي :٥٤٨ .

[٢] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٢٥ ، الأبيات منسوبة لأبي دلامة في الأغاني: ٢٥٠/١٠ ، الحنكلة : القصيرة السوداء الدميمة ، النجل : عظم البطن وإسترخاؤه ، القدع : الاعوجاج .

[٣] الخبر في الأدب العربي : ٥٧٢ .

يا عَمرُ حَمَّ فراقكم عَـــــمرَا

وَنَويتَ منّا النأي والهَــجرا

وإذا أردنا رِحـــــلَةً جَزِعتْ

وإذا أقمـــــــنا لم تُفِد نِقرا

والله ما أحبـــــــبتُ حُبّكُمُ

لا ثيباً خُلِـــقتَ ولا بكرا)) [1] .

يبين الخبـــــر سطوة الشعر على النثر ، إذ إنّ السرد في الخبر لا يـعدو أن يكون طلباً لإنشاد الشعر ، لذلك جاء بمثابة الوسيلة التي يُراد بها الوصول إلى غاية . فما الطلب الموجه لأبي عمر إلا حثٌ على إنشاد الشعرمن دون أن يُراد منه توضيح أو زيـــادة .

ومن ذاك أيضاً قوله : ((قال أبو عمرو الشيباني : خرج الشماخ في ركبٍ فقيل له : شماخ سق بنا وانزل وإرجز . فنزل يسوق بالقوم وهو يقول (رجز) :

لَم يَبقَ إلاّ مِنـــــطقٌ وأطرافْ

وشُعبتا ميـــسٍ بَراها إسكافْ

وريطتانِ وقمـــــيصٌ هَفهافْ

يا رُبّ غازٍ قد بـــراه الإيجافْ

أغدر في الحيَّ برودَ الأصياف))[2].

إنّ القارئ للخبر يجد العتبة النثرية الـــتي تتقدم الشعر، عبــارة عن وسيلة للأخذ بيد القارئ ليشارك الراوي قراءة الأبيات الشعرية . إذ إنّ الخبر يدور حول خروج الشماخ في ركب ، إلا أنّه لا يحدثنا عن هذه الرحلة وما حصل فيها من أحداث سوى ما نطق به الشماخ من شعر . وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على أنّ السارد كان يهدف بهذا الخبر جذب إنتباه القارئ وشدّه لمتابعة قراءة الأبيات .

---

[1] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٣٦ ،الأبيات منسوبة لأبي دهل في الأغاني :١١٦/٧ ، أبو دهل وهب بن زمعة الجمحي شاعر أموي ٠يُنظر: الأغاني ، الاصفهاني : / ١١٢ ٠

[2] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٤٠ ، والأبيات للشماخ يُنظر ديوانه : ٣٦٨ ، الميس : شجر عظام . الربطة : اللباس غير ذي اللفتين ، الايجاف : السير السريع ، أغدر : ترك ، بروء الأصياف : تنام صيفاً لفناها .

ومما يمكن أن يلحظه الدارس لأخبار البــغدادي تفاوت المـــــساحة السردية التي يشغلها الشعر في النص الخبري . فتارة يكون المهيمن على تلك المساحة ويتضح ذلك مثلاً في الأخبار التي تتحدث عن سبب قول الشاعر أو تأتي طلباً لإنشائه . على حين تتقلص المساحة السردية للشعر في أخبار أخرى إذ تأتي في المرتبة الثانية بعد النثر كما في الأبيات التي يؤتى بها للإستشهاد على صحة الأخبار، أو التي ترد حواراً على لسان شخصياته .

لقد شيّد البغدادي بعض فصوصه الإخــبارية عـــبر استدعائه للنصوص الشعرية بشخصياتها ومواقفها ، حيث شغّل طاقة الشعر ومكانته ليسهم في توظيفه لصالح الامتداد السردي . ويمكن القول إن طريقة البغدادي في الجمع بين الشعر والنثر ليس مجرد ترصيع للنثر بالشعر أو مجرد تنوع إسلوبي ، وإنما أراد إزالة الحدود الفاصلة بين النصوص الأدبية وجعل النص جنساً أدبياً واحداً ، ولعل هذه المحاولة تمثل طريقة من طرق إثبات النص لصاحبه .

المبحث الرابع

نسق الخـــــــاتمة

تُعد الخاتمة من الأركان المهمة في النص الأدبي ، فـــهي النقطة التي يسعى إليها الكاتب والقارئ معاً ، إذ إنّها غاية كل شيء وآخره[١]، وهي اللحظة التي يكتمل عندها الأثر ويتشكل المعنى لذا أُطلق عليها لحظة التنوير [٢] . ((إذ تتكثف فيها الجملة والدلالة ، ومن ثم ينتقل الإيحاء إلى المتلقي بشكل أكثر تركيزاً مما تؤديه وظائف الوحدات السردية الأخرى))[٣] .

وإذا كان الإبتداء له دلالة الإيحاء إلى ما بـعده ، فإنّ للخاتمة دلالــة تضمّن ما قبلها . ومثلما إهتم النقاد والبلاغيون بالبداية أو الإستهلال ، فكذا الحال بالنسبة للخاتمة ،فقد عرضوا لها ، وعنوا بها في كتبهم النقدية والبلاغية ، إذ كانوا يريدون بها أن تكون آخر الكلام الذي يقف عليه الشاعر حسناً ، وأحسنهُ ما أذن بانتهاء الكلام ، حتى لا يبقى للنفس تشوق إلى ما وراءه [٤] . ومصدر إهتمامهم بهذا الموضوع كونه آخر ما يقرع في السمع ، ويُرسم في النص ، وربما حُفظَ لقرب العهد به ، فإذا كان حسناً تلقاه السمع وإستلذه[٥] .

وقد أطلق عليها النقاد والبلاغيون عــدّة تسميات منها الإنتهاء ، حـــسن الخاتمة ، براعة التخلص وبراعة المقطع .[٦]

وبصفة عـامة فإنّ الخاتمة هي وحـدة سردية ، لها وجودها المادي والمعنوي الذي لا يمكن فصله عن النص الخبري ، إذ تكون سطوره النهائية الملتحمة به نهاية طبيعية له فهي تتسم ((بالسرعة والتكثيف))[٧] .

وتتمتع الخـــاتمة بأهمية توازي أهمية الاستهلال ، فضلاً عن كونها جزءاً من أجزاء النص الخبري وهـــذا ما يدعونا إلى دراستها إذ إنها((تملك باستجابتها لطبيعة التكوين

---

(١) يُنظر لسان العرب : مادة (ختم):٢٤/٤، معجم مصطلحات النقد العربي القديم : أحمد مطلوب : ١١١ .
(٢)يُنظر التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة : حسن غربه : ١٣ .
(٣)ترييف السرد : فاتح عبد السلام : ١٣٢ .
(٤)يُنظر البلاغة والتطبيق : أحمد مطلوب : ٤٦٧ .
(٥)العمدة : ١ / ٢٣٩ .
(٦)يُنظرالصناعتين : ٣٥٥ ، يتيمة الدهر: الثعالبي : ١ / ٢٣٧ ، ١١٦ ، العمدة : ١ / ٢٣٩ ، الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٤٨ .
(٧)مرايا نرسيس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة : حاتم الصكر : ٦٧ .

الداخلي أن تكشف جانباً مهماً من جوانب بناء النص ، وتضيئ قابليته على منح وحداته من التلازم و الإنسجام ما يكشف سمة سردية من سماته))[١] .

وقد إتسمت أخبار البغدادي بالتنوع في خواتيمها ، فلم يعتمد على نوع واحد من الخاتمة ، ولعل هذا التنوع عائد إلى تنوع الأخبار نفسها ، وهي بدورها تُعُّد مؤشراً على ثقافة البغدادي ، إذ جعل أخباره مزيجاً من الفنون الأدبية المنصهرة في بودقة الفصوص .

ونجد البغدادي يختتم بعض أخباره بآية قرآنية ، ولعل هذا النوع من الخاتمة ، جاء سعياً منه لإعطاء أخباره شيئاً من القوة بإسنادها إلى نص لا يدانيه آخر . يقول في أحد أخباره : ((قال أبو العباس :روي في الخبر قال : جاءت اليهود إلى النبي يحتملون إليه ، فقالوا : إن في كتابنا : لا يُقتل الرؤساء بغيرهم . فقال : هذا باطل . ليس في كتاب الله عز وجل ، فقالوا : إن حكمت بهذا ، لم تُقبل . فأنزل الله ((وإن أُحكم بينهم بما أنزل الله)) [٢] .

عندما نتأمل الخبر السابق نجد إنّ مضمون الخبر قد حدد بصورةٍ كبيرةٍ نوع الخاتمة ، فالخبر يدور حول حكم تنازع فيه اليهود مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)،لذا كانت الخاتمة القرآنية بمثابة المرجع الأساس الذي يجب أن يؤخذ منه ذلك الحكم . كما إنها جاءت إيذانا بالإنتهاء مما كان سائداً من أحكام . أي أنّ الحكم الأخير الذي أفرزه النص الخبري هو نفسه الجزء الأخير من الخبر وهو خاتمته .

ومن نماذج هذه الخاتمة ماورد في الخبر الآتي يقول البغدادي : ((واخبرني أبو بكر ، عن أبي العباس ، عن المدائني قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى عبد الملك بن مروان فقال : قد زوجتك فاطمة بنت عبد الملك . فقال : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد كفيت المسالة وأجزلت العطية ، فأعجب عبد الملك . فقال بعض بنيه :شيء تعلّمه يا أمير المؤمنين فقاله . قال : فدخل عليه يوماً فقال : كيف نفقتك ياعمر ؟ فقال: بين الأمرين . قال وما ذاك . قال قوله عز وجل : (وكان بين ذلك قواما)))[٣] .

---

[١]سرد الأمثال : لؤي حمزة عباس : ٦٦ .
[٢] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٧٠ ـ ٢٧١ ،سورة المائدة : الآية ٤٩ .
[٣]المصدر نفسه : ٢ / ٢٢١ ، سورة الطلاق : الآية١٣ .

إنّ الخـاتمة في هذا الخبر جاءت ردّاً على سؤال عـبد الملك ، وهي آية قصيرة أغنت عن تفصيل كثير ، ولعل عمر قد إختار هذا النوع من الخاتمة ؛ لأنّه يريد أن يؤكد عدالته في النفقة التي إستمدها من القران الكريم .

وقد تأتي الخاتمة القرآنية تأكيداً للرأي الذي تسوقه أحـــدى شخصيات الخبر يقول البغدادي في فصوصه : ((روى ابن عائشة ، عن سلمة بن سعيد قال : أُتِى عمر بن الخطاب بمال فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال : يا أمير المؤمنين ، لو حبست من هذا المال في بيت المال لنائبة تكون وأمر يحدث . فقال رحمه الله : كلمة ما غرض بها إلا شيطان . ألقاني الله عز وجل حجتها ، ووقاني فتنتها ، أأعصي الله أمام مخافة قابل أعد لهم تقوى الله عز وجل ، قال الله عز وجل (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقهُ من حيث لا يحتسب)وليكونن فتنة على من يكون بعدي))[1] .

لذلك فالخاتمة القرآنية هذه قد أدّت المعنى الذي يريده عمر في وجـــوب تقوى الله في إتقان أموال المسلمين ، إذ إنه القادر على رزق الناس من حيث لا يحتسبون .

وأحياناً يختتم البغدادي أخباره بالحديث النـــبوي الشريف ، وهذا النوع من الخاتمة يُعطي الخبر من القوة بما يكفيه ليكون مقبولاً بين الناس ، فهو يعطي للنص ما تعطيه الخاتمة القرآنية ، إذ إنّ القرآن هو كلام الله لفظاً ومعنى ، أما الحديث فهو كلام الله من حيث المعنى ، وحديث النبي من حيث اللفظ .

ومن نمـــــــاذج هذا النوع من الخاتمة ما جاء فـي الخبر الـذي أورده البغدادي في فصوصه الذي يقول فيه : ((روى شعبة بن عوف بن أبي جحيفة ، عن المنذر بن جرير ، عن أبيه قال : كنّا عند النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)في صدر النهار ، فجاءه قوم حفاة عراة ، مجتابي النمار ، متقلدي السيوف فسلموا وبايعوا ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فلقد رأيت وجه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)يتغير لما رأى بهم من الضر ، ثم قال : يا بلال ، عجّل الصلاة ، فأذّن بلال ، فصلى الظهر ، فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه .ثم قال : يا أيها النـــاس ((إتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا . رحم الله رجلاً تصدق من

[1]كتاب الفصوص : ٢ / ٢٢١ . سورة الطلاق : الآية ١٣.

ديناره ودرهمه وصاع بره ، حتى رد الصدقة إلى شق التمرة فكان أول من قام من الأنصار ، فأتى بصرّة كادت كفه تعجز عنها ، ثم تتابع الناس حتى جمعوا كومين ضخمين من طعام وثياب ، فلقد رأيت وجه رسول الله يتهلل كأنه مذهبه فلما إنتهت الصدقة قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):ليس أحد من امتي يستن سنة حسنة يُعَمل بها بعده إلا كان أجرها وأجر الذين إستنوا سنة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً)) [١] .

إنّ البغدادي في هذا الخبر قد ضمّن نصه آيـة قرآنية وأختتمه بالحديث النبوي، ولعل ذلك أعطى الخطبة من التأثر ما جعل الناس يتهافتون على عطاء الصدقات ، ومن ثمّ فهو أكثر تأثيرا في المتلقي للخبر بعد المستمع للخطبة . بالإضافة إلى أنّ هذه الخاتمة قد شكّلت إختصاراً لنص الخبر وتلخيصاً له ، فمضمون الخبر حث الناس على الصدقة لذلك جاءت الخاتمة لتؤكد ذلك .

ويمكن أن نسوق الخبر الآتي مثالاً آخر لما ذكرنا إذ يقول البــغدادي :((يُروى إن بعض ولاة بني أمية كان عسوفاً صعباً على الناس ، فسقط عن دابته فانكسرت يده وخرج عظمه ، ولم ينفع الدواء فيه شيئاً ، حتى أسودت يده وسرى في ذراعه وعضده ، حتى بلغ إلى كتفه ، فقال للطبيب : ما ترى ؟ قال : إن أردت الحياة صبرت على قطعها من الكتف . فبعث إلى بلال بن أبي برده ، فأتاه ، فقال : أستشيرك فما قال الطبيب من قطع الذراع ، فأطرق ملياً ثم قال له : أيها الأمير لكل حي أجل لا يعدوه وإستقبال الألم حرصاً على الحياة خرق ، فأمسك عن قطعها ، ولم يعش بعد ذلك إلا يومين ومات ، فلما خرج بلال قال له أحد من أساء إليه الأمير : يا بلال هلاّ أشرت بقطع يده ليتعجل الألم ، على إنه غير ناج . قال: لقد وددت أن تتأكل آرابه حتى تتقطع منه إرباً وهو حي ، ليضاعف الله له العقوبة ، ولكن روي عن رســـول الله إنه قـــال: المستشـــار مؤتمن فلم أرد خيانته بعد أن إستشارني))[٢] .

جاءت الخاتمة في هذا الخبر تعليلاً لما قام به بلال ، فـعلى الرغم من إستيائه من هذا الوالي فقد أشار عليه بعدم قطع يده ، إلتزاماً منه بتعاليم الدين ، ووصايا النبي ، فلم يخنه

[١]كتاب الفصوص : ٢ / ١٥٧ ـ ١٥٨ ، سورة النساء : الآية ١ .
[٢]المصدر نفسه : ٢ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

بعد أن إستشاره ، ولعل الإختتام بالقران والحديث يأخذ أهميته من كونه آخر ما يبقى في النفس ، بالإضافة إلى ما يحويه من تعاليم وإرشادات ونصائح ، يمكن أن يكون له تأثير أكثر من غيره .

ونجد في أخبار البغدادي نوعاً آخر من الخاتمة ، إذ يختتم بعضها بالنتيجة الطبيعية للخبرمن دون أن يلون ذلك بشيء آخر ، ويذكر في نهاية الخبر عبارة (فهذا ما كان من خبره) يقول في أحد أخباره: ((كان رجلاً من ذي كلاع يقال له جميم بن معد يكرب ، وكان جواداً يشفي جوده على ماله فتدارأت بطون من ذي الكلاع في امرأة لهم ، فتشاولوا وكانت بينهم دماء ، ثم تداعوا إلى الصلح ، وتعاقلوا الدماء التي كانت بينهم على أن يهدروا الدم بالدم ، فما فضل من ذلك كانت الدية فيه تؤدى إلى أربابها. قال أبن الكلبي : ففضلت بنو تميم وبنو القفاعة بسبع ديات فحملها جميم ، وسعى في عشيرته ، فدافعوه عن ذلك فأدى ديتين من ماله ، فاستوعبتا ماله على أخره . وبقي خمس ديات ، فما وجد السبيل إلى أدائهن ، فخرج ضارباً في الأرض معرضاً بنفسه إلى المهالك ..))[١] .

ثم يستمر البغدادي بسرد الأحداث التي مرَّ بها جميم ابتداءً من تحمله الدية ، ثم سعيه إلى جمعها ، وما لاقاه من مصاعب الرحلة ، وأخطارها حتى يصل الخبر إلى جمعه لمبلغ الديات وعودته إلى أهله ، إذ يختم البغدادي الخبر قائلاً : ((وخرجت إلى أهلي فأديت باقي الديات ، فَسِدْتُ بذلك قومي وعشت فيهم مكرماً معظماً ،فهذا ما كان من خبره))[٢] .

فهذا الخبر لم يُختم كسابقيه بنصوص من غير نسيج النص الخبري نفـــــسه ، بل تنامت فيه الأحداث لتصل في نهايتها إلى نهاية الخبر ، إذ يعلن السارد عن نهاية الأحداث بنهاية الخبر الذي يسرده .

وكذلك الخبر الذي قصّ فيه البغدادي أحداث الأعرابي الذي أضل إبله ، فمضى في طلبهن باحثاً في الصحاري ، طاوياً الوديان والسهول، معرّضاً نفسه إلى أنواع المخاطر، غائباً عن أهله شهراً كاملاً . الى أن يوصلنا البغدادي في ذلك التسلسل المشوق من الأحداث إلى مصاحبة الأعرابي لصديق سفر أعانه على أيجادها فعاد بها غانماً إلى أهله، وبعودته

---

[١]كتاب الفصوص : ٢ / ١٧٥ .
[٢]المصدر نفسه : ٢ / ١٧٦ .

أختتم البغدادي خبره بقوله ((فهذا ما كان من خبره)) معلناً عن إنتهاء تلك الأحداث[١] . ولعل هذه العبارة تمثل إشارة صريحة على نقل البغدادي الخبر كما ورد إليه دون أن يضفي عليه شيئاً من نفسه ، بل إكتفى بأن يكون حلقة وصل بين الراوي والقارئ .

وكان لفن الدعاء حضورٌ بارزٌ في خواتيم البغدادي ، فكثيراً ما طرّز البغدادي أخباره بنماذج منها ، إذ يُمكن أن نعدها من أفضل ما يمكن السكوت عليه بعد القرآن والحديث . يقول البغدادي مختتما أحد أخباره بالدعاء : ((قال : وكان عمر يجيب الدعوة فلا يأكل فدعاه خصيب المتطبب إلى ختان ولده ، فأجاب ولم يأكل فقيل له أتجيب نصرانياً ؟ قال نعم ، إنه يخف لنا ، ويتعاهد مرضانا قالوا :وكان خصيب هذا يغشى أبا عمر بن العلاء رحمه الله ، وكان فصيحاً ، قال له قائل يوماً : كيف أصبحت ؟ فقال : أحمد الله إليك والى طر خلقه))[٢] .

لقد وظّف البغدادي فن الدعاء خاتمة لهذا الخبر سعياً منه إلى بيان حسن الخلق الذي يتحلى به خصيب ، فهو يحمد الله على كل حال . ولعل ذلك الخلق الحسن هو ما جعل عمرو يجيب دعوته . فكثيراً ما يكشف الدعاء عن بواطن الشخصيات ، ويتلألأ في لحظاتها جوهر النفس الحقيقي .

و نجد البغدادي الى جانب الدعاء يختتم أخباره أحيانا بفن الوصايا ، ولعله لجأ الى هذا النوع من الخاتمة إنطلاقا من كون الخاتمة آخر ما يبقى في ذهن القارئ ، وهو بذلك يوصي القارئ بما أوصى به السارد، فيُحقق الفائدة الى جانب المتعة ،ومنه الخبر الذي إختتمه بوصية لمعاوية بن عمرو إذ يقول : ((ودخل عمرو بن عبيد على معاوية بن عمر ، وهو يجود بنفسه فقال له : إن الله تعالى قد كلفك في صحتك العمل بجوارحك وقلبك ، وقد رفع عنك في هذه الحال العمل بجوارحك ، فأعطه ما أوجبه عليك بقلبك))[٣] . ومثل ذلك أيضاً قوله في خبر آخر : ((حدثنا أبو أيوب المقرئ قال : حدثنا الأخفش ... قال : برص

---

[١]كتاب الفصوص: ٣ / ٣ .
[٢]المصدر نفسه : ٢ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .
[٣]المصدر نفسه والصفحة .

أبو عزة الجمحي فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسه ، فقال : الموت خير من هذا ، فأخذ حديدة فدخل بعض شعاب مكة ، فطعن بها في معَّدة فقال ابن جعدية : فمارت الحديدة بين الجلد والصفاق ، فَسَال منه ماء أصفر فبرأ، فقال (رجز):

لاهُمّ رُبَّ وائـــــــلٍ ونَهدِ

والتّهماتِ والجـــبالِ الجردِ

وربّ من يرعى بياضَ نجدِ

أصبحتُ عبداً لكَ وابن عبدِ

أبرأتني مــن وضحٍ بجلدي

من بعد ماطَعنتُ في معدي))[1]

فالخبر المروي بنيت خاتمته على المزاوجة بين الشعر والدعـاء . ففيها إرتجز الجمحي داعياً الله تعالى ، شاكراً إياه على نعمة الصحة بعد السقم ، معلناً عبوديته لله رب الناس والجبال والأرض ، الذي أعاده إلى سابق عهده بعد أن نبذته قريش .

ولعل وصية جعادة للملك سلامة بن ذي فائش بعد موت ولده ، وجزعه عليه جزعاً شديداً ، وإمتناعه عن الطعام ، ومقابلة الناس نموذجا آخر لهذا النوع من الخاتمة ، يقول البغدادي بعد سرد أحداث خبر الوفاة: ((وإجتمعت ببابه وفود العرب ليعزوه فلامه نصحاؤه في إفراط جزعه .. وقام جعادة فقال : إيها الملك لا تُشعر قلبك الجزع على ما فات ، فيغفل ذهنك عن الاستعداد لما يأتي ، وناضل عوارض الحزن بالأنفة عن مضاهاة أهل وهن العقول ، فإنّ العزاء لحزماء الرجال ، والجزع لربات الحجال ، ولو كان الجزع يرد فائتاً ، أو يحي تالفاً لكن فعلاً دنيئاً فكيف به وهو مجانب لأخلاق أولي الألباب . فأرغب بنفسك أيها الملك عما يتهافت فيه الأرذلون ، وصن قدرك عما يركبه المخسوسون ، وكن على ثقة إن طمعك فيما أستبدت به الأيام ، ضلة كأحلام النيام)) .[2]

إنّ الخاتمة في هذا الخبر قد هوّنت من مصيبة سلامة فـــي ابنه ، إذ تضمنت الدعــوة بالإبتعاد عن التفكير فيما مضى والاستعداد لما هو آت ، وهذا من أخلاق الرجال العظماء ،

---

[1] كتاب الفصوص : ٣ / ٢١٠ ، والأبيات لأبي عزة الجمحي يُنظر طبقات فحول الشعراء: ٢٥٦ .
[2] كتاب الفصوص : ٢ / ٣٠٨ .

ناصحاً إياه بالابتعاد عن الجزع ؛لأنه منافٍ لتعاليم الدين ، فالموت والحياة بيد الله ،والدنيا إنما تجود لتسلب ، وتعطي لتأخذ ، وهذا هو المسار الطبيعي للحياة .

والمتتبع لأخبار البغدادي في فصوصه يجـده في بعض الحالات يختتم أخباره بسند آخر غير السند الذي يذكره في بداية الخبر ٠ ولعـــل هذا عائد ـ كما ذكرنا ـ لرغبته في التأكيد على أنّ الخبر منقول غير مخترع ، ولأجل التأكيد على صحة الخبر . يقول في أحد أخباره : ((ووجدت في الكتب التي نقلتها من خزانة القاضي كتاباً بخط ابن المعتز كتبه إلى ابن أبي العباس ثعلب . بسم الله الرحمن الرحيم ، ياسيدي ورئيسي وأستاذي ومن أكثر تضرعي إلى الله أن يزيد في أنفاسه ، ويمتعني والفضل بتراخي حياته ... ،هذا يا سيدي أيدك الله آخر ما وجدته بخط أبي عبيدة .. ، ثم وجدت ذلك بخط ثعلب فنقلته وأضفته إلى ما نقلته من خط ابن المعتز))[١] . وكذلك قوله : ((نقلت من خط يعقوب بن السكيت من قبيل طي لعامر بن جوين الطائي ... ثم رأيت هذه القطعة بخط أبي عمرو الشيباني))[٢] .

فالبغدادي في الخبرين السابقين يذكر سـنداً آخر للخبر ويـــجعله خاتمة له ، ولعل التكرار في السند في البداية والخاتمة والتنوع فيه ، مبالغة في التأكيد على صحة الخبر ، ولعل ذلك عائد الى ميل العرب لمقابلة المكتوب مع المكتوب من أجل التحقيق.

وتُشكّل العناية بالخاتمة الشعرية بنية مهمة بين أشكال الخاتمة في كتاب النصوص ٠ فكثيراً ما وظّف البغدادي النصوص الشعرية خاتمة لأخباره. إذ تلتحم النصوص الشعرية بالنثرية لتقدم لنا أخباراً تامة ذات خاتمة مؤثرة وموحية . ومن نماذج ذلك قول البغدادي : ((دخل أبو العمرط العقلي مصر ، فمرض وحنَّ إلى البادية . ومرَّ به عطار ينادي على عطره ، فدعاه وقال له : ما معك ؟ فعرض عليه أنواع العطر والأدهان . فقال له : أما معك من الخزامي شيء ؟ فقال : وما تعمل به . قال : أشمه ، أستروح به بلدي . فقال : ما معي . فأنشأ يقول (طويل) :

عَجَبتُ لعـــــطّارٍ أتانا يسومنا

بِدَســكرةِ الفيَوم دهـــــنَ البَنفسج

---

[١]كتاب الفصوص : ٣ / ٢٩٠ .
[٢]المصدر نفسه : ٢ / ٢٤٧ .

فويحكَ يا عطّارُ هـــــــلّا أتيتنا

بِضــغثِ خُزامى أو بِخوصةِ عرفج

فإن كُنت تَبغي الرّبــح فأركب جلالةً

الى علم الصّمدينِ أو صرحِ مَذحج

لَعـــــــلّك تأتيني بــها وَهــي طَلّة

رَعَت مِن ذُراها ظَبية أُم عَوسج))[1]

إنّ الخاتمة الشعرية في هذا الخبر حملت بــين طيّاتها حنين العقلي إلى باديته ، فهو يجد راحته بشم الخزامي ؛ لأنها تذكره بذلك الموطن . ويمكن القول إنّ السارد كان موفقاً في هذه الخاتمة ،لأنّ نظم العقلي مشاعره شعراً أكثر تأثيراً في نفس المتلقي من سردها نثراً ، فالشعر كما يُقال يخاطب القلب قبل العقل .

ومن أمثلة الأخبار التي خُتمت شعراً الخبر الآتي :((كان المسور بن مخزمة متألها ، فرأى بعض الجند يحمل شراباً لأمير المدينة ، فأراق الشراب وكسر الآنية ، فأخذه أبـــو خالد وكان على المدينة فجلده . فقال وهو يجلد (طويل):

وَيَشربُها صِرفاً يفضُّ خِتامها

أبو خالدٍ ويُجلد الحدَّ مِسورُ))[2]

يمكن القول إنّ الخاتمة الشعرية في الخبر السابق قـد بُنيت على عنصر المفارقة في الأحكام ، لأنّ عقوبة شرب الخمر هي الجلد ، إلا أنّ هذه الخاتمة جاءت خلاف ذلك ، فشارب الخمر بعيداً عن العقوبة بينما يتلقاها من نهى عن ذلك ، ولعل هذه الخاتمة الشعرية جيء بها لنقد السلطة الحاكمة آنذاك .

ومن نماذج ذلك قول البغدادي في أحد أخبـــاره بـــعد سند طويل : ((قدِم عبد الله بن

---

[1] كتاب الفصوص:٢ / ٣٣١، ولم نجد نسبة لهذه الأبيات في المصنفات الشعرية ، الجلالة : الناقة الضخمة .

[2] المصدر نفسه : ٢ / ٢٩٨، والبيت للمسور بن مخزمة بن نوفل بن عبد مناف ، وكان يعدل بالصحاب وليس منهم ، وقد روى قوم عنه انه سمع عن النبي توفي سنة ٦٤ هـ يُنظر المعارف : ابن قتيبة : ٤٢٩ .

جعفر على معاوية ، وكان دهقان أصبهان قد قدِم على معاوية في بعض أموره ، فطال مقامه ولم يجد أحد يكلمه في حاجته ، فقصد عبد الله بن جعفر فقال : يا ابن عم رسول الله إنّ لي حاجة إلى أمير المؤمنين ، ونفسي طيبة ببذل ألف ألف درهم عنها . وأنت أولى من قام بها وتوفر عليه حمدها وأجرها ومنفعتها . فلما ودع عبد الله بن جعفر معاوية عرّفه خبر الدهقان ، فقال معاوية : كنت على أن أصلك بألف ألف درهم فقد ربحناها . فقال : أجل يا أمير المؤمنين ، فقد ربحتها وأربحتني ثناء الدهقان وشكره، فلما خرج عبد الله بن جعفر من عند معاوية لقيه الدهان فقال له عبد الله : قد قضى أمير المؤمنين حاجتك ، فأنكب على أطرافه فقبلها ، وانصرف إلى منزله وحمل المال إليه . فردها وقال : ما كنت لأخذ على معروف أجراً . فبلغ الخبر معاوية فحمل إليه ألف ألف . فردها وقال : ما كنت لأقبل شيئاً جعلته عوضاً من حاجة شُكِرت عليها . فقال معاوية : والله ما يسرني إنّ عبد مناف لم يلده ، ولوددت أن أبا سفيان ولده ثم تمثل ببيت زهير (طويل) :

وَهَل يُنبِت الخَطِّيّ إلا وَشِيجُه

وتُغرسُ إلّا في مَنابِتِها النّخلُ)) [1]

ختم السارد خبره ببيتٍ جعله خلاصة الخبر ،اذ إنّ الأصل الحسن يخرج نباتاً حسناً ، أما القوس فلا يخرج منه إلا سهم مؤذ ، ولعل هذه الخاتمة قابلت بين أصلين مختلفين إنحدر منها فرعان ، قد إختلفا أيضاً ، وهو ما دلَّ عليه الخبر الذي دار عن الخُلق الحسن الذي تحلى به عبد الله بن جعفر ، ويمكن القول إنّ السارد قد قدّم للقارئ نصا شعريا تصويريا معروفا لدى القارئ ليُعضّد فيه رأيه ، ويوضح للقارئ مقصده ٠

ومما تقدم يمكن القول إنّ هذا التنوع في خواتيم الأخبار لدى البغدادي يعكس لنا التنوع الثقافي الذي يتمتع به فضلاً عن إبتعاده عن التكرار وإلتزام نوعٍ واحدٍ من الخاتمة ، بغية إبعاد القارئ عن الملل الذي يمكن أن يشعر به ، وزيادة في التأثير في نفس المتلقي ، ويمكن أن نضيف سبباً آخر لهذا التنوع ، وهو تنوع مادة الأخبار نفسها والتي تقود بدورها إلى تنوع استهلالاتها وبالتالي خواتيمها ٠

---

[1] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٩٠ ـ ٢٩١، والبيت للشاعر زهير بن أبي سلمى يُنظر ديوانه : ٤٤ ، وللاستزادة يُنظر مثلاً كتاب الفصوص: ٤ / ٢٨٩ ، ٣ / ١٠٤ ، ٣ / ٢٠٤ ، ١ / ١٣ .

الفصل الثاني
عناصر بناء النص الخبري

المبحث الاول :الراوي ٠

المبحث الثاني :المروي ٠

المبحث الثالث :المروي له

المبحث الأول

الـــــــــراوي

يُعد الراوي أحد أقطاب البنية السردية للنصوص الأدبية ، إلى جـــــــانب المروي والمروي له . فهو تلك القوة التي تنهض بفعل السرد والحلقة الواصلة بين المروي والمروي له .

وعلى الرغم من تعدد هذه الأقطاب إلا أنّ القارئ يـشعر بإنسياب السرد إليه من دون أن يعرقل هذا ذلك التعدد . كما إنّ الانسيابية والعفوية في سرد الأحداث لا تلغي تواجد هذه العناصر حتى في المرويات الشفاهية القديمة . الأمر الذي يدعونا إلى القول بأنّ ظهور هذه الأقطاب ما هو إلا ((صورة إستمدت وجودها من نمط الإرسال الشفاهي الذي كان مهيمناً زمناً طويلاً في البيئة الثقافية للمجتمعات البشرية))[١] . إلا أنّ المرويات الشفاهية لا توجد إلا بحضور جلي لراوي ومروي ومروي له ، على حين إنّ النص الكتابي يحجب عن النصوص الكتابية صفة إشهار مكونات بنيتها السردية ويستبدلها بنوع من التمثيل والمحاكاة لتلك المكونات إلا أنّ ذلك لا يلغيها[٢] . إذ ((لا يتصور أن يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل من جهته))[٣] .

لذلك يمكن القول إنّ الراوي يمثل وسيطا بين الأحداث ومتلقيها[٤] . وهو ((الصوت الخفي الذي لا يتجسد إلا من خلال ملفوظه))[٥] . كما إنّ مفهوم الراوي ينطلق من كونه شخصية تخيلية أو كائناً ورقياً حسب بارت . ففي الوقت الذي يكون فيه للـــراوي وجود حيوي وفــاعل داخــل النص ، فإنّ المؤلف / الكــاتب / الروائي يتمتع بحرية قصوى خـــارج قوس النص . بمعنى إنّه يجعل الـــــراوي جزءاً من اللعبة الــروائية التخييلية [٦] .

---

(١) السردية العربية : عبد الله إبراهيم : ١٥ .
(٢) يُنظر المصدر نفسه والصفحة .
(٣) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني : ٤٠٦ .
(٤) يُنظر معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ١١١ .
(٥) المتخيل السردي : ٦١ .
(٦) يُنظر الرواية العربية البناء والرؤيا : سمر روحي الفيصل : ٣٠ .

أو ((أداة وظيفية دالة))[١] .

ولا شك في أنّ هناك مسافة فاصلة بين الروائي والراوي فهذا لا يساوي ذاك ، إذ إنّ الراوي قناع من الأقنعة العديدة التي يختفي خلفها الروائي لتقديم عمله [٢] .

وتكمن أهمية الراوي كونه مانحاً للسرد إذ إنّ ((نقل الوقـــائع وتقديمها في قالب لغوي ـ شفاهي أو كتابي ـ يستوجب حضور هيئة تلفظ ، هي شخصية السارد ، التي تقوم بالتعبير عن هذه الأفعال والأحداث العاجزة عن التعبير عن نفسها بنفسها))[٣] . إذ يأخذ الراوي على عاتقه مهمة سرد الحوادث ووصف الأماكن وتقديم الشخصيات وغير ذلك ، فهو أكثر شخوص السرد إنتاجاً للكلام [٤] .

وقد إقترن الحديث عن الراوي بمصطلحات عدة مثل الـــــــرؤية ، وجهة النظر ، التبئير والمنظور . وهذه المصطلحات دالة على مدلول واحد وهو طريقة عرض الراوي للقصة والأسلوب الذي يعتمده في تقديم الأحداث [٥] .

---

[١] الراوي الموقع والشكل : يمنى العيد : ٧ .
[٢] يُنظر من البنيوية إلى الشعرية : رولان بارت ، جيرار جينيت ، تر : غسان السيد : ٤٤ .
[٣] البنية السردية في شعر الصعاليك : ضياء غني لفتة : ١٥٨ .
[٤] يُنظر المتكلم في الخطاب الروائي : إبراهيم جنداري ، (بحث) : ٨ .
[٥] يُنظر بناء الرواية : ٨ ، تحليل الخطاب الروائي سعيد يقطين :٢٨٤ ، صنعة الرواية: برسي لوبوك ، تر :عبد الستار جواد: ٢٢٥ .

المطلب الأول

أنماط الـــــــراوي

لم يغفل أصحاب الدراســات السردية عن دراسة وضعيات الــراوي في الحكي ، والنظر إلى الوظائف السردية الهامة التي يؤديها ، وعلاقته بالأحداث السردية .فالأحداث التي يتألف منها النص السردي لا تُقدّم نفســها بنفسها بل يتولى تقديمها على الأقل راوٍ واحد على وفق منظور معين ، يدخل في علاقة وثيقة بصوت الراوي وبالموقع الذي يرسل منه حكيه[١] .

وإستناداً لما تقدم يمكن أن نجد ثلاثة أنواع من الرواة في أخـــبار البغدادي هي :

أولا ـ الراوي الممسرح .

ثانيا ـ الراوي غير الممسرح .

ثالثا ـ الراوي شبه الممسرح .

أولاً ـ الـــراوي الممسرح :*

يُعرّف الراوي الممسرح بأنه راوٍ حاضر في الحكاية التي يروي أحداثها بضمير المتكلم في الغالب[٢] . إذ لا يتمسرح الراوي في النصوص السردية إلا حينما يكون ظاهراً حاضراً على شكل شخصية واضحة ، ويسرد مرويه باستعمال ضمائر الكلام والخطاب ، إذ يكون الـ (أنا) في الوقت نفسه سارداً وشخصية ، سواء أكانت رئيسة أم ثانوية مؤثرة أم غير مؤثرة [٣] . ويستعمل هذا الراوي ((ضمير المتكلم وضمير الغائب ولكن مع الاحتفاظ دائماً بمظهر الرؤية مع))[٤] . فحينما ينوجد مثل هذا الراوي ينوجد إسلوب السرد الذاتي والتئبير الداخلي [٥] .

---

[١] يُنظر الشعرية : تودروف ، تر : شكري المبخوت ، رجاء سلامة : ٥٠ .

* للراوي الممسرح تسميات أخرى منها : الراوي الداخلي ، جواني الحكى ، المتضمن في الحكاية ، يُنظر مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا : سمير المرزوقي ، جميل شاكر: ١٠٢ ، تحليل الخطاب الروائي : ١٠٩ ، السرد في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : أحمد علواني : ١٦٩ ، الصوت الآخر: فاضل ثامر : ١٨٢ .

[٢] يُنظر مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٢ ، المصطلح السردي :جيرالد برنس ، تر : عابد خزندار : ١٠٦ .

[٣] يُنظر الراوي والمروي له دراسة في البنية السردية في المملكة السوداء : هشام يونس ، (رسالة ماجستير) :١٣ .

[٤] بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : حميد لحمداني : ٢٥ .

[٥] يُنظر الراوي والمروي له : ٢٥ .

ويمكن التمييز بين وضعين ممكنين يتـجلى فيهما الــراوي الممسرح في النصوص السردية وهما [١] :

أ ـ وضع يكون فيه الراوي بطل سرده .

ب ـ وضع يحتل فيه الراوي دوراً ثانوياً حين يظهر شاهداً على الأحداث .

١ ـ الـــــراوي البطل :

وهو الــراوي الذي ((يروي ما حدث له))[٢] ، ويلفظ السرد باستعمال ضمير المتكلم [٣] ، وهذا الــراوي يلعب دور البطولة والرواية في آن واحد . ففي الوقت الذي ((يتولى الراوي فعل القص فإنه يشارك الشخصيات في صياغة الأحداث ويتزاحم معها في صراعها مع الزمان))[٤] .

وتسمى طريقة هذا الراوي في رسم الشخصيات والأحداث بـ (السرد المتجانس) ، لأنّ الكاتب ينأى بنفسه جانباً ليتيح للشخصية التعبير عن نفسها [٥].

ويتجلى هذا النوع من الرواة بوضـوح في الخبر الآتي : ((قال مـــــحمد بن أيوب الرسعني : حجَّ محمد بن أبي ربعي الكوفي سنة ست وأربعين ومائتين وأحجني معه ، فقال لي في طريق مكة أنشدني ما حضرك ذكره من شعر أبي تمام ، فلم يحضرني إلا أبياته إلى إلياس يذكر فيها مرضه (بسيط) :

إلياسُ كُنْ في ضمانِ الله والذَّمم

ذا مُهجةٍ عن أظافيرِ الرَّدى حرَمِ

إنَّ الرّياحَ إذا مَا أَعصَفَت قَصَفت

عِيدانَ نجدٍ وَلَـم يَعرضنَ للـــــرَّتمِ

---

[١] يُنظر مدخل إلى نظرية القصة : ٣٠ .
[٢] السردية العربية : ١٥ .
[٣] يُنظر مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٢ .
[٤] الراوي والنص القصصي : عبد الرحيم الكردي : ١٢٠ .
[٥] يُنظر البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة : ميساء سليمان :٥٣ .

... فقال لي : أعد عليّ الابيات . وظننت إنه استحسنها ، فأعدت . فقال لي : أنتم معشر الأحداث تعجبون بشعر هذا الرجل ، ولا تدرون ما فيه من العجب ، فقلت له : أو في هذه عيب ؟ فقال لي : ويحك أما سمعت كيف يقول : إنّ الرياح ، الى أخره . إلا تعلم أنه إنما ضرب بالنبح له مثلاً وقد ذكر الرياح تقصفه ، فخاطبه بهذا وهو مريض ، أفليس قد دق ظهره وقصفه ، ونعى إليه نفسه ...))[1] .

في هذا الخبر نجد الراوي الممسرح والمتموضع داخل النص هـــــــو الراوي / الشخصية / البطل . فالأحداث تعرض على لسانه ، وتدور حوله . وهو الراوي الوحيد في الخبر إذ لا نسمع صوتاً من أصوات شخصيات الخبر إلا على لسانه ،عندما يعرض ما دار بينهما من حوار بينه وبين محمد الكوفي بوساطة الألفاظ (قال ، قلت) . ونلحظ أنّ الراوي في هذا الخبر قد جعل مسافة فاصلة بينه كراوٍ للخبر من جانب ، وكشخصية رئيسة من جانب آخر .

والراوي الممسرح ينقل لنا الأحداث حسب رؤيته الذاتية التي ((تُسفر بوضوح عن أفكارها ومواقفها ، وتوقد فيها شرارة السجال الفكري حـــول الفكرة الجوهرية))[2] . إي أن الـــراوي البطل يتحدث عن رؤيته للأحـــداث مدافعاً عن وجهة نظره في ما يطرقه من أفكار .

ويمكن أن نتلمّس هذا في قول البغدادي في أحد أخباره : ((حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلت أنا وطريح والحسين بن مطير ، وعدة من الشعراء على الوليد وعنده رجل قد غاب في الفرش . قال : وإذا ليس رجل ينشد شعراً إلا التفت إلى الخليفة فيقول : هذا البيت أخذه من كذا ، حتى يأتي على القصيدة . قلت : من هذا ؟ قالوا : حماد الراوية فلما وقفت بين يديه قلت : ما كلام مثل هذا في مجلس أمير المؤمنين ، وهو لحانة ؟ قال :فتبسم الشيخ ثم قال :يا أبن أخي أنا رجل من العامة أتكلم بكلامها ، ولكني أعلم الناس

(1) كتاب الفصوص : ٥ / ١٩، والأبيات للشاعر أبي تمام يُنظر ديوانه : ٣/ ٢٧٩-٢٨٠ .
(2) المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة : عبد الله ابراهيم : ١٣٣ ـ ١٣٤ .

الشعر ، أفتروي من الشعر شيئاً ؟ فذهب عليّ الشعر إلا شعر أبن مقبل . فقال : أنشدني . فأنشده (طويل):

سَلِ الدَّارَ مِن جَنْبَي حِـــــبرٍ فواهبٍ

إلى مَا رأى هُضبَ القليب المضيَّح

وذهبت أجور ، فقال لي : مكانك ، أي شيء يقول ؟ فلم أَدِر ما أقول .قال :يا ابن أخي يقول : رأى الموضع إذ قاله ، أنشد فلا بأس عليك ، ثم جاء شرطي فقرع ظهري بسوطه فأرجعني . فقال لي حماد : يا ابن أخي ذهب ما كنت تعهد ٠وأخرجت من عند الـــوليد وحُرِمت))[١] .

يظهر لنا مروان بن أبي حفصة في هذا الخـــــــــبر بمهمتين الأولى : توليه دور الشخصية الرئيسة في الخبر ، إذ نجده يؤدي دوراً مهماً في أحداثه ، والثانية : رواية أحداث الخبر٠ إذ ينقل لنا ما دار من حوار بينه وبين حمّاد الراوية ، مفصحاً عن رأيه الخاص ، مدافعاً عنه عبر ما دار بينهما من حوار ، لينتهي الخبر بغلبة حماد الرواية . ولعل أبرز ما يمكن أن نلحظه في هذا الخبر هو حيادية الراوي عبر نقله الحادثة كما وردت دون الاكتفاء بعرض آرائه المقبولة، وحجب ما رُفِض منها، كذلك تصريحه بما آل إليه بعد تلك الحادثة .

وهذا النوع من الرواة يكون متواجداً في النسيج الداخلي للخبر ، إذ يقـــــدّم دوراً بارزاً في تكوينه ، فهو ((لا يقف وراء الأحداث بل ينفعل ويتفاعل معها))[٢] . وهذا ما يمكن أن نلحظه في الخبر الآتي وما سبقه من أخبار يقول البغدادي : ((حدثنا أبو العباس ثعلب قال : كنا عند أحمد بن سعيد ابن سلم ، وعند أحمد جماعة من أهل البصرة منهم أبو العالية ، والسدري ، وأبو معاوية ، فجرت بيننا وبينهم أبيات الشماخ ، فخضنا فيها الى أن ذكرنا قول إعرابي (بسيط):

إِذَا دَعَـتْ غَوثهَا ضَرَّاتُها فزَعَتْ

أَطباقُ نَيٍّ على الأثباجِ مَنضُودِ

---

[١] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، والبيت للشاعر ابن مقبل يُنظر ديوانه :١٨ ٠

[٢] الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة :موريس أبو ناصر: ١١٨ .

قال أبو العباس : فقلنا : أبن الإعرابي يقول : (قُرعِت) فضحكوا من ذلك . فنحن كذلك إذ دخل ابن الإعرابي ، وكان إذا جاء من عند أبي الوليد ، يصير إلى الفضل أو إلى أحمد أو إلى عبد الحميد ... فلما جاء إلى أحمد سألته عن الأبيات وألححت عليه في السؤال ، فإنقبض من إلحاحي . ودعا أحمد بالطعام ، فلما أكلنا تنحى ابن الإعرابي وأحمد ناحية فقمت إليه فقلت : ما لك قد انقبضت ؟ قال : لأنك ألححت . قلت : كنت مع هؤلاء القوم في هذه الأبيات ...))[١] .

إنّ القارئ لهذا الخبر يلحظ بسهولة التواجد الداخلي البطولي للراوي منذ بداية الخبر ، ويستمر هذا التواجد إلى نهاية الخبر ، ويمكن أن نلحظ ذلك عبر تردد عبارات الراوي التي توحي بتواجده كقوله (فجرت بيننا ، فخضنا فيها ، اجتمعنا عنده ، ...) . كما يمكن أن نلحظ بطولة الراوي في عبارات منها قوله (سألته عن الأبيات ، ألححت عليه ، فقمت إليه ...) فمن هذه وتلك يخرج القارئ بخبر نقله له راوٍ ممسرح ، بطل في مرويه .

ب ـ الراوي المشاهد :

الراوي المشاهد هو راوٍ حاضر لكنه لا يتدخل ، بل يكـــــون دوره الأساس رواية الأحـــداث من دون المشاركة فيها ، كما إنّه يتواجد داخـل النص ليقوم بدور المـراقب ، فهو يرى ويسمع ويشاهد من دون أن يشارك ، وهو بذلك مفارق لمرويه [٢] .

ويمكن القول إنّ الراوي المشاهد ((عين تلتقط وتتـــــابع المشهد المتحرك))[٣] .

ويكون مرويه موضوعياً كونه لا يروي عن نفسه بل يروي قصة لشخصيات أخرى [٤] .

ولعل شخصية أبي الحسن بن مهدي الواردة في أحد أخبار البـغدادي يمكن أن تمثل هذا النوع من الرواة . إذ تروي هذه الشخصية أحداث خبر كانت حاضرة فيها ، إلا أنها لم تشارك . يقول البغدادي : ((حدثني أبو الحسن علي بن مهدي رحمه الله قال : حضرت أبا

---

[١] كتاب الفصوص : ٥ / ١٦١ ، والبيت للشماخ يُنظر ديوانه : ٢٣ .
[٢] يُنظر السرد في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ١٦٤ .
[٣] الراوي الموقع والشكل : ١٢٦ .
[٤] يُنظر الراوي والمروي له دراسة في البنية السردية في المملكة السوداء : ٢٦ .

بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري وهو في علز الموت ، وأبوه عند رأسه يبكي عليه ، ويندبه بما يفتت الجلاميد حزناً عليه وأسفاً ، فكان يُعزى ويُقال له بما جاء في ثواب الصابر . فيقول : يا قوم ما أبكي عليه ، وإنما أبكي على هذه الخزانة التي يحفظها عن آخر ورقة ، وفيها من إلوف الأوراق مالا أُعدها كثرة ...فأي عزاء عن هذا وأي صبر بعده))[١] .

فالراوي الممسرح حاضر في الخبر إلا أنّه غير مشارك فيه ، فهو يروي ما شاهده (أبوه عند رأسه) وينقل ما سمعه (فكان يعزى ويقال له ، فيقول) . أي أنّ الراوي ينقل أحداثاً لم يشارك فيها ، ويروي نصوصاً ليست له بها صلة ولم توجه إليه . وهو بذلك نقل لنا أحداث الخبر عبر ملاحظته أفعال الشخصيات ، ورصد إنفعالاتها ، من دون الولوج إلى بواطنها أو أعماقها الداخلية .

ويسمح مفهوم الراوي المشاهد للكاتب أن ((يحيد بنفسه ، وبأن يتقدم للقارئ بوصفه ناقلاً للمروي ، فتقنية الراوي المشاهد ... تعادل تقنية آلة التصوير في العمل السينمائي))[٢] .إذ إنّ وظيفة كل منهما إلتقاط المرئي ونقله إلى المروي له .وهذا ما يوضحه الخبر الآتي ، يقول البغدادي : ((روى شعبة بن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنّا عند النبي في صدر النهار ، فجاءه قوم حفاة عراة ، مجتابي النمار ، متقلدي السيوف ، فسلموا ، وبايعوا ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ،فلقد رأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتغير لما رأى بهم من الضر ...))[٣] .

ففي هذا الخبر نحن أمام راوٍ / كاميرا يصف لنا مشهد هذا اللقاء . وهو لاشك فيه راوٍ حاضر إذ ليس من المعقول أن ينقل لنا كل هذا الحوار وهو على مسافة بعيدة لا تسمح له بالسماع . ودليلنا قوله (كنا عند النبي) . كما إنّ السرد الدقيق الذي نلمحه (فجاء قوم حفاة عراة متقلدي السيوف ، رأيت وجه النبي يتغير) يرسخ فينا القناعة بحضور الراوي . ومع ذلك فإننا لا نجد في هذا الخبر سوى وصف خارجي دون تدخل في تحليل أو تأويل لهذه الأفعال ، بل إنّ الراوي يكتفي بعرض المشهد عرضاً درامياً بما يحويه من أفعال

---

[١] كتاب الفصوص : ٥ / ٩

[٢] تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : يمنى العيد : ٩٠ .

[٣] كتاب الفصوص : ٢ / ١٥٥٧ ـ ١٥٨ .

وحوارات .

ونتيجة لكون الراوي المشاهد متمثلاً في الحكي ، فإنه قد يتدخل في سيرورة الأحداث ببعض التعاليق أو الإشارات التي يمكن أن نتلمسها ونلحظ وجودها في السرد[١] . ويمكن أن نجد ما يمثل ذلك في قول البغدادي في أحد أخباره : ((روى لي أبو النضر قاضي هيت عن أبيه ، عن أبي حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة قال : سُئِل أبو مهدية الإعرابي ، وأنا حاضر في قول الله تعالى (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً) فقال : الأعراب هم والله مادة الإسلام كذبتم والله ، وإنما قلبتموها كما تقلبون الشعر . فقلنا : كيف هو ؟ قال : الأعزاب أشد كفراً وقد بلغني إنهما في الخط واحد...))[٢].

فالراوي في هذا الخبر يقدم لنا الأحداث من الداخل بعدّه أحد شـــــــخصيات الخبر الثانوية، إذ ينقل لنا ما دار بين شخصيات الخبر بإسلوب محايد . إلا أننا ســـرعان ما نجد الراوي يتدخل مع بعض شخصيات الخبر ليوجه الحديث عبر قوله (فقلنا كيف هو ؟) . إذ تكشف لنا هذه العبارة عن مشاركته في الأحداث ، إلا أنّ هذه المشاركة لم تنقله إلى دور البطولة بل تُبقي عليه راوياً شاهداً حاضراً في النص غير مشارك فيه إلا بما يحقق له وجوده الثانوي .

٢ ـ الراوي غير الممسرح :*

يراد به الراوي ((الذي يحكي قصة غير مشارك فيها ومن الخارج))[٣] . فـــهو ليس من شهود الأحداث ، ولا من الشخصيات المساهمة في صنعها ، فدوره لا يتجاوز سوى الإبلاغ عن المروي . وفي هذه الحالة ((يُختزل السارد إلى مجرد فاعلية (تتحدث) ولكن هذا لا يقلل من قيمته ، إذ من دونه ما كان المحكي ليصلنا . إنه الوسيط بيننا وبين

---

[١] يُنظر بنية النص السردي : ٤٤٩ .
[٢] كتاب الفصوص : ٣ / ١٤٠ ، سورة التوبة : آية ٩٧ .
* هناك عدة تسميات أخرى للراوي غير الممسرح منها الراوي الخارجي ، والراوي براني الحكى ، الراوي كلي العلم والراوي الغريب عن الحكاية . يُنظر الصوت الآخر : ١٨٢ ، مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٢ ، تحليل الخطاب الروائي : ١٠٩ ، السرد في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ١٦٩ .
[٣] تحليل الخطاب الروائي : ١١٠ .

عالم يعرفه هو ونجهله نحن))[١] .

ويتميز هذا النوع من الرواة بإعتماده على السرد الموضوعي والرؤية من الخلف[٢] ،كما إنّه لا يوحي لنفسه بضمائر الكلام ولا يخاطب المروي بضمائر الخطاب بل يتستر خلف ضمير يدل على شخص مجهول [٣] .

ويتجلى هذا النوع من الرواة واضحاً في الخبر الآتي : ((حدثني محمد بن موسى الواسطي قال : كان قريش مؤدب المؤتمن وهو القاسم بن الرشيد ، قال : فصار الفراء إلى المؤتمن معلماً عليه، فقال الفراء لقريش : أين بلغ الأمير ؟ يعني من النحو . فقال له قريش : سَلْه . فقال الفراء للمؤتمن : كيف تقول : إنَّ مَا ضَرَبتُ زيداَ ؟ فقال له المؤتمن : إنَّما أقول : إنّ ما ضربتُ زيدٌ . فقال له الفراء : وأين تجد (ما) في معنى (من) قال له : من القرآن . قال : وأين ؟ قال : قال الله عز وجل ((أوما ملكت أيمانكم)) معناه أو من ملكت أيمانكم .فقال الفراء فقمت وقد حُمِمتُ يعني إنه ذهب عليه ما فطن المؤتمن))[٤].

إنّ الراوي في هذا الخبر يروي من الخارج أحداثاً لم يشارك فيها ، ولم يكن شاهداً عليها بل جاء مستقلاً يروي ما سمعه من رواة آخرين ، وهم الذين نصَّ عليهم في ذكره لسند الخبر . إلا أنّ الراوي كان محيطاً بأحداث الخبر، إذ قدّم لنا شخصياته بمسمياتها وما دار بينها من حوار ، فضلاً عمّا نثره في طيّات الخبر من إيضاحات التي تنم عن كلية علمه كقوله (يعني من النحو ، يعني إنه ذهب عليه ما فطن المؤتمن) ، وهذه العبارات لا تصدر عن شخصية خارجية عن الحدث إلا إذا كان قائلها راوياً كلي العلم .

ويتموضع هذا النوع من الرواة في زاوية خارجية تبعد عن الشخصيات القصصية ، وهذا الموضع جعله على معرفة بكل ما يدور في القصة ، سواء أكان موضوع

---

[١] نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: جيرار جينيت وآخرون ، تر : ناجي مصطفى : ٩٨ .
[٢] يُنظر المتخيل السردي : ١٢٠ .
[٣] يُنظر السردية العربية : ١٦٠ .
[٤] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٢٩ . سورة النساء : الآية ٣ .

هذه المعرفة داخل الشخصيات أم خارجها ، وسواء كان زمن هذه المعرفة الماضي أو الحاضر أو المستقبل [١] .

ويمكن أن نلحظ أثر ذلك الموضع في خبر البغدادي الذي رواه الـــقاضي أبو بكر إذ يقول فيه : ((قدم حبيب الرملةِ ، فأتى دكان أبي جعفر بن العباس الصيدلاني ، وكان مألفاً للأدباء ، وكان محدثاً كريماً ذا جاهٍ عريض ، يعترض على السلطان ، ويأمره وينهاه ، ولا يرد السلطان له رأياً ، وكان يألفه أدباء الرملة وشعراؤهم ، وكان ممن يألفه بها من الشعراء أبو الصعب الأزدي ، وأبو فروة العتابي . قال : فكان إذ صار إليه الشاعر وجه إليهما فأتيا ،فإن كان حاذقا أجلوه ،وإن كان ممن يجب الاستهزاء به فضحوه . فلما صار إليه حبيب ، وذكر إنه شاعر وجه إليهما كما كان يوجه في أمثاله ، فسأله عن إسمه ونسبه فخبره ،وإستنشده فأنشده ... فاستحسنها أحمد بن أبي العباس ، وأقبل القوم يتهافتون فأشار إلى أحمد من وراء ظهر حبيب ، فأومأ بالسؤال عنه ، فأشار إليهما أن ليس هذا ممن تتهكمان به ...))[٢] .

يمكن القول إنّ الراوي في هذا الخبر يسير على نمط الرؤية مـــن الخلف ويتضح ذلك بتحليله النفسي لدواخل الشخصيات وسلوكها . إذ كشف للقارئ عن طريق إظهاره لباطن شخصيته سبب علو المكانة التي إحتلها أبو جعفر بين الأدباء والحكام . فضلاً عن ذلك فإنّ التذكير بالأحداث السابقة التي ذكرها الرواي تكشف عن هيمنة الراوي الخارجي على الخبر على طول مسافة السرد ، فهو الذي ينظم الأحداث ، ويعلل وقوعها ، ويقدم الشخصيات الواحدة تلو الأخرى ، ويتلاعب بزمن السرد .

ويظهر هذا النوع من الرواة ـ غير الممسرح ـ في الاطــار الخارجي للنص السردي بوصفه المؤطر للحكاية والمقدّم للسرد العام[٣] . ويمكن أن نلحظ ذلك في الخبر الآتي . يقول البغدادي : ((عن ابن الكلبي عن أبيه قال : زار عمرو بن معد يكرب ابن أخت له يقال له قيس بن عبد يغوث و كان فاتكاً قتّالاً للرجال . فدخل عليه في قبة له ، فأبصر سيفه

---

[١] يُنظر بحوث في الرواية الجديدة : ميشال بوتور ، تر:فريد انطونيوس : ٦٤٠ .
[٢] كتاب الفصوص : ٥ / ١٤ .
[٣] يُنظر السرد في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ١٦٩ .

في جانب القبة فقال : ما هذا السيف ؟ قال : هذه الصمصامة . فقال قيس : ناولنيها لأنظر إليها . فناوله ، فلما قبض على قائمه قال : ما ترى يا خال ؟ قال : صارم بيدي كريم ، قال : واللات والعزى ومنزل الحجيج بمنى لولا حسن جوابك وصلة الرحم لصرت صريمة العادي القضيم ، فدونك سيفك فخذه ولا تمكن منه أحداً بعد هذا ...))[١] .

إنّ الراوي في هذا الخبر يتجلى لنا في بداية الخبر سارداً كليَّ المـــــعرفة يدير دفة الأحداث منذ إستهلالها ،فهو((ينسحب من داخل السرد تماماً ليظهر خارجه ... مع بداية كل حكاية إطارية))[٢] .إذ رسم أمام المتلقي الأبعاد الأولى للخبر . إلا أننا لا نلمح له وجوداً ظاهراً في ثنايا الخبر ، بل يتجسد صوتاً سردياً ينقل ما سمعه من أحداث وحوارات وأوصاف وغير ذلك .

٣ ـ الراوي شبه الممسرح :*

يمكن أن نُعرّف الراوي شبه الممسرح بأنه ((راوٍ ليس له شخصية مـــحدودة في بنية الخطاب السردي ، ولا ينحصر فيها إلا من خلال رواة آخرين يسندون إليه السرد أو ينقلونه عنه))[٣] .

ويتجلى هذا النوع من الرواة في إفتتاحية الأخبار عبر ((عبارات وجمل تجنح نحو القدم والتعتيم))[٤] ، يلجأ إليها السارد ليلقي بالمسؤولية على شخص مبهم ، وبذلك يعلن براءته عن كل ما يروي [٥] . ولا يعطي هذا النوع من الرواة للبنية السردية إلا حق ظهورها ، أما صياغة مكوناتها فَتُوكَل للرواة الذين يقعون دون مستواه [٦] .

---

(١) كتاب الفصوص : ٤ / ٣٨ .
(٢) السرد في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ١٦٩ .
* يسمى الراوي شبه الممسرح أحياناً بالراوي المجهول ، يُنظر السرد في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ١٦٤ .
(٣) الراوي والمروي له دراسة في البنية السردية في المملكة السوداء : ١٤ .
(٤) السرد في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ١٦٤ .
(٥) يُنظر الراوي والنص القصصي : ٩ .
(٦) يُنظر السردية العربية : ٩٩ .

ومن هذا النوع ما نقرأه في أحد فصوص البغدادي والذي يـقول فيه : ((ذكروا أنّ عمر بن الخطاب سأل رجلاً من أهل الطائف الحُبلة خير أم النخلة ؟ يعني شجرة الكرم . فقال الطائي : الحُبلة أتزينها وأتسننها ، وأُصلح بها برمتي ، يعني الخل ، وأنام في ظلها . فقال : لو حضرك رجل من أهل يثرب ردّ عليك قولك . قال : فدخل عبد الرحمن بن محصن النجاري ، فأخبره عمر خبر الطائفي . فقال له : ليس كما قال ، وإني إن آكل الزبيب أخرس ، وإن أدعه أغرث ، ليس كالصقر في رؤوس الرحل الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل ...))[١] .

يمكن القول إنّ المرسل الأول للخبر راوية مجهول تدل عليه صيغة سـردية وردت في إستهلال الخبر وهي قول البغدادي (ذكروا) ، ولعل السارد سعى بهذا التعميم ـ كما يرى العلواني ـ الدلالة على أنّ هذا السرد يحدث في أي زمان ، ويقع في أي مكان وبطله أي شخصية[٢] . وقد عضّد الكـاتب تعميمه للخبر بجعل الشخصية مجهولة أيضاً (سأل رجلاً من أهل الطائف) .

وقد يأتي الراوي شبه الممسرح ضميراً مستتراً [٣] ، لا يـصرّح بأسم صاحبه كقول البغدادي : ((يروى أنّ رجلاً من الأنصار كان له على آخر دين ، وكان يماطل غريمه به ، فلقيه يوماً فقال له (بسيط):

إنّي اضطنَأْتُكَ فَاعرِف لي مُكارَمَتي

إنَّ الحَياءَ مِنَ الإسلامِ والكَرَم

لولا إضطِناؤكَ لَم أُوثرْكَ مَكـرُمةً

لَكِن أَخَذتُكَ بالأنفَاسِ والكَظَمِ

فما سمع الغريم كلامه ، لم يلبث أن وافاه دينه))[٤] .

---

[١] كتاب الفصوص : ٥ / ١٤ .
[٢] يُنظر السرد في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ١٦٥ .
[٣] يُنظر الراوي والمروي له دراسة في البنية السردية في المملكة السوداء : ١٤ .
[٤] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٢٢ ، ولم نجد نسبة لهذه الأبيات في المصنفات الشعرية .

لقد ضمّن البغدادي الخبر السابق في فصوصه إلا أنّه لم يسنده إلى راوٍ معلوم ، بل جاء الخبر مسنداً إلى مجهول ، كما إنّ طرفي الحديث اللذين تداولا الحوار كانا مجهولين أيضاً ـ ولعل هذا عائد الى أنّ المؤلف كان يركز على مضمون الخبر وهو ضرورة الوفاء بالدين حياءً من المُدين أكثر من تركيزه على يقينية الخبر وتحديد رواته .

على هذا النّحو تنكشف لنا بعض ملامح الرّاوي في أخبار البغدادي ، فهو عبارة عن شخصية متخيلة، يصنعها البغدادي لتتولي مهام السرد ، أو هو دور تقمّصه البغدادي ليسرد لنا ما سمعه أو ما قرأه ٠

المطلب الثـــــاني

وظـــــائف الـــــراوي

لقد أولت الدراسات السردية عناية ملحوظة بوظـائف الراوي . فمــثلما تحدثوا عن أنواع الراوي توجهت دراساتهم لوظائفه أيضاً[١] . إذ تعددت الوظائف والمهام المنوطة بالراوي في النصوص السردية ، ومنها كتاب الفصوص ، ومن هذه الوظائف :

١ ـ الوظيفة السردية :

إنّ أهم وظيفة يشغلها الراوي في النصوص الســــــــردية هي الوظيفة السردية ، والتي إذا تجرد منها إنتفت عنه صفة الراوي ، لأنّ ((من أسباب تواجد الراوي ســــرده للحكاية))[٢] . وفي هذه الوظيفة يقوم الراوي بتقديم الأحداث المتعاقبة التي تؤلف كيان الخبر ، إضافة إلى تقديم الشخصيات ، وعرض الخلفية الزمانية والمكانية لها ، ومزج هذه العناصر لعرضها أمام القارئ . وتتجلى هذه الوظيفة في جميع الأخبار الواردة في كتاب الفصوص .

٢ ـ الوظيفة التوثيقية (الاستشهادية) :

وتتجلى هذه الوظيفة عندما يحدد السارد المصدر الـــــــذي إستقى منه خبره [٣] . ويلحظ القارئ لكتاب الفصوص هذه الوظيفة بوضوح ، فقد إعتمد البغدادي الإسناد في عمليته السردية . إذ نجده يذكر مصادر أخباره في إفتتاحيتها قبل أن يشرع في سردها ، حرصاً منه على جعل القارئ أكثر ثقة عند قراءتها [٤] .

٣ ـ الوظيفة التنسيقية :

عندما يتحلى الراوي بهذه الوظيفة فإنه ((يأخذ على عـــــــــاتقه التنظيم الداخلي

---

(١) يُنظر مثلاً نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير : ١٠٠ ـ ١٠١ ، مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٤ ـ ١٠٦ . السردية العربية : ١٤٤ ـ ١٤٦ .
(٢) مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٤ .
(٣) يُنظر المصدر نفسه : ١٠٥ .
(٤) يُنظر المبحث الأول من الفصل الأول من هذه الدراسة .

للخطاب القصصي))[١] . إذ يعمد السارد إلى تنظيم الأحداث وتنسيق العلاقات بين الشخصيات . وأحياناً يكون التنسيق على صورة تذكير بالأحداث . أو سبق لها ، أو ربطها أو تأليف بينها . ويمكن أن نلحظ ذلك فيما ستأتي دراسته من تقنيات الإستباق ، الإسترجاع ، الحذف .

وعلى الرغم من تنوع المادة الحكائية في أخبار البغدادي ، فضلاً عن مزاوجته أحياناً بين الشعر والنثر إلا أنّ أخباره وصلت إلينا بدرجة عالية من التنسيق ، وظهرت بمظهر رائع يعكس قدرته التنسيقية . وقد نصَّ البغدادي على هذه الوظيفة بإسلوب غير مباشر حينما قال : ((وقلت بعد هذا نسخة من كتاب كتبه المضرب إلى بعض الأعراب بنجد بذكر شوقه إليه ، وأيامه عنده ، وهو يطوف في أحياء العرب ، يأخذ عنهم اللغات ، وكان كتاباً فصيحاً غير إني نسيت سرده ، فلم أحب أن أثبت منه شيئاً على غير وجهه))[٢] .

٤ ـ الوظيفة التعليقية:

يُقصد بها ((النشاط التفسيري للراوي))[٣] . ويقوم الراوي بهذه الوظيفة عندما يوقف سرده ويعلق على واقعة معينة في النص إنطلاقاً من معرفة عامة يتحلى بها [٤] . وهذه الوظيفة تجعل للراوي دوراً ذا بعد فني تفسيري وتبعده عن النقل المحض [٥] .

وتتجلى هذه الوظيفة واضحة في الخبر الآتي : ((قال أبو عبيدة :أخاف خالد بن عبد الله القسري عبد الله الأصغر بن شيبة بن عثمان ، وهو الأعجم ، سمي بذلك لثقل كان في لسانه))[٦] .

ففي هذا الخبر نلحظ أنّ الراوي بعد أن كان يتحدث في خبره عن إخافة خالد القسري لعبد الله الآصفي ، ينتقل إلى ذكر سبب تسمية عبد الله بالأعجم . إذ فسّر لنا معنى هذا اللقب ، وبذلك دلل الراوي على معرفته التامة لشخصيات خبره .

---

[١] مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٤ .
[٢] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٠٨ .
[٣] مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٥
[٤] يُنظر نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير : ١٠٢ .
[٥] يُنظر السارد في السرديات الحديثة : نجاة وسواس ، (بحث): ١٠٨ .
[٦] كتاب الفصوص : ٣ / ٢١٨ .

وتتداخل مع هذه الوظيفة وظيفة أخرى للراوي وهي التفسير اللغوي والمعجمي [١] . فكثيراً ما نجد الراوي في كتاب الفصوص يُطلع قارئ أخباره على المعنى اللغوي والمعجمي للكلمات الغريبة الواردة في ثنايا الأخبار . ويمكن أن نذكر ما يؤكد ذلك . يقول البغدادي في أحد أخباره : ((واملى علينا يوماً آخر في داره : حدثنا أبو الحسن بن سليمان قال : أخبرنا أحمد بن يحيى قال : قال أبو زيد عمر بن شبّة :سمعت أبا زيدٍ يقول خطيب مصقع ، وشاعر مرقع وحادٍ قراقر ، مصقع أي : يأخذ كل صقع من القول ، ومرقع : من الرقع وهو الوصل ، أي يصل الكلام بعضه ببعض ،والقراقر : الغزير الكلام ...))[٢].

وقوله أيضاً : ((كانت عندنا فتاة من الحـي وقد برح بـــها حب زوجها ، فتزوج عليها ، ... فبينما هي ترعى غنماً لها ، إذ قعدت تذيب لها زبداً ، فندَّ لها بعيراً ... ورأت رجلاً على أبر الصمان يرعى إبلاً له ، فقالت ناشدة : أيها الأبرق في رأس الرجل ، هل أحسست جريراً يجر بعيراً ، والجرير الزمام ...))[٣] .

في الخبرين السابقين يحاول الراوي دفع اللبس فـــــــــي المعنى عن القارئ ، وإعطاءه صورة أوضح ، وفهماً أعمق عبر ذكر المعنى اللغوي للكلمات الغريبة . ولعل الراوي لجأ إلى هذه الوظيفة ليعكس شمولية معرفته ويزيد القيمة الأدبية والعلمية لأخباره .

ولا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ هذه الوظائف قد لا تـتواجد كلها في نص واحد ، كما يمكن الاستغناء عنها ما عدا الأولى . حيث يمكن للراوي أن يكتفي بمهمة السرد فحسب ، وذلك تابع لمتطلبات المحكي .

---

[١] يُنظر البنية القصصية في رسالة الغفران : حسين الواد: ٦٩ .
[٢] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٧٥ .
[٣] المصدر نفسه: ٢ / ٤٤ ، وللاستزادة من النماذج يُنظر : ٢/ ١٥٣ ، ٣/ ٧١ ، ٥/ ٢٨٦ .

المبحث الثاني

المـــــروي

يُعرّف المروي بأنّه : ((كل ما يصـدر عن الراوي وينتظم لتشكيل مجموعة من الأحداث تقترن بأشخـــاص ويؤطرها فضاء من الزمان والمكان)) [1] ٠

ويحتل المـــــروي موقع التوسط بين طرفي العملية السردية (الراوي والمروي له)، كما يتمتع بأهمية كبيرة فهو ((جوهر السرد وبغيته)) [2]٠إذ لابدّ من مسرود يصدر من الراوي ليصل الى المروي له٠

ويندرج تحت هذا الركن جانبان هما :الشخصية والحدث، لأنّ كل نص مروي يدور حول أحداث تقوم بها الشخصيات٠

---

[1] السردية العربية :١٢ .

[2] الخبر في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني : د٠ضياء غني العبودي ، ميادة عبد الأمير :١٢١ .

المطلب الأول

الشخصـــــــــية

تُعـــد الشخصية من أهم العناصر البنائية المكونة للنص السردي ، إذ بإمكانـــها جذب المتلقي وحثه على التفاعل معها ، كما إنها القــادرة على إعطاء صورة واضحة للأحداث٠ لذا يعمد السارد الى تحميلها أفكارا وأفعالا يريد إيصالها الى المتلقي ٠ وعليـــه فهي تمثل القطب الذي يتمحور حوله العمل السردي ، والعمود الفقري الذي يرتكز عليه ، بل هي من يربط مكوناته وعناصره [١] ٠

وتكمن أهمية الشخصية كونها تقع في صميم الوجود السردي ، إذ لا ســـــرد من دون شخصية تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي السرد بعده الحكائي ، فهي العنصر الـــوحيد الذي تتقاطع عنده العناصر الشكلية الاخرى بما فيها المكـــان والزمـــــان الضروريان لنمو الخطاب السردي[٢]٠ فالزمن ((مجسد في الشخصيات ظـــــاهر من خلالها)) [٣] ، أمّـــــا المكان فعلاقته بالشخصية قد تصل الى((حد التوحد والاندمـــاج لأن الشخصية بتشكيلهـــا العـــام تبنى على البيئة التي نمت فيها ، كما إنّ البيئة تشكّل نوع الشخصيـــــات التي تعيش فيها)) [٤] ٠

أمّـــــا علاقـــة الشخصية بالحدث ، فهما صنوان لا يفترقان في عالم السرد ، فـ((ما الشخصيـــة إن لم تكن ماتقرره الحادثة وما الحادثة إن لم تكن توضيحا للشخصية)) [٥]٠لـذا يُعد الحدث أداة ربط وتجميع الشخصيات باصطدامها بهذه الأحداث ٠[٦]

وبـــذلك يمكن القـــــول إنه ((لايوجد شخص بدون حدث كما لا حدث بدون شخص

---

[١] يُنظر الشخصية في القصة : جميلة قيسمون ، (بحث) : ١٨.
[٢] يُنظر بناء الرواية : ٣٣ ، قال الراوي : سعيد يقطين : ٩١ ٠
[٣] المصدر نفسه : ٩٦ ٠
[٤]بناء الشخصية في الرواية : مصطفى ساجد : ٥٥.
[٥] نظريات السرد الحديثة : ١٥٥ .
[٦] يُنظر النقد التطبيقي التحليلي : عدنان خالد عبد الله :٧٣ .

وكلاهما سرد))[1]. على حين يمثل الحوار حديث الشخصية وهو يوحي بانتمائها الثقافي والاجتماعي وظرفها النفسي ويعبر عن ذلك[2]. وهكذا يتضح تأثر الشخصية بالعناصر السردية الاخرى وتأثيرها بها ، وهو ما يعكس أهميتها التي قد تصل الى أكثر من ذلك فقد تشغل محل الراوي أو المروي له في النص السردي[3].

لقد أسهمت مدارس أدبية واتجاهات نقدية متعددة ومتباينة في رسم الخطوط العريضة للشخصية ودعم أبعادها وتفعيل ملامحها ، إلا أنّ نظرتهم قد اختلفت . فمنهم من يرى إنّ الشخصية السردية شخصية حقيقية من لحم ودم ،وهذه الرؤية تأتي من ضرورة ((محاكاة الواقع الانساني المحيط)) [4]. على حين يرى بعضهم الآخر إنها ليست واقعية بل من خلق الراوي مرتبطة بخياله وقدرته الابداعية لذا فهي كائنات من ورق[5].

فما بين الواقع والخيال ونتيجة لكون الشخصية تنطوي على كليهما ، فإنّ موقع الشخصية وأهميتها يتحدد بقدرتها على تقمص الادوار المختلفة التي يحملّها إياها السارد[6].

---

(1) سرديات العصر الاسلامي الوسيط :محسن جاسم الموسوي : ٧٧ .
(2) يُنظر فن كتابة الرواية : ديان دارون فاير ، تر : عبد الستار جواد : ٣٥ – ٣٦ .
(3) يُنظر الاشارة الجمالية في المثل القرآني : ١٥٢ .
(4) في نظرية الرواية : ٨٣ .
(5) يُنظر مدخل الى التحليل البنيوي للقصة : رولان بارت :٧٢ .
(6) يُنظر في نظرية الرواية : ٩٠ .

طرائق تقديم الشخصية :

نعني بها الكيفية التي يتم فيها خلق الشخصيات السردية وبناؤها داخل النص ٠وقد أولى الدارسون عملية تقديم الشخصية وعرضها في النصوص السردية أهمية كبيرة ، لما لها من دور رئيس في توضيح معالم الشخصية بالنسبة للقارئ [١]٠

وقد قدّم البغدادي أخباره بطريقتين هما :

أولا :الإخبـــــار*:

يُعدّ الاخبار أحد الطرق التي تُقدّم بها الشخصيات السردية ،إذ يتولى الســارد مهمــة تقديم شخصياته واصفا أبعادها الخارجية والداخلية أو كليهما معا ٠ كما يعرض لنا الاحداث من وجهة نظر هذه الشخصية أو تلك[٢]٠ ولعل لجوء السارد الى هذه الطريقـــــة في تقديم الشخصيات يأتي سعيا منه ((لإستثمار عالميته وحضوره الكلي من ناحية ، والتـــأكيد على المصداقية التي أحرز عليها في عين القارئ من ناحية أخرى)) [٣]٠

وقد سادت هذه الطريقة في التقديم على أغلب أخبار البغدادي[٤] ، فهو تـــــارة يقدم شخصياته بتحديد اسمها ومهنتها وذكر بعض صفاتها كقوله : ((كان عامر بن صـــالح بن عبد الله بن عروة من أهل الفقه والعلم والحديث والنسب وأيام العرب وأشعارها ، وهلك في بغداد أيام هارون الرشيد ٠٠٠)) [٥]٠

فالسارد في هذا الخبر قدّم لنا شخصية خبره بإسلوب تقريري مباشر ، مصرحا بإسمها ذاكرا بعض صفاتها ، وإعطاء معلومات عنها واصفا علمها وثقافتها ٠ ولأجل الدقـــة في المعلومات وإيضاح الصورة للمتلقي ذكر السارد مكان الوفاة وزمانها ، وبذلك تتجلى واقعية الخبر للمتلقي أو سعي السارد لإضفاء هذه الواقعية ٠

---

(١) يُنظر تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية : اثير عادل :٢٢٠ ، ٢٢٢ ، بناء الشخصية في الرواية : ١٩٣ ٠
*هناك عدة تسميات اخرى لهذه الطريقة منها : التحليلية ، التفسيرية يُنظر النقد التطبيقي التحليلي : ٦٨ – ٦٩ ، بنية الشكل الروائي : ١٦٩ ٠
(٢) يُنظر البنية والدلالة : ١٥٤ ٠
(٣) بنية الشكل الروائي : حسن بحراوي : ٢٣٣ ٠
(٤) يُنظر مثلا كتاب الفصوص : ٣٣٣/٢ ، ٥٧/٣ ، ٢١/٤ ، ٢٤٥/٥ ٠
(٥) المصدر نفسه : ٦١/٣ ٠

وتتضح لنا الشخصية أحيانا في بداية النصوص السردية بوساطة المعلومات التي يقدمها السارد عنها ، سواء كانت هذه المعلومات وصفا لمظهرها الخارجي وطبيعتها أم كانت تحديدا لعلاقاتها السردية[١] ٠ويمكن أن نلحظ ذلك في الخبر الآتي الذي يقول فيه البغدادي : ((عن ابن الكلبي ، عن ابن الهيثم الرجبي رجل من حمير قال : كان رجل من ذي مناخ ، وهم بطن من ذي الكلاع ، يقال له جميم بن معد يكرب ، وكان جوادا يشفي جوده على ماله ٠٠٠)) [٢]٠

إنّ السارد في هذا الخبر يُعلن سطوته على النص من الوهلة الاولى إذ نراه يقدم شخصية جميم في بداية النص الخبري ٠ وهو بذلك يجعل القارئ يتعرف على الشخصية من منظوره الخاص ، كما إنه يعمد الى إقامة علاقة سردية بين ما عرضه من مواصفات لهذه الشخصية والأحداث التي سيسردها فيما بعد ، أي بين صفة الجود التي تحلى بها جميم وبين تحمّله ديات قومه [٣]٠وهو بذلك يساعد القارئ على التعرف على هذه الشخصية ويمهد لما ستقوم به من أفعال ٠

ولا يقتصر تقديم السارد لشخصياته على الجوانب المعنوية – كما ذكرنا سابقا – بل يلجأ أحيانا الى تقديم شخصيته عبر وصف مظهرها الخارجي ٠إذ يعد الوصف من أهم الوسائل التي تعطينا صورة واضحة عن الشخصية ((إذ يسهم في بناء الشخصية العام)) [٤]٠ ويمكن أن نلحظ هذا النوع من التقديم في الخبر الآتي : ((قال لنا ابو علي الفارسي : إنما كان يعرض الخليل عن سيبويه ، لأنه كان يتقي غوائل الشيطان على نفسه ، وكان سيبويه من أصبح الناس وجها ، وأحسنهم صورة ، وكان ذو جُمّة حسنة ، ورداء جميل ، فكان الخليل يوليه ظهره ويأنس بعلمه إليه ٠٠٠)) [٥] ٠

لقد أظهر البغدادي في خبره هذا البعد الخارجي لشخصية سيبويه ٠ وقد أولى البغدادي الوصف عناية كبيرة ، كونه يحمل في طيّاته وظيفة إيهامية ، اذ إنّ إعتماد الدقة والبراعة

---

[١] يُنظر الرواية العربية البناء والرؤيا : ١٣٣ ٠
[٢] كتاب الفصوص : ١٧٥/٢ ٠
[٣] يُنظر المصدر نفسه : ٢/ ١٧٦ ٠
[٤] بناء الشخصية في الرواية : ١٤٣ ٠
[٥] كتاب الفصوص : ٨/٥ ٠

في وصف الملامح الخارجية للشخصية يلعب دوره في إضفاء الواقعيـــــة على شخصيات الخبر وجعلها ترتسم في مخيلة القارئ ٠

ثانيــأ : الكـــشف :

تأخذ الشخصية في هذه الطريقة على عاتقها مهمة تقديم نفسهــا ، والكشف عن جوانب مهمة من كينونتها ٠ إذ يُسند اليها وظيفـــة نقل المعلومـــات عن نفسها الى المتلقي من دون خضـوعها لمؤثر خارجـــي يُحتم عليها ذلك [١] ٠ وهي بذلك ((تبلور موقعها الخاص في منظومة الحكي)) [٢]٠

ونجد البغدادي في أحد أخباره يوكل مهمة تقديم احدى شخصيات خبره للشخصية ذاتها إذ يقـــول : ((عن محمد بن ابراهيم ، عن محمد بن معن قال : دخل عمر بن مصعب على ابن مطيرة والي المدينة ، مع قوم في حـاجة لهم ، فقـــال له ابن مطيرة : من أنت عرفـني بك ؟ ٠ قال : أنا عمر بن مصعب ٠ فقـــال : لا أعرفك ٠ فقال له عمر : أعرفك نفـــسي : أنـــا النجم ، وأبي القمر، وامي الشمس ٠ إني لكما قال الشاعر (طويل):

إذا زادَ أقواماً جَهَـــالةُ غَيرِهم

بِهِم ضَعةً أزرى بِجاهِلِنا الجَهلُ

٠٠٠)) [٣]٠

ففي هذا الخبر يتولى عمر مهمة تقديم نفسه ، وبلورة موقعه بوساطة ضمير المتكلم ، وهو اسلوب سردي يلائم هذه المواقف ٠إذ يكـــون كلام الشخصية عن نفســـها ((مقتصرا عموما على مقتضى الموقف الذي دعاها لتقديم نفسها للآخرين)) [٤] ٠ ولعـــل هذا يتضح بعبـــارات التقديم التي ذكرها عمر التي تتناسب مع إنكار ابن مطيرة له ٠ ثم إنّ ايراد

---

(١) يُنظر تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية :أثير عادل : ٢٢٥ .
(٢) البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله : مرشد أحمد : ٤٥ .
(٣) كتاب الفصوص : ٤/ ٢٧٤ ، الأبيات منسوبة الى أمية بن الأسكر في جمهرة أشعار العرب : ٣٢٣ ٠
(٤) تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية : ٢٤٦ .

البيت الشـــعري جـاء لتقوية المضمون بالإستنـــاد الى مرجعية شعرية تقدم ذلك بإختصار ٠

ويعد الحوار أقدر الأدوات على تقديم الشخصية على نحو سريع ومكثف ، وهـو أداة طيّعة في رسم الشخصيات والكشف عنها ، كونه يصورها ويدلّ عليها ، ويشكّل مفتـــاحا للوصول اليها والأداة التي تكشف عنها [١]٠ وهذا ما نجده في الخبر الآتي : ((قدم الوليد بن يزيد يريد الحج – وهو إذ ذاك ولي عهد – فدخل عليه النـاس ودخل عليه الشعراء ، فدخل فيهم أبو معدان مهاجر مولى آل أبي الحكم ، وكـان راوية الأحوص قد استعان بعبد الله بن معـاوية بن جعفر ، وعمر بن مصعب ، وابن أبي عتيق ، والمنذر بن أبي عمرو كـاتب الوليد ، فأنشده نصيب ثم قام أبو معدان فأنشده (متقارب):

ألَم تَرَ للنَّـــجمِ إذ شَنَّعـــا

يُزاولُ من بُرجِهِ المرجعـا

سُـرِرتَ بهِ إذ بَدا كابيـــا

وأَمّا ابنُ شمرانَ فأستَرجعا

٠٠٠ قال : فأنكره الوليد فقال : من أنت ؟ قال : أنا أبو معدان ٠ قـال : فمن ابن شمران ؟ قال : أصلحك الله ،جرى به الروي على لساني ٠ وأعـاد عليه المسألة ، فقـال : ومن أبو معدان ؟ قال : من لا تنكر أصلحك الله مهاجر مولاك ٠ فبدأ قبلهم عبد الله بن معاوية فقال : هذا أبو معدان أصلح الله الأمير وهو أنبه عندنا من أن يُجهل ٠٠٠)) [٢]٠

إنّ النص الحواري السـابق يعبّر عن لقاء عمر مع ابن مطيرة ، وتقديم ابن مطيرة لنفسه من دون تدخل الراوي ٠ إذ يُعطي الراوي الشخصية حرية التعبير بعد أن كـان راويا مهيمنا على عملية السرد منذ بداية الخبر ٠ وقد أسهم هذا الحـوار في عرض شخصيـة عمر وتقديمها للقارئ ٠ ولـعل أهم ما يميز هذا الحـوار هو التفاعل بين أطراف التحاور ، إذ يُرسل الأول ويستقبل الثـاني استقبالاً يتصف بالإهتمـام والتركيز ليتمكن من الـرد

(١) يُنظر عالم القصة : برنار دي فوتو ، تر : محمد مصطفى :٢٦٧ .
(٢) كتاب الفصوص : ٤/ ٢٧٦ ، ولم نجد نسبة لهذه الأبيات في المصنفات الشعرية ٠

والتجاوب ٠

وأحيانا تقدم الشخصيات نفسها عن طريق أفعالها وتعليق الشخصيات الاخرى على هذه الأفعال[١]، ((لأنّ الحدث هو الشخصية وهي تعمل)) [٢]٠ إذ يكون عمـل الشخصية تقديما غير مباشرٍ لها ٠ ويتضح ذلك في قول البغدادي في أحد أخبـــاره : ((روي عن عمر بن الخطاب انه قال : رُفِعت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)يوم أحد خيل ، فقال : من لها ؟ فقال وهب بن قابس المزني : أنا يا رسول الله ، فضربها حتى ردّها ٠ ثم أقبلت أخرى فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : من لها ؟ فقال : أنا ، فردها ٠ ثمّ جاءت أخرى فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)من لها ؟ فقال : أنا ٠ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): امضِ وابشر ، فمضى واستشهد ٠٠٠)) [٣]٠

من هنا يتضح الـدور الذي يقوم به الحدث في تحديد الشخصـية ، وتحديد الفعاليـة السردية لها ٠ إذ نجد شخصية وهب قدمت نفسها بتفاعلها مع الأحداث ، واستجـابتها لها ٠ كما إنّ الأحداث قد كشفت عن نقـــاط القوة الكامنة في الشخصية ، فضلا عن ذلك فإنّ تعليق الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) على ما قام به وهب أسهم اسهاما كبيرا في جـلاء الشخصية ووضوحها ٠ وبذلك يمكن القول إنّ شخصية وهب استطاعت أن تقدم نفسها للقـارئ عن طريق أفعلها لا أقوالها ، كما إنّها أجبرت المتلقي على رسم صورة ايجابية لها نتيجة ايجابية الدور الذي قامت به ٠

(١) يُنظر البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله : ٤٥ .
(٢) فن القصة القصيرة : رشاد رشدي : ٣٠ .
(٣) كتاب الفصوص : ٤ /٦ ٠

أنمـــاط الشخصية :

لقد أخضع النقاد تقسيماتهم للشخصية لإعتبارات معينة ،منها معيار فاعليتها في الحدث السردي فتأتي رئيسة وثانوية ، ومنها معيار قابليتها على النمو والتطور فتأتي ثابتة ونامية ، وغير ذلك من المعايير التي تؤدي الى تنوع أنماط الشخصيات [١] ٠

وقد إرتأينا دراسة شخصيات البغدادي في فصوصه تبعا لقابليتها على النمو والتطور في النص السردي الواحد فهي امّا نامية أو ثابتة ٠

١-الشخصيات النامية* :

هي الشخصيات التي تنكشف تدريجيا في القصــة ، فتتطور بتطور أحداثها ، ويكـــون تطورهــا نتيجة تفاعلها المستمر مع هذه الأحــداث [٢]٠ ولـــعل أهم ما يميز هذه الشخصية شموليتها الحاملة لعالمها المتنوع ، إذ تتحصل هذه الشخصية على شكلها الســردي بتحولات السرد الذي يوزع الأجزاء المكونة لشكل الشخصية في بؤر سردية مختلفة [٣]٠

وتعد شخصية مقباس شخصية نامية في الخبــر الذي أورده البغدادي عن خطبة مقباس لابنة السموأل ٠ يقـــول البغدادي : ((حدثنا الحارث بن وداع الباردي ٠٠٠قال : كان حيان بن عباهر قد ملك ناحية من الشام ولم يتوج ، وكان له ابن يُقال له مقباس ، وكـــان شجاعا كاهنا ، فطرده ابوه حيان خوفا على ملكه منه ، وإنّ الغلام أتى السموأل ابن عادياء ، فنزل به ، وكان للسموأل ابنة يُقال لها رداح كاهنة لا يقطع أهل تيماء أمرا دونها ، وكان أبوها قد جعل لها أن لا يزوجها إلا من أرادت ،فاحتكمت مائة فرس وألف ناقة ، وإنها أملك بأمرها عند أول ريبة من زوجها ٠ فتحاماها الناس ٠وإنّ مقباســا أتى السموأل في ناديه فوقف عليه فقال : يا سموأل عم صباحا ، تحية وفلاحا ، من مرتج نجــاحا ، يخطبــها رداحا ٠ فقـــال السموأل : هل علمت حكمهـــا في مهرها وشرطها على بعلها ؟ قال : نعم ٠ فأتاها

---

[١] يُنظر فن القصة : ١٠٣ -١٠٤ ، في نظرية الرواية : ٩٩ – ١٠٤ ، النقد التطبيقي التحليلي : ٦٧ – ٦٨ .
* هناك تسميات أخرى لهذا النوع من الشخصيات منها المدورة ، المتحركة ، الديناميكية ، المركبة والمعقدة يُنظر النقد التطبيقي التحليلي :٦٨ ، فن القصة : ١٠٤ ، عالم الرواية : ١٥٠ ، بنية الشكل الروائي : ٢١٥ ٠
[٢] يُنظر فن القصة : ١٠٤ ٠
[٣] يُنظر عالم الرواية : ٥٠ ٠

أبوهـــا فقال لها : رداح ، إنّ مقباس بن حيـان من قد عرفتِ أمره ، وقد خطبك وهو ابن ملوكنا ، وأقبل يطريه ، فضحكت رداح وقـــالت : سوأة لسيد يُثني على خاطب كريمـته ٠ فغضب السمؤال وقال : والله لقد صدق مادحه وأروى قادحه ٠٠٠))[١]٠

ففي هذا الخبر يتعاضد السرد والوصف والحوار على تشكيل الشخصية النـــامية في الخبر وهي شخصية مقباس ٠ إذ تعمل البداية الســـردية على عرض بدايـــة مسيرة مقباس وطرده من قبل والده ، تم يأخذ الحوار دوره في تطوير السرد وشخصياته عبر محـــــاورة مقباس للسمؤال وطلبه يد ابنته ، ثم يأتي دور الوصف ليتولى المهمة عبر عبـارات الوصف التي تحدث بها الوالد (هو ابن ملوكنا – وأقبل يطريه – صدق مادحه ٠٠٠) ٠ولم يتـوقف نمو الاحداث وشخصياتها عند الوصف ، بل يعود السرد ليتولى مهمة ابراز شخصية مقباس النامية ٠إذ تعرض ابنة السمؤال جملة من الاسئلة وتشترط حلها لقبول الزواج من مقباس ، ويمضي الخبر قدما ليُفلح مقباس في حـــل الاسئلة ويحظى بموافقتها [٢]٠وعندهـــا تكتـــمل شخصية مقباس المدورة بعدما حفل الخبـــر بالأشكال السرديـــة المتنوعة التي نقلت أحداث الخبر وتحولات الشخصية ٠

وتنمـــاز الشخصية النامية بالتنوع إذ يظهر لها في كل موقف تصرف جديد يكشف عن جوانبهـــا المتعددة[٣]٠ وهذا ما نلحظه في شخصية حرب بن خالد يقول البغـــدادي في هذا الخبر: ((حدثنا أبو سعيد عن عبد الرحمان عن عمه الاصمعي عن بعض موالي بني أمية قال : خرج داوود بن سلم الى حرب بن خالد بن يزيد ٠ فلما قدم عليه قام غلمانه الى رحله فأنزلوه ، وحطوا عن راحلته ، فلما دخل عليه سلم ثم أنشده (متقارب):

وَلمّـــا دُفِعتُ لأبوابِـــــهم

وَلاقيتُ حَربا لقيتُ النَّجاحا

وجدناهُ يَحمدُهُ المُجتـــدون

ويأبى على العُسرِ إلا سَمَاحا

---

[١] كتاب الفصوص : ٢٩٤/٥ ٠
[٢] يُنظر المصدر نفسه : ٢٩٦/٥ ــ ٢٩٨ ٠
[٣] يُنظر عالم الرواية : ٥٠ ٠

٠٠٠ فأمر له بجوائز كثيرة ، ثم إستأذنه في الانصراف فأذن له ٠ فلما قدّم أثقاله لم يقم اليه أحد من الغلمان ولا أعانه ، فغاضه ذلك ، وظنّ إنّ حربا سخط عليه ٠ فرجع اليه فقـــال : أواجدٌ أنت عليّ ؟ قال : لا ، وما ذاك ؟ فأخبره بخبر الغلمان ، فقال له : ارجع اليهم فإسألهم عن ذلك ٠ فرجع إليهم وسألهم ، فقالوا له : إنا نُنزل الضيف ولا نرحله ٠٠٠)) [١]٠

في هــذا الخبر يُظهر لنــا الســرد شخصية حرب بن خالد أول مرة بمظهر الشخصية الكريمة التي تستقبل الضيف وتحط رحاله ، ثمّ تتجلى لنا بمرور الســرد هذه الشخصيـــة بمظهر آخر عند توديع ضيفها ، إذ يمتنع حرب في هذا الموقف الجديــد عن إعانة الضيف على أثقاله ٠ ولعـــل القارئ يمكن أن يشعر بما شعر به الضيف من سخط حرب عليه في الوهلة الاولى، إلا أنّ السارد يكشف خلاف ذلك عارضا صفة أخرى لشخصية حرب النامية وهي عدم رغبته في رحيل ضيفه ٠

وتدخل شخصية أبي بكر الى أحـــد متون أخبـــار البغدادي ويتضح نموها عبر تتابع الأحداث ٠يقول البغدادي : ((كان أبو بكر ابن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة عاملا لرباح بن عثمان بن حيان على مسعاة أسد وطيء ٠ فلمـــا خرج محمد بن عبد الله بن حسن جاءه أبو بكر بما صدق من مسعاة أسد وطيء ، فـــرفع ذلك إليه ٠ فلما قتل محمد أُسّر أبو بـكر ، فأمر أبو جعفر المنصور بحبس أبي بكر وتحيده ، فحُبِس وحُدد ٠ فلما قام السودان بـــعبد الله بن الربيع المدائني أخـرج القرشيون أبـا بكر بن عبد الله من الحبس ٠ فحملوه على منبر رسول الله ، فنهى النـــاس عن معصية السلطان وحثّ على طاعته ٠ وقيل له صلِّ بالنـــاس فقال : إنّ الاسير لا يؤم ورجع الى محبسه ٠ فلما ولى المنصور جعفر بن سليمان بن علي على المدينة ، فأمر بإطلاق ابن أبي سبره ، وأوصاه به ٠٠٠)) [٢]٠

ينثر السرد في هذا الخبر مجموعة من الأحداث المتتالية التي تُظهر شخصية أبي بكر بشكلها المدور ٠ ويمكن بيان ذلك بالنظر الى الأحداث الآتية :

- جاء أبو بكر بما صدق من مسعاة أسد وطيء ٠

---

[١] كتاب الفصوص : ١٩٠/١ – ١٩١، والأبيات لداوود بن سلم يُنظر الأغاني : ٢٠/٦، وداوود بن سلم هو مولى تيم بن مرة يُعرف بالادلم ، شاعر حجازي من أهل المدينة يُنظر : معجم الأدباء : ١١ /٩٧ ٠

[٢] كتاب الفصوص : ٣/ ١٩٣ – ١٩٤ ٠

- أُسر أبو بكر ٠
- أخرج القرشيون أبا بكر ٠
- رجع الى محبسه ٠٠٠٠

فتوالي الأحداث السردية هذه يكشف عن الدور الذي لعبه أبو بكر في بنية الخبـــر وتنامي شخصيته عبر تعدد الاحـــــداث ، فضلا عن ذلك فإنّ انتقال ابي بكر من موقع وظيفي الى آخر(عاملا على مسعاة أسد وطيء ، سجين لدى المنصور ،امام للمسجد) يمكن أن يكشف عن نمو هذه الشخصية وتطورها ٠

٢- الشخصية الثابتة*:

تنمـــاز الشخصية الثابتة بأنها تُبنى حول فكرة واحدة أو صفة واحدة لا تتغير طوال أحداث القصة ، فلا تؤثر فيها الأحداث ، ولا تحتاج الى تقديم أو تفسير أو تحليل[١]، لأنها ((لا تحتوي على عمق نفسي)) [٢] ٠ والشخصية الثابتة لا تتغير في تكوينها وإنما يحدث التغير في علاقاتها بالشخصيات الاخرى ، أما تصرفاتها فتبقى ذات طابع واحد[٣]٠

ويمكن القول إنّ أهم ما يميز هذا النوع من الشخصيات خلوها من عنصر المفاجأة كما هو الحال بالنسبة للشخصية النامية ، وتنمـــاز أيضا بأنها أيسر تصويرا وأضعف فنا لأنّ تفاعلها مع الأحداث قائم على أساس بسيط [٤]٠

ومن نماذج الشخصيات الثابتة شخصية الجندي في جيش معن بن زائدة ، إذ يكشف لنا الخبر الذي يدور حوله ثبات هذه الشخصية على موقف واحد وفكرة واحدة على الرغم من محاولات تغيير هذا الموقف ٠ يقـــول البغدادي : ((حدثني علي بن سليمان الاخفش قال :

*هناك عدة تسميات أخرى لهذه الشخصية منها المسطحة ، البسيطة ، الجامدة ، غير المعقدة ، ذات البعد الواحد يُنظر فن القصة : ١٠٣ ، النقد التطبيقي التحليلي : ٦٨ ، عالم الرواية : ١٥٠ ، بنية الشكل الروائي : ٢١٥ ٠

[١] يُنظر فن القصة : ١٠٣ ٠

[٢] عالم الرواية : ١٥١ ٠

[٣] يُنظر الادب وفنونه دراسة نقدية : عز الدين اسماعيل : ٢٦ ٠

[٤] يُنظر النقد التطبيقي التحليلي : ٦٧ .

حدثنا محمد بن يزيد قال : جلس معن بن زائدة في جيش أراد تنفيذه لبعض الوجوه ٠ فدفع الى رجل من الجند سيف سوء ، فقال له : أصلح الله الأمير ، أُعطي غير هذا السيف ٠ فقال معن : سبحان الله أوما تعلم إنّ السيوف مأمورة؟ قال : بلى ، ولكن هذا مما أُمر ألا يُقطع ٠ فأستضحك معن من قوله وعاضه من سيفه ٠٠٠)) [١] ٠

على الرغم من أنّ الشخصية في هذا الخبر تشارك في عدة مقاطع سردية ، إلا أنها تدور حول فكرة واحدة يكررها السارد وهي فكرة عدم خضوع سيف السوء لسطوة صاحبه ٠ إذ يعجز التنوع السردي عن تغيير هذه الفكرة ٠ لينتهي الخبر بما بدأ به وهو ثبات الجندي على رأيه وخضوع معن بن زائدة لذلك ٠

وغالبا ما تُلقي الشخصية الثابتة الضوء على جوانب الشخصيات الاخرى ، وتعين على فهمها من خلال تفاعلها وإحتكاكها بها [٢] ٠ ويمكن أن نلحظ ذلك في الخبر الآتي : ((روي عن مصعب بن عبد الله انه قال : وفد عبد الله بن صفوان بن أمية على معاوية ، هو وأخوه عبد الرحمن الأكبر وأم عبد الرحمن أم حبيب ٠ وكان معاوية يقدم عبد الله بن صفوان على عبد الرحمن ، فعاتبته أخته في تقديمه إياه على عبد الرحمن ٠ فأُدخل ابنها عبد الرحمن وأمه عند معاوية ٠ فقال : حاجتك ؟ فذكر له دينا وعيالا ،وسأل حوائج لنفسه ، فقضاها له ٠ ثم أذن لعبد الله بن صفوان ، فقال: حاجتك ؟ قال : تُخرج العطاء ويفرض للمنقطعين ، فإنه قد حدث في قومك نابتة لا ديون لهم ، وقواعد قريش لا تغفل عنهم ، فإنهن قد جلسن على ديونهن ينظرن ما يأتيهن منك ٠٠٠ قال : أفعل ، هلم حوائجك لنفسك ٠ فغضب عبد الله وقال : وأي حوائج لي إليك إلا هذا وما أشبهه ، إنك لتعلم إني أغنى قريش ، ثم قام فانصرف ، فأقبل معاوية على أم حبيب أخته وهي أم عبد الرحمن بن صفوان فقال : كيف ترين ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين أبصر بقومك)) [٣]٠

يُدخل السرد في هذا الخبر شخصية أم عبد الرحمن في أحداث عديدة ، إلا أنه يقدمها خلال ذلك كله بصفة واحدة وموقف واحد ، وهو إعتراضها على تفضيل عبد الله على عبد

---

[١] كتاب الفصوص : ١/ ٧٦ ٠
[٢] يُنظر عالم الرواية : ١٥١ ٠
[٣] كتاب الفصوص : ٥/ ٥ ٠

الرحمن من قبل معاوية ٠ وعلى الرغم من ظهور هذه الشخصية في موقف واحد إلا أنها أحدثت تأثيرات سردية بالغة تتعلق بصياغة جوانب مهمـــة من شخصية عبد الله ٠ وهي الفكـــرة التي أراد الســـارد إيصالها عبر توظيف هذه الشخصية الثـــابتة ومن آزرها من الشخصيات الاخرى ٠

وتلعب الشخصيات الثابتة في النصوص السردية أدوارا مختلفة ، فلا يقتصـــر تواجدها في النصوص السردية على الأدوار الثـــانوية كما يرى بعضهم[١] ، بل نجـدها تلعب أدوارا رئيسة في بعض الأحيان ، كمـا في الخبر الآتي : ((حدثنا ابن سعيد عن الاخفش عن ثعلب عن ابن الاعرابي قـــال : كان يغشى مجلسي أبو محلم ، فيقعد حجرة من المسجد ولا يتكـلم وينصرف في آخر النهار ٠ فلما طال ذلك قُلت لـه : ما أراك يا فتى تحظى من مجـلسنا هذا بشيء ولك تغشانا أشهر ٠ قال : يا أبـــا عبد الله ، ما يغيب عن حفظي ممـــا يجري شيء ٠ فقلت : أعـــد عليّ منه شيئا ٠ قـال : فأخذ يعيد عليّ أوائل المجـــالس من أول حضوره الى حيث انتهى به اليـــوم ٠ فكثر عجبي من ذلك فقـــلت : روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قـــال : يولـد في كل أربعين سنة من يحفظ كـــل شيء يسمعه ، وأراك ذاك ٠ قـــال : أنا ذاك))[٢] ٠

ففي هذا الخبر تتجسد شخصية أبي محلم بمقدمتها الســـــــردية التي تمنحها صفة لا تتطور بتتابع الأحداث ، إذ تلازم صفـــة ثابتة وهي الجلوس في أحـــد جوانب المسجد دون كلام ٠ وهذه الصفة تحول دون تطور الشخصية وتبقيها ثـــــابتة ٠ إلا أنّ ذلك لا يُقلل من دورهـــا في النص الخبري ، إذ صنع لها السارد أحداثا مختلفة تدل على دورها الرئيس ، دون أن يؤدي ذلك الى إزاحة الشخصيـــــة عن شكلها المسطح ٠ فتنوع الأحداث لا يمس جـــوهر هذه الشخصية من حيث الثبوت أو أهمية الدور الذي تقوم به ٠

---

[١] يُنظر النقد التطبيقي التحليلي : ٦٧ ٠
[٢] كتاب الفصوص : ٢٧١/٥ ٠

وقد تنوعت شخصيات البغدادي في فصوصه بغض النظر عن الدور الذي تقوم به ،أو صفة الثبات والتغير في الأدوار ٠ ويمكن أن نذكر أهم هذه الأنواع :

ا- الشخصيات المرجعية :

تنماز الشخصيات المرجعية بوجودها الحقيقي في فترة من فترات التـاريخ ((إذ نقف على مرجعية خاصـــة بها ، وبأسمائها وماهيتها التأريخية ، أي الشخصيات ذات الوجـود الحقيقي في مسيرة التاريخ))[١]٠

وغالبا ما يأتي ذكر هذه الشخصيات بما تركته من أقوال وأفعال كانت بمثابة الميثـاق أو الدستور الذي سـار عليه المجتمـع آنذاك ، واختط على أسـاسه مسيرته في الحيـاة[٢]٠

ومن أبـــــرز هذه الشخصيات شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد وردت في فصوص البغدادي ومنها قوله في أحد أخباره : (روي عن الحسن البصري أنه قال : قـــال رســول الله لعبد الله بن عمرو : كيف بك إذا بقيت في حفـالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم فصاروا كذا ، وشبك بين أصابعه ٠ قال : فما تأمرني يا رسول الله ؟ قـال : عليك بخاصة نفسك ، ودع عنك عوامهم ٠ قال الحسن : فو الله لو لم يسأله لقلنا ليته سأله ، فسأله فخرج والله بسيفين بين الصفين)) [٣]٠

برزت شخصية الرســـول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الخبر شخصية مرجعية تستمد منها بقية الشخصيات – سواء أكانت سردية حاضرة في الخبر ، أو خـــارجية قارئة له – المواعظ والحكم ٠ وقد استطاع البغـــدادي الاستفـــادة من مرجعية هذه الشخصيـــات كونها تشكّل سيلا متدفقـا من المعارف ليجعل القارئ ينهل من أخباره ما يفيده الى جـانب ما يسلّيه ٠

---

[١] بنية السرد في القصص الصوفي : ١٨٤ ٠
[٢] يُنظر جماليات التشكيل الروائي : محمد صابر ، سوسن البستاني : ١٦٤ ٠
[٣] كتاب الفصوص :٢/ ٩٨ ٠

ومن الشخصيات المرجعية الاخرى التي ساقها البغدادي في فصوصه شخصية معن بن زائـــدة الشيبـــاني ، يقـــول البغدادي في أحـــــد أخباره : ((روى أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابي إنّ ودفة الأسدي دخل معن بن زائدة الشيباني ، فلما مثل بين يديه قال : إني رأيت أكرمك الله أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك ، فانك قد بلغت حـــالا لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصّف الـــرجال بعدك لم يكن كبيرا ٠٠٠ فقـــال له : وما كنا أعطيناك شيئا ؟ قال : لا٠ قال : أما الذهب والفضة فليس عندنا ، ولكن هات تختا من ثيابي يا غلام فدفعه اليه ٠٠٠))[١]٠

يقدم الســـارد شخصية معن بن زائـــدة بمظهر الانســـان الكريم الذي يشكّل مقصدا للمحتاجين ، حتى وصل به الأمر الى اعطاء تخت ثيابه عندما لم يتوافر لديه المال ، ولعل هذا الفعل وغيره هو سبب تخليد هذه الشخصية وتناقل الاجيال أخبارها ٠

٢- الشخصيات الثقافية (الادبية – اللغوية):

حفل كتـــاب الفصوص بكثير من الشخصيـــات الثقافية سواء أكانت أدبية أم لغوية ٠ ولاشك في أنّ ايراد أسماء هذه الشخصيـــات أو أفعالها في النصوص الخبرية ((من شأنه أن يُلفت الانتباه الى القيمة التي تتمتع بها في الفضاء الثقافي السردي))[٢]٠

والمتصفح لكتـــاب الفصـــوص يلمح كثيرا من الشخصيات الادبية الواردة فيه ، منها شخصية أبي نواس ٠ يقول البغدادي : ((قال لنا أبو سعيد : قال هارون الرشيد لأبي نواس : يا حكمي اني أستبرع ابتداءك في قولك :

دَع عَنكَ لومي فَـإنَّ اللومَ إغراءُ

وَداوِنِي بالتي كانت هيَ الدّاءُ

قال : يا أمير المؤمنين ، لم أقدر أن أقول ذلك حتى حفظت سبعين قصيدة ، أول كل قصيدة منها (دع عنك) ٠ قال : فقال هارون الرشيد : صدق من قـــال إنّ الشعر من الشعر))[٣]٠

---

[١] كتاب الفصوص : ١/ ١٢٢ ٠
[٢] جماليات التشكيل الروائي : ١٦٦ ٠
[٣] كتاب الفصوص :٥/ ٧ ، والأبيات للشاعر أبي نواس يُنظر ديوانه : ٣١ ٠

فالبغدادي في هذا الخبر يعرض لنـــا شخصية ابي نواس بصورتها الادبية ، وبراعته في أدبه ٠ تارة بوساطة شهادة هـــارون الرشيد بذلك ، وتـــارة بوساطة ثقافته الواسعة وسعة ذاكرته إذ يحفظ سبعين قصيدة ذات مطلع واحد ٠ وبذلك تجلّت هذه الشخصية الادبية واضحة جلية ٠

كما إنّ هذه الشخصيات الادبية لا تظهر على وتيرة واحدة في المسار السردي لكتاب الفصـــوص ٠ إذ نجدها تتحاور حول الشعر كما في الخبر الســابق ، ونجدها أحيانا أخرى تشـــارك في صنع الحدث عبر تفاعلها مع الشخصيات الاخرى ، كقول البغدادي: ((حـــدثنا المفضل الضبي قـــال : كـــان جميل يختلف الى بثينة ويتحـــدث اليها ، فقيـــل لأخيها شبيب ارتصده ، فإنك ستصيبه كامنا في ذنابة الوادي ، حتى إذا إبهار الليل ، وعمد الحس ، وأمن العائنة ، أتاها فناجاها وانصرف ٠ فإرتصده شبيب فأخذه وأوجعه ضربا ، وأراد قتله فأفلت جميل ٠٠٠)) [1]٠

في هذا الخبر تحدث لنا البغدادي عن احدى الشخصيات الأدبية وهي شخصية جميل بثينة ، إلا أنّ البغدادي لم يتحدث عنها في ساحة الشعر وإستنشاده ، بل سرد لنا أحداث لقائهِ ببثينة ، ومعارضة أخوها لهذا اللقاء ٠ وبذلك عرض البغدادي شخصياته المتشابهة بطرق مختلفة ٠ سعيا منه لدفع الملل من جانب وتنويع مادة كتابه من جانب آخر ٠

ولم يقتصر البغدادي في كتابه على الشخصيـــات الادبية ، بل ضمّنه أخبارا لشخصيات لغوية منها شخصية سيبويه والخليل ، يقول البغدادي: ((قال لنـا أبو بكر محمد بن السري : قيل لسيبويه يا أبا بشر ، هل رأيت مع الخليل كتبا يُملي عليك منها ؟ قال : لم أجد معه كتبا إلا عشرين رطلا فيها بخط دقيق مـــا سمعه من لغات العرب وأشعـــارها ، وما سمعت من النحو فإملاء من قلبه ٠٠٠ فكـــان يأمرني بحمل مخلاته ، فوزنتـــها فإذا هي عشرون رطلا وعشرة أرطـــال من الدقيق يتقوتها شهرا ، يستف كـــل عشية منـــها حفنة ، ويشرب علـــيها جرعة ٠٠٠ فإذا انفل من صلاته أدخـــل رأسه في ثيابه وأنـا منه بمرأى ومسمع أنتظر منه شيئا يتكلم به فأكتبه ، فيقول لي : أين أنت يا فارسي ؟ فأقول : لبيك أنا حوليك ، فيقول : ما

---

[1] كتاب الفصوص : ٣/ ٢٥٤ ،وللاستزادة من نماذج الشخصيات الأدبية يُنظر مثلا: ٣٣/٢ ، ١٥٨/٢ ، ٩٧/٤ ٠

تقول في كذا وكذا ؟ فأذكر له ما عندي ، فيقول : أكتب ، فأكتب ما يمليه ٠٠٠)) [١] ٠

ففي هذا الخبر شكّلت شخصيتا الخليل وسيبويه نقطة إرتكاز الحـــدث ، إذ يُبنى الخبر على سرد سيبويه حديـــثا حول سعة علم الخليل ، ويتخلل ذلك حوار يـدور بينـــهما يؤدي الغرض نفسه ٠ وبذلك يمكن القول إنّ الشخصيات اللغوية في هذا الخبر ذات حضور فاعل تقود الأحداث وتنظم الأفعال ، وتقدم نفسها دون الحاجة الى مُقدم يُقدم أو سارد يسرد ٠

ومن الشخصيات اللغوية الأخرى شخصية المبرد التي وردت في خبر البغدادي الذي يقول فيه : ((حدثني أبو الحسن علي بن مهدي الفارسي قال : سمعت ابن الأنباري يقول : سُئل المبرد عن معنى الخبر عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إنّه نهى عن المجثمة ؟ فقال : الشاة المهزولة ، فسأل الشاهد في ذلك ، فقال : قول الشاعر (رجز):

لَم يُبقِ من آلِ الوجيدِ نَسَمه

إلّا عُنيزا بِالفَــلا مُجثّــمه

٠٠٠)) [٢] ٠

لقد وظّف البغدادي في هذا الخبر اسلوب الحوار لإظهار شخصيته اللغوية بصورة واضحة للمتلقي ، إذ جعل البغدادي شخصية المبرد تُظهر نفسها للقارئ وتعكس علميتها عبر الحوار وسوق الشاهد تأكيدا على صحة الرأي ٠

ويحفل كتاب الفصوص بكثير من الإشارات المتنوعة لكثير من الأدباء والعلمـــاء الذين كان لهم ولنتاجاتهم أثر في الثقافة العربية ٠ منها شخصية بشار بن برد[٣] ، وأبو العتاهية[٤] ،والأخفش[٥] ، والفراء[٦] وغيرهم ٠

---

[١] كتاب الفصوص : ٥/ ٧ ــ ٨ ٠
[٢] المصدر نفسه : ٢/ ٢٠٣ ، ولم نجد نسبة لهذه الأبيات في المصنفات الشعرية ٠
[٣] المصدر نفسه : ٢/ ٢٠٤ ٠
[٤] المصدر نفسه : ٢ / ٢٠٤ ٠
[٥] المصدر نفسه : ٥ / ٦ .
[٦] المصدر نفسه : ٢ / ٢٢٩ .

٣ ـ الشخصيات المتخيلة :

تنهض الشخصيات المتخيلة بدور بارز في التشكيل السردي لأخبار البغدادي ، ونعني بها ((الشخصيـــات التي لا وجـود تاريخي لها ٠٠٠ لـــكن ذلك لا يمنع اشتمالـــها على مواصفات واقعية))[١] ، كما إنّها تعمل على تسيير وقائع النص والتأثير بها وتغييرها[٢] ٠

ومن هذه الشخصيات ما نجده في خبر البغدادي الذي يقول فيه : ((يُروى أنّ علقمة بن صفوان بن أمية بن حرب الكناني وهو جد مروان بن الحكم خرج في الجـــاهلية يريد مالا بمكة ، وهو على حمـــار ، وعليه إزار ورداء ، ومعه مقرعة في ليلة إضحيانة حتى انتهى الى حائط خرمان ، فإذا هو بشق له يد ورجل وعين وفي يده سيف وهو يقول (المنسرح):

عَلقَم إنّي مَقتـــول

وإنّ لحمي مَأكول

٠٠٠ فقال علقمة (الرجز):

يا شقُّ مالي وَلَك

أغمد عنّي مُنصَلك

تَقتل من لا يَقتلك

٠٠٠ فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرّا ميتين))[٣] ٠

فقد وظّف البغدادي في هذا الخبر شخصية تخييلية لينسج حولها أحداث خبره ٠ إلا أنّه رسم ملامحها وحدود تواجدها ، ثم نسج حولها أحداثا تُشير الى وقوع الشخصيات الانسانية تحت خطر شخصيات تخييلية ، إذ يتم اللقاء بين الإثنين ومن ثم يتم الصراع ،لينتهي الخبر بهلاكهما معا ٠

وأحيانا تتكون الشخصيات المتخيلة عبر إطلاق صفات أو وظائف إنسانية بشرية على الحيوان وهو ما يُعرف بالأنسنة[٤] ٠ويمكن أن نجد ذلك في الخبر الآتي : ((تقول الأعراب

---

(١) بنية السرد في القصص الصوفي : ١٨٥ ٠
(٢) يُنظر جماليات التشكيل الروائي : ١٦٥ ٠
(٣) كتاب الفصوص : ١ / ١١٣ ، ولم نجد نسبة لهذه الأبيات في المصنفات الشعرية ٠
(٤) يُنظر بنية السرد في القصص الصوفي : ١٨٧ .

: خاصم الضب الضفدعة في الماء ، أيهما أصبر عنه ٠ وكان للضفدعة حينئذ ذنب ، وكان الضب ممسوخ الذنب ، فلما غلبها الضب أخذ ذنبها ٠ فخرجا في الكلأ فصبرت الضفدعة يوما فنادت :

يا ضب وِردا وِردا

فقال الضب :

أصبحَ قَلبي صردا

لا يَشتهي أن يَرِدا

إلا عَرَادا عَــرِدا

٠٠٠))[١]٠

ففي هذا الخبر نجد شخصيات حيوانية تقوم بأدوار خيالية ، إذ لا وجود لهذا الحيوان الناطق المفكر ، إلا أن البغدادي إتخذ من هذه الحيوانات (الضب ٠ الضفدعة) شخصيات لخبره ٠٠، مضيفا إليها صفة الكلام التي إستعارها من الانسان ٠ فهذه الشخصيات من حيث كينونتها هي مخلوقات طبيعية واقعية إلا أنها تقوم بأدوار خيالية ٠

وقد يُنسب الحدث السردي الى حيوان ناطق ليؤدي دوره بإتقان ، فيعمل الســـارد على أنسنة الحيوان – كما ذكرنا – وإعطائه بعدا رمزيا بوساطة الأقـوال والأفعال والسلوك ، وغالبا ما تؤدي هذه الشخصيات أدوارا ((تعمل على وضع الحلول الناجعة لأزمة الإنسان الذي يكون – في الغالب – عــاجزا عن ايجاد حل مناسب لها كما هو الحـــال مع الطيـور والثعلب))[٢]٠

ويمكن أن نجد ذلك في الخبر الذي رواه البغدادي عن هارون العسقلاني والذي يتحدث فيه عن قدوم جارية جعفر بن يحيى البرمكي على سعيد بن يعقوب حاملة أمـــر سيدها بأن يُملي له سعيد حديثـــا عن الحيوانات في رقعـــة دفعتها له فقـــال لها سعيد : ((ارجعي يا جارية فإكتبي : بلغني حين كانت الطير تتكلم ، إنّ حماما عشق حمامة فدعاها ووجه رسولا فجمع الحمام لدعوته ٠ فقـــال له الرسول : قد دعـــوت لك الطير ، إلا أنني مررت بالثعلب

[١] كتاب الفصوص : ١/ ١١٥ ، ولم نجد نسبة لهذه الأبيات في المصنفات الشعرية ٠
[٢] الشخصية القصصية وإمكانية التخييل : سوسن هادي ، (بحث) : ٦٠ ٠

وأي شيء أعـدى للطير من الثعلب ؟ فقـــالت له القنبرة : يا سيــدي لا تهتم فأنا أصلح هذا الأمر ٠ وطـــارت القنبرة حتى أتت الثعلب ، فخرت له ســـاجدة وقالت له : أجب الحمام ، فأقعى الثعلب وقال لها : أي شيء عندكم من الطعام ؟ فجعلت تصف له ما كان من الأطعمة ، ثم قالت في آخر صفتها : إلا أني رأيت شيئا ما رأيت مثله ٠ قـال : وما ذاك صفيه لي ٠ فقـــالت : نعم هو ذو أربع وله عينان بصاصتان ، وله ذنب طـــويل ودقيق ٠ ففكر الثعلب ساعة ثم قال : هذه صفة الكلب ٠ فأقبل على القنبرة وقـــال لها : أدّي الى الحمـــام سلامي وقولي بارك الله لك وفيك وافق صنيعك يــوم الاثنين وعلي نذر أن أصوم الاثنين والخميس ولا أفطر فيهما ما عشت))[1]٠

يظهر هذا النــوع من الشخصيات – المتخيلة – في الخبــر الســـابق لدوافع اخلاقية واجتماعية ، إذ تدعو الى إلتزام سلوك معين ، وإبعاد كل المضـايقات الوحشيــة والجوانب السلبية عن الآخرين ، بمعنى آخر حرص الشخصيــة على المحبة وإقامة علاقات مُثلى بين أفراد المجتمع ،وإن كان النزوع الى هذا السلوك جاء نتيجة ثنائية الخوف / العقاب ٠

[1] كتاب الفصوص : ٣/ ١٠٩ ٠

المطلب الثاني

الحـــــــــدث

يُعدُّ الحدث مكوناً أساسياً من مكونات الأعمال الســـردية ،ولا سيّما القصصية منـــها ، كونها ((مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب تتناول حادثة واحدة أو حوادث مختلفة))[١] . وعمل السارد يتحدد في كيفية تصويره للأحداث التي يريد أن يُطلع القارئ عليها ، ليكوّن نصّاً سردياً يتكون من ((سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية))[٢] .

ويشغل الحدث مساحة واسعة في النصوص الســـردية ، إذ يمثل العـــــمود الفقري لـها [٣] . كما يتضمن رصداً للوقائع التي يقضي تلاحمها وكتابتها إلى تشكيل المادة الحكائية التي تقوم أصلاً على جملة من العناصر التقنية ، ومن ثم ترتيبها بإسلوب جمالي يهدف إلى تسلية القارئ وإدخال المتعة عليه ، وجعله متشوقاً لمتابعة قراءة القصة وصولاً إلى الحدث الأخير [٤] .

ولا يخفى الارتباط الوثيق للحدث بعناصر الـــــــسرد الأخرى ، فعلى صعيد علاقته بالزمن يمكن القول إنَّ الحدث هو إقتران فعل بزمن إذ لا تقوم القصة بدونه [٥] . كما إنّه يتمثل بمجموعة الوقائع المتناثرة في الزمن ، تكتسب خصوصيتها وأهميتها وتميزها من خلال تواليها في الزمن [٦] .

وكما يرتبط الحدث بالزمن فهو يرتبط بالمكان كذلك لأنّ كل فـعل من أفعالنا لا بد من أن يقع في مكان معين [٧] . كما يعد الحدث عنصراً ملازماً لعنصر الشخصية في العمل السردي فطالماً كان هناك حدث كانت هناك شخصية قامت به أو ستقوم به ، ولكي تتطور

---

[١] فن القصة : محمد يوسف نجم: ٩ .
[٢] المصطلح السردي : ١٩ .
[٣] يُنظر تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : آمنة يوسف : ٢٧ .
[٤] يُنظر فن القصة : ٣٤ .
[٥] يُنظر دراسات في القصة العربية الحديثة : محمد زغلول : ١٢ .
[٦] البناء الفني للرواية العربية في العراق : ٢٧ .
[٧] يُنظر الأزمنة والأمكنة : المرزوقي : ١٣٩ .

حركة الحدث داخل النص لا بدّ من أن تتبناه شخصية. إلا أنّ هذا التبني لا يعني إنّ بناء الحدث يعتمد على الشخصية وحدها ، بل يعتمد عليها مع بقية العناصر الأخرى [١] .

أنساق بناء الحدث

إنّ الأحداث في النصوص السردية القديمة لكي تكـون مقبولة لدى المتلقي آنـــذاك لابدّ أن تأتي مرتبة ترتيباً سببياً ومنطقياً ، وتتحرك بإنسيابية عالية ، وهذا يتطلب من الكاتب التعمق في ذلك والنظر إلى الأحداث من زوايا متعددة حتى يخرج العمل برؤية جديدة وفهم أعمق .كما إنّ هذه الأحداث لا يمكن أن تنتظم وتنسجم مع بعـــــضها من دون أن تُبنى وفق أنساق معينة، لأنّ وظيفة النسق هي ((ترتيب أحداث القصة ... بطريقة أو نظام معين ليمنح العمل تفرداً أو جمالية خاصة به))[٢] .

لذلك فإنّ تنظيم الحدث في أي نص يعتمد بالدرجة الأولى عـــلى النسق الذي يقره الكاتب تبعاً لرغبته ولما يراه ضرورياً ومناسباً. إذ تقع عليه مسؤولية ترتيب الأحداث ترتيباً متتالياً ، متوازياً أو متداخلاً وهكذا .

إنّ العنـــاية بالأنساق البنائية للأحداث وكيفية إنتظامها إنبثقا مـن جـهود الشكـلانين الروس فقد كشفت دراساتهم عن وجود أنساق بنائية عديدة أهما التتابع والتضمين والتوازي والدائري وغيرها [٣] .

ومن الأنساق التي تواجدت في كتاب الفصوص .

١ ـ النسق المتتابع :

يعد هذا النسق من أكثر الأنساق شيوعاً في البناء الســـردي ـ لا سيما التقليدي ـ للحدث ، وربما كان وما يزال مهيمناً على الفن القصصي للتأثير الحاصل بـــــين الخبر

---

[١] يُنظر في نظرية الرواية : ١٢٧ .
[٢] بناء الحدث في شعر نازك الملائكة : نجوى محمد جمعة ، (بحث) : ٩٤ .
[٣] يُنظر النظرية البنائية في النقد الأدبي : ٨٦ .

التاريخي والفن القصصي الذي يؤكد على نقل الواقعة الإخبارية نقلاً متتابعاً ، تتعاقب فيه المكونات السردية تعاقباً منتظماً [١] . كما إنّ هذا التتابع في الأحداث لا يعتريه أي تداخل في سير الأحداث بحيث تأتي متسلسلة من دون إنقطاع .

ويعود هذا النمط من البناء إلى بدايات القص الشـــفاهي ، وذلك لأنّ الفعل البشري يميل الى التبسيط ، ويكون ذلك بالإسترسال والمتابعة والتسلسل المنطقي بعيداً عن إختلاط خيوط النص مع بعضها [٢] .

ويمكــن القول إنّ أبرز ما يميز هذا النسق هو إهتـــمامه بـ ((سرد الوقائع بحسب ترتيبها الزمني))[٣]. ومن أبرز الأخبار التي يتمثل بها هذا النسق قول البغدادي: ((قال الباهلي : كان اخوان من بني نمير على ماء من مياههم . وكان لهما شوائل يرعين ريعاً فإذا كان يوم ورودهن ويوم غبهن . فهما من ألبانهن معاش . وإذا كان يوم الريع قال أحدهما لأخيه : غدَّنا وأطيب ، فيقول : ما أنت وقصعة من خمير البخاتية وطعام من فدر الجذاع التي تأكل زهر الحوذان ، إذا غمزت أدناها ضرع أقصاها . فيقول : أطيبت أطاب الله حظك ، إسقنا من الماء . فيشربان على هذه الصفة ، ولم يطعما شيئاً ، فإذا كان غروب الشمس ، طلب الذي كان عليه الغداء العشاء من الآخر ، فقال : عشّنا وأطيب ، فيقول: ما أنت وقصعة فيها مد من صرفان خنس ، يوحل فيها الضرس، بلبن سمراء أو قشراء ترعى الرمث في رأس الشريف عند فواق الضحى فيقول : أطيبت ، أطاب الله حظك . فيشربان على هذه الصفة ولم يتعشيا))[٤].

في هذا الخبر يروي السارد ما دار بين شخصياته ، إذ يلــجأ إلى رسم الحدث عن طريق البناء المتتابع من دون أن يتخلله قطع أو وقف . وقد إبتدأ السارد خبره بإستهلال سردي يُفتتح فيه الفضاء الروائي ، ثم تتوالى الأحداث مكونة سلسلة مترابطة من اللقطات والمشاهد والأفعال نستشف منها تحولاً في الأحداث ، ينقلها لنا البغدادي حسب وقوعها .

---

[١] يُنظر المتخيل السردي : ١٠٨ .
[٢] يُنظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ١٣ .
[٣] حركية الإبداع: خالدة سعيد : ٢٤٢ .
[٤] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٢٢ . الريع : حبس الابل عن الريع أربعة أيام ووردها في الخامس ، الغب : ورد يوم وظمئ آخر ، الغدو : القطع من اللحم ، الجُذَاع : جمع جذع الصغير السن من النوق ، الصرفان : ضرب من التمر ، خنس : مكتنزة .

ويمكن أن نلحظ إنّ البغدادي لم يكتفِ بتسلسل الأحداث حسب أيام وقوعها ، بل نجده يسلسلها حسب حدوثها في اليوم الواحد ، وهذا التسلسل التتابعي نجده في قوله (فاذا كان غروب الشمس) وهذا التحول في زمن الحدث يقترن بأحداث جديدة تقوم بها الشخصيات.

ومن النماذج الأخرى للنسق المتتابع قول البغدادي في أحـد أخباره : ((وقع بين ابن ثوابه وبين أبي الصخر إسماعيل بن بلبل كلام ، فزاد ابن ثوابه على أبي الصقر وشتمه ، وأفحش حتى أسكته ، فبلغ أبا العيناء ذلك ، وكان صديقاً لأبي الصقر ، فغدا على ابن ثوابه وهو في حفلة فقال له : بلغني أنك نازعت أبا الصقر ، وأربيت في الكلام وأقذعت له حتى سكت ، قال نعم ، ولكن ما أنت والدخول بيننا يا مجد . قال : أما السؤال مع الإعواز فليس بعيب ، فقد استطعم من هو خير مني ومنك ، قال الله تعالى في قصة موسى والخضر (استطعما أهلها) ولكم أعظم مني عاراً من أوهن العبيد وأعظم وزرهم . فقال ابن ثوابه :روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : ما أستب إثنان إلا غلب ألامهما قال أبو العيناء : فيها غلبت أبا الصقر بالأمس فأقحم ابن ثوابه وقام عـنه))[1] .

إنّ الخبر السابق يشكّل وحدة سردية متماسكة في عرض الأحـــــداث ، التي جاءت متسلسلة تسلسلاً قائماً على السببية . فكل فعل سردي لاحق هو رد فعل لفعل سابق له . وهكذا تتعاقب الأفعال السردية ليصل الحدث إلى نهايته . إذ يصور لنا السارد ما دار بين ابن ثوابه وأبي الصقر من صراع ، ثم ينتقل بعد ذلك ليطلعنا على الصراع بين أبي العيناء وابن ثوابه ، مازجاً بين الحوار والسرد للتقدم بالأحداث إلى الأمام شيئاً فشيئاً ، ليصل إلى عقدة النص ، ثم إلى خاتمته .

ويرى الدكتور صلاح فضل إن هذا النسق ضروري للـــــــقص ، فإذا إنعدم التتابع تلاشت القصة ، وتحولت إلى لوحة وصفية ليس بين عناصرها غير التجاور المـــكاني[2] . ويمكن أن نرصد هذا الترابط في تسلسل الأحـــداث في قول البغدادي في هذا الخبر ، إذ قال : ((صرت إلى حي يعرف ببني يربوع فطلبت من أنزل إليه ، فلم أجد إلا نساء فأضرّ

[1] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٤٧ ، سورة الكهف : الآية ٧٧ .
[2] يُنظر نظرية البنائية في النقد الأدبي : ٣٢٢ .

بي الجوع))[١] .

في هذا الخبر يحاول السارد أن يُطلع المروي له على حادث دخول يونس حي بني يربوع ليلاً ، مقدماً هذا الخبر بتتابع سردي مع محاولة إدخال روح الدعابة والمرح أثناء تقديمه إذ يقول في تتمة خبره : ((فقلت لهن هل لكن في الصلاة جامعة . قلن وأيم الله إن فيها لهلاً . قال: فأذنت ، وتقدمت فكبّرت وقرأت الحمد ، ثم قلت : يا أيها الذين آمنوا إذا نزل بكم الضيف فلتقم ربة البيت فتملا قعباً زبداً ، وقعباً تمراً ، فإن ذلك خير وأعظم أجراً . قال: فو الله ما أنفلتت من صلاتي إلا وصحاف القوم حولي ، فأكلت حتى تملأت ، وأخذت معي زاداً . ثم جاء رجال الحي ، فسمعتُ امراة منهم تقول لزوجها : ما سمعت قرآنا قط أحسن من قرآن قرأه ضيفنا هذا . قال لها زوجها : إقرائي عليّ هذا الكلام . فأعادت عليه فقال : أبى الله تعالى أن يأمرنا إلا بمكارم الأخلاق))[٢] .

وهكذا إستمر السارد في سرد أحداث خبره بتتابع سردي فالأفعال (أذّنت ـ تقدّمت انفلتت ـ أكلت ـ أخذت) جميعها أفعال تدلُّ على الحركة ، وتُعطينا تتابعاً ملحوظاً لنصل في نهاية الخبر إلى نهاية سرد الأحداث ، التي قُدِّمت لنا تباعاً إبتداءً من نقطة الإنطلاق الأولى (دخول يونس إلى الحي) ، وصولاً إلى نقطة النهاية (خروجه من الحي حاملاً الزاد معه) .أي أنّ السارد قدّم لنا الأحداث بشكل متتابع قائم على السببية عبر شد رغبات كل شخصية لهدف تراه في الأخرى ، الذي بدوره جعل أحداث الخبر متسلسلة حسب اندفاع الشخصيات نحو هدفها المنشود .

٢ ـ نسق التضمين :

يتشكّل هذا النسق السردي عندما يُضمن السارد قصته قصة ثانية أو مجموعة قصص ، إذ يوقف سرد القصة الأم ليكمل سرد القصة المضَّمنة [٣] ، سعياً منه للتنوع السردي وملئ الفراغات السردية[٤] .

---

[١] كتاب الفصوص : ٥ / ٢١ .
[٢] المصدر نفسه والصفحة .
[٣] يُنظر الفن القصصي في النثر العربي : ٢٥٧ .
[٤] يُنظر نظرية الأدب : رينيه ويلك ، اوستن ورين ، تر : محيي الدين صبحي : ٢٨٩ .

ويُعدُّ هذا النسق شكلاً من أشكـــــال إشتغـــــال صيغ الخطاب في تداخلها وتقاطعها [١] .

ويتجلى هذا النسق في بعض أخبار البغدادي منها قـــــــوله : ((قال لنا أبو سعيد السيرافي وقد تذاكرنا بين يديه كثرة الحفظ وأداء المسموع في العلم الذي يؤدي فيه السماع ، ولا يزاد على المأثور منه، مثل علم الشعر واللغة والأنساب والأخبار دون علوم الإستنباط ، وما يعول فيه على القرائح عليك في جنب العلوم القريحية لأنه لا زيادة على ذلك بالسمع ،وإنما يتفاضل فيها بالطبقة الزائدة على التوسط ، وللإنسان في كل علم رتبة ، إذا إنتهى إليها إمن النقصان في ذلك العلم ، قلنا له : وما تلك الطبقة إفدناها ؟ قال هي : طبقة التوسط . فقد روى لنا الأخفش عن ثعلب عن حماد بن إسحاق بن إبراهيم قال لي أبي إسحاق بن إبراهيم : دخلت على الأصمعي أعوده في مرضه الذي مات فيه وهو ما به ، وعند رأسه قمطر مملوء جزازات ورقاعاً وأوراقاً مقطّعة وكراريس خفاقاً ، وفي آخر القمطر شيء من الاشقاف البيض والخرق النقية ، مكتوب فيها ما سمعه من العرب في بواديها ، فقلت : يا ابن قريب أهذا علمك كله ؟ فقال : إنّ هذا من حقّ لكثير ، فكيف وإنه ليموت بموتي ألف وسبعمائة ارجوزة لم أروها لأحد . إلى غير ذلك مما لم يحوه هذا القمطر ، وإنّما علقت فيه أوائل ما خشيت نسيانه ، لأتُذكر به . فإنصرفت عنـــــــــه متعجباً))[٢] .

إن الحكاية المضَّمنة في هذا الخبر ذات حدث حقيقي فـــعلي في مرجعيته التاريخية لكنه حدث في زمن سابق للحدث المسرود ، أوردها السارد عن طـــريق التضـــــمين ، ليكشف بوساطتها عن دلالة الحكاية المضَّمنة وإرتباطها بالحكاية الأم . فبعد أن عرض لنا البغدادي أهمية العلم وتفاضل الناس في درجاته ، تابع سرده ليضع أمامنا خبر جديد يدور حول إهتمام الأصمعي بالعلم حتى آخر لحظات حياته سعياً من السارد تأكيد ما ذكر في الحكاية الأم .

---

[١] يُنظر تحليل الخطاب الروائي : ٢٥٨ .
[٢] كتاب الفصوص : ٥ / ٦ ـ ٧ .

ومن النماذج الأخرى لهذا النسق الخبر الذي تحدث فيـــــــه البغدادي عن خروج الأصمعي في رحلته طلباً للحديث والشعر واللغة إذ يقول : ((بينما أنا أسير على حمار لي وأنا جاد في طلب الغريب من الحديث والشعر واللغة ... فإذا شاب قد برز من البيت جميل وسيم ذو جُمّةٌ تضرب منكبيه ، فأقبل اليّ فسلم فرددت عليه ، فقال لي : إني لأرى زيّاً حضرياً ، ولساناً بدوياً ، فقلت : أما الزي فهو ما ذكرت ، وامّا اللسان فأين نقاء ألفاظكم وقلة تكلفكم ... فضحك وقال : لن تجاوزنا اليوم إلى غيرنا . فقلت له : ما أنا بتارك ما أحببت ولا ألتوي عمّا أمرت))[1] .

بعد هذا النص السردي من الخبر يستمر البغدادي بسرد أحداث اللقاء بين الاصمعي والشاب وكيف أكرمه وأنزله منزلة عظيمة وأحسن ضيافته ، وما دار بينهما من حديث ليصل بنا إلى النقطة التي يتوقف فيها سرد الخبر الأول والبدء في سرد خبر آخر إذ يقول : ((قلت : فهل أنت مستتم العارفة بإفادتي من أشعاركم وأخباركم حتى أُضيف ذلك الى إحسانك ، فقد أكرمت وإرتهنت الشكر . قال : أفعل ذلك . ثم أقبل وقال : أخبرني شيخ من الحي وكان والله صدوقاً إذا أخبر ... قال : كنت في شيبتي متمادياً في الغواية ، ركّاباً لهواي ، منهمكاً في طلب الصبا ،على أني كنت مالكاً لأربتي ، ممتنعاً عن الفواحش ... فسمعنا بمصاب غيث في عرانيس اليمامة ، وما أشتملت عليه بلاد بني سعد ، ومن جاورهم فخرج الحي منتجعين ، فأرسلوني رائداً ...))[2] .

وهكذا يمكن القول إنّ أهم ما يميز هذا الخبر هو طـــول نفس سارده . إذ لم يجعل شخصية الشاب تكتفي بإنشاد الشعر للأصمعي ، بل إستكمل مساره السردي ليجعل نهاية خبره بداية لخبر آخر يسرده الشاب ، وصولاً إلى ما أراده الأصمعي . ولعل الـسارد أراد بذكر الخبر المضمّن دفع الملل عن القارئ نتيجة سرد خبر طويل ، إذ نلحظ إن الاستئناس حصل لسامع الخبر (الأصمعي) قبل قارئه بدليل قوله في نهـــاية الخبر ((والله لقد آنست وأكرمت وأنعمت ... بعد ذلك إستأذنت في الإنصراف فأذن وتودعنا وإنصرفت راجعاً))[3] .

---

[1] كتاب الفصوص : ٢ / ٣١٢ .
[2] المصدر نفسه والصفحة . الإربة : الزمام ، العرناس : أنف الجمل .
[3] المصدر نفسه : ٢ / ٣١٥ .

ويرى جيرار جينيت إنّ الحكاية المضَّمنة تابع سـردي للحكاية الأم ، كونها مدينة لها بالوجود[١]،إلا أنّه على الرغم من تبعيتها فإنها تؤدي وظائف يوكلها لها السارد . ويمكن أن نلحظ ذلك في الخبر الآتي : ((حدثني أبو علي الخصيبي في البصرة قال : كان في جيراني رجل طفيلي ، وكان يترصد خروجي كل يوم ، فإذا دعيت إلى مدعاة صنيع ركب بركوبي ، فأكرم من أجلي، وأجلس إلى جانبي ، فضاق صدري من ذلك ، وإستحييت أن أُقابله بشيء منه . حتى عمل لي علي بن سليمان الهاشمي أمير البصرة صنعياً دعاني فيه ، فقلت : والله لئن وافى الطفيلي على عادته لأخزيته ، فلم يلبث أن ركب بركوبي ونزل معي . فلما تمكن الناس ورُفع عليّ الطعام ، قُلت رافعاً صوتي في الملأ : حدثنا فلان عن فلان عن نافع عن إبن عمر إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوماً وكان جالس بين أصحابه من حضر طعاماً لم يُدعَ إليه مشى فاسقاً ، وأكل حراماً ... فلم أستتم كلامي حتى قال الطفيلي : يا أبا علي لقد تحجرت واسعاً ، بديت على هذا الطعام جـــــشعاً ...))[٢] .

إنّ الخبر المضَّمن هنا غريب عن الحدث السردي الأصلي ، إلا أنّه مرتبط به ، فقد أورده أبو علي في صوره تلميح من شأنه أن يُثني الطفيلي عن فعله . وعلى الرغم من تعدد وجهات النظر في كل جزء من هذا الخبر إلا أننا نلحظ تكاملاً نصياً صنعه الخبر العام ، إذ تمكّن من إستيعاب الرؤى المختلفة للشخصيات في إطار عام وشامل ، إذ لم يفقد السرد وحدته العضوية بتعدد الأخبار ؛ لأن الخبر الإطاري قد إكتمل مضمونه بالخبر المضَّمن . كما حصل الخبر المضَّمن على مشروعيته من خلال خدمته للخبر الأساس .

٣ ـ النسق الدائري :

يُقصد بالنسق الدائري إنّ الأحداث ((تبدأ من نقطة ما ثـم تعود في النهاية إلى نفس النقطة التي بدأت منها))[٣] . كما يعمد هذا النسق إلى جعل النص السردي الذي تدور فيه الأحداث كالحلقة الدائرية التي تعود إليها الأحداث من حيث إبتدأت . وفي ذلك يقول عز الدين إسماعيل : ((نصل في النهاية إلى المنطقة التي بدأنا منها ، ولكننا بعد أن عدنا الى

(١) يُنظر خطاب الحكاية : جيرار جينيت ، تر : محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدي : ١١٨ .
(٢) كتاب الفصوص : ٢ / ٢٢٤ .
(٣) البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ٤١ .

حيث بدأنا ينحل في نفوسنا كل توتر شعوري أحدثته تلك البداية التي كانت في الوقت نفسه هي النهاية)) [١] .ويُرجِـــــــع شجاع العاني تزامن هذا النسق مع شيوع فكـــرة دائرية الزمن [٢].

ويتجلى هذا النسق في قول البغدادي : ((كان الحـــارث بن مارية الغساني مكرماً لزهير بن ضباب ، وكان يُنادمه ويُقدّمه . فقدم عليه رجلان من بني فهد بن زيد يُقال لاحدهما حزن وللآخر سهل إبنا رزاح ، وكان عندهما أحاديث من أحاديث العرب وأخبارهم وأشعارهم . فأكرمهم الملك ونزلا منه بالمكان الأثير فحسدهما زهير بن جناب ... ولم يزل به حتى أوغر صدره عليهما . وكان إذا ركب وجه إليهما ببعير فيركبان معه ، فلما أكثر السعاية فيهما عنده ، رقع بنفسه ذلك فبعث إليهما ببعير واحد ، فنظر أحدهما إلى صاحبه ، وعرفا الشر ... ثم ركبا البعير وخرجا معه ، فقتلهما ورجع من فوره ، فكشف عن حالهما وما قرفا به ، فوجد ذلك باطلاً ، فشتم زهيراً وطرده ، فإنصرف زهير إلى بلده . وقدم أبو الغلامين سهل وحزن إلى الملك ... فأكرمه الملك وأعطاه دية إبنيه . وبلغ زهيراً ذلك . فدعا بولد له يقال له عاجز ، فقال له : إن رزاحاً قدم على الملك وقد أحسن إليه ، وأخذ بقلبه ، فالحق به ، وأكفني أمره ... فخرج الغلام يريد الملك فلما قدم عليه تلطّف في الدخول حتى دخل ، فأعجب الملك ما رأى منه فقال له : من انت ؟ قال : أنا عامر بن زهير بن حناب . قال : أما أنت فلا حياك الله ولا حيا أباك الحسود الكـــــذاب الساعي . فقال الغلام : نعم لا حياه الله ولا قربه ، إنظر إيها الملك ما صفة بي وأنا ولده . وأراه ما به من الجراحات ، فقبله الملك ، وأدخله في سماره . فبينما هو يحدثه إذ قال له : أيها الملك إن كان أبي سيئاً فلست أدعُ الحق أن أقوله ، قد والله نصحك في طول خدمتك ... ثم تركه أياماً لا يذكر له من أمره شيئاً . ثم قال له وقد خلا به في بعض لياليه : أبيت اللعن ، ما تقول في حية قطعت ذنبها وبقي رأسها ؟ والله ما قدم رزاح إلا ليأخذ من الملك بثأر ولده .فقال : وما آية ذلك ؟ قال أسقه الخمر ثم أبعث معه قرابتك يأتوك بخبره . فسقاه ووجه به

[١] الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية : عز الدين إسماعيل : ٢٥٥ .
[٢] يُنظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ٤٢ .

مصروفاً مكرماً إلى قبته ، وكانت معه إبنة له ووجه عليه عيوناً لا يشعر به . فما دخل القبة قامت أبنته تسنده فقال (وافر):

دعيني مِن سِنـــادِكِ إنَّ حزناً

وَسهلاً ليسَ بَعـدَهُما رُقُودُ

ألا تَسلينَ عن شِبــليك ماذا

أصابَهُما إذا إهترشَ الاسودُ

فإني لو ثأَرتُ المرءَ حزنـاً

وَسهلاً قــد بَدا لكِ ما أُريدُ

فرجعت العيون إلى الملك ، فأخبره بما سمعوه منـــــه ، فقدَّمه فضرب عنقه ، وردَّ زهير إلى ما كان عليه من حرمته))[1] .

يفتتح السارد خبره وهو يخبر القارئ عن المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها زهير بن جناب ، ثم يتابع السارد أحداثه ، إذ يقص علينا دخول الوشاة بينهما حتى يصل الأمر إلى طرد زهير . ثم يعطي السارد زمام الإخبار إلى ابن زهير ليتولى سرد رحلته مع الحارث بما بدأ به ، إلا أنّه لم يكرر الجملة نفسها بل عبّر عن ذلك بجملة أخرى . وعلى الرغم من إختلاف بداية الخبر ونهايته من حيث الصياغة ، إلا أنّهما يؤديان الغرض نفسه ، وبذلك يكون التطابق واقعاً بين بداية الخبر ونهايته .

ولا يقتصر هذا النسق على الإبتداء بحدث والإنتهاء به ، بل قد يتضمن أحـــــيانا ((الإبتداء بلحظة نفسية معينة والإنتهاء بها))[2] .ويمكن أن نلحظ ذلك في الخبر الآتي : ((كان عمرو بن سعيد بن مالك بن ضبيه وهو المرقش الأكبر يحب إبنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك ، وكان قد تربى معها . فخطبها إلى عمه عوف ... فقال له عمه : لن أزوجك حتى ترأس وتأتي الملوك ، فخرج مرقش وأتى ملكاً من ملوك اليمن ممتدحاً له فأنزله وأكرمه وحباه ، ثم إنّ عوفاً عم مرقش أصابته سنة فأجدب ، فخطب إليه رجل من

---

(١) كتاب الفصوص : ٢ / ٣٣٦ ـ ٣٣٨ ، والأبيات لرزاح الهندي يُنظر الأغاني : ٥/ ١٠٨ ، وفي تاريخ مدينة دمشق لزراح الهندي يُنظر تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر :٣٥/١٨ ، أو قد أخطأ محقق كتاب الأغاني عندما أسماه رزاح الهندي .

(٢) البنية السردية في شعر نزار قباني : انتصار جويد عيدان ، (رسالة ماجستير) : ٦٦ .

مراد ، فزوجه أبنته . ثم إن مرقشاً أقبل فأشفق عليه أخوته وبنو عمه من أن يعلموه بتزويج ابنه عمه . فلما سألهم عنها قالوا ماتت . قال : فما آية ذلك وأين قبرها فذهبوا إلى قبر قد أخذوا قبل ذلك كبشاً ، فأكلوا لحمه وجعلوا عظامه في ثوبه وقبروه فيه . فكان مرقش يعتاد ذلك القبر فبينما هو نائم عنده ذات يوم إذ إختصم صبيان من بني أخيه في كعبٍ معهما ، فقال أحدهما لصاحبه : هذا كعب الكبش الكبير الذي ذُبِح ودُفِن وقيل لمرقش إنّه قبر أسماء ، دفعه إليَّ أبي . فقعد مرقش مذعوراً وتأتى للصبيان حتى أعلموه الخبر))[١] .

بعد هذا الجزء من خبر المرقش يسرد البغدادي تتمة الخبر، إذ يعرض للراوي رحلة المرقش وإبتعاده عن قومه ، ثم مرضه ولجوءه إلى كهف ، ثم يسرد حادث لقائه بالغفلي الذي يلتقي بخادمها ، ليرسل إليها المرقش خاتمه ، وهكذا تتعرف عليه ، ثم تمضي وزوجها بحثاً عنه ، لتحمله بعد ذلك إلى بيتها حتى مات عندها [٢] .

في هذا الخبر يبتدأ الســـــارد عند لحظة نفسية وينتهي عندها ، وهي لحظة عشق المرقش لأسماء ورغبته بالوصال معها ٠ فبعد هذه اللحظة السردية التي بدأ عندها السارد يمضي بعرض أحداث الخبر بصورة تجعل القارئ فيها متشوقاً لسماع ما يأتي من أحداث ، إذ يتغير الحال برفض والد أسماء زواجها من المرقش ، لتبدأ رحلته بعيداً عن موطنه ليعود بعد ذلك إلى ما بدأ به في نهاية الخبر . فيموت المرقش بالقرب منها . وهكذا تتضح دائرية الخبر ،إذ إنّ بداية حياة المرقش وخاتمة حياته كانتا في عشق أسماء وبالقرب مـــنها .

٤ ـ نسق التكرار :

ويُقصد به تعدد سرد الحدث الواحد تبعاً لتعداد الرؤى [٣] ، أو نـتيجة ((لأغراض فنية وموضوعية يتطلبها بناء الخبر))[٤] ٠ ولعل أهم ما يميز هذا النوع من البناء ضمور حركة الزمن في الرواية اللاحقة للأحداث، إذ تتكرر الخلفية الزمانية والمكانية والأحداث والشخصيات بإستثناء رؤية السارد التي تختلف في كل مرة [٥] .

---

[١] كتاب الفصوص : ١ / ١٥٧ ـ ١٥٨ .
[٢] يُنظر المصدر نفسه : ١ / ١٦١ .
[٣] يُنظر معجم مصطلحات نقد الرواية :لطيف زيتوني : ٦١ .
[٤] السرد عند الجاحظ البخلاء انموذجا : فادية مروان أحمد ، (اطروحة دكتوراه): ١٣٦ ٠ .
[٥] يُنظر المتخيل السردي : ١١٢ .

والإستقراء العام لفصوص البغدادي يكشف عن ندرة هذا النسق في بناء أحداثه ، وقد تمثّل هذا النسق في الخبر الذي تدور أحداثه حول إجتماع النعمان ذي الأنف وأنس بن مدرك ، وتنازعهما على مجموعة من الإبل . فبعد أن أخذ كل واحد منهما نصيبه قام النعمان بذبح بعضها ((فلما أستروحت الدم أجمرت نافرة ، فنادى يا آل خثعم من ردَّ منها ناقة فهي له ، فتبادر إليها الفتيان فتمزعوها وهو لا يملك سواها ، فقام إليه رجل من ذوي الحجا فقال : إنك لمغلوب على عقلك ، والله ما هذا فعل الجواد الحازم ... والله ما غدوت إن استشعرت الإسلاف ، وتصديت الإباق ، وأحزنت ودوداً وأرضيت حسوداً ... وتفرق القوم ، وأقبل النعمان إلى ناقة له فارتحلها ، فخرج وغاب عنهم سبعة أحوال لا يعرفون له خبراً ولا يقترفون له أثراً . قال ابن الكلبي : قال خالد بن قطن : فأخبرني رجل من رجال خثعم وكان رجع إلى قومه عام الهجرة ... قال : فأخبرني رجل من خثعم ، عن بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبّانة بشر في الكوفة عن النعمان قال : لمّا عقرتُ إبلي ولقيت من عزل قومي ما لقيت ، خرجت وأنا لا أريد إلا الموت . فغبرت شهراً كريتا أسير النهار ، فإن أدركني الليل بقراب حي ضفتهم ، وإن قصر بي السير عن حلة إستنبحت حتى أذمّت بي راحلتي ... فغبرت عنهم سبعة أحوال ...))[1] .

إنّ السارد في هذا الخبر قد كرر سرد حادثة واحدة مرتين وبروايتين مختلفتين . إذ يمكن أن نلحظ هذا الإختلاف بالإطّلاع على وجهة نظر السارد لما فعله النعمان ، ففي المرة الأولى لسرد الخبر يرى السارد إنّ النعمان مخطئ في فعلته ؛ لأنه سيندم على ذلك يوماً ما عندما يشكو الحاجة وتتفرق عنه الغلمان ، بينما نجد في المرة الثانية لسرد الخبر إنّ السارد وهو النعمان نفسه يرى إنّ ذلك التصرف نتاج كرمه ، الذي عُرِف به ، وقد ساق رأيه شعراً [2] .

ويمكن أن نلحظ إنّ تكرار الحدث في هذا الخبر أدّى إلى إيقاف جريان الزمن ، لأنّ الأحداث في الخبر المكرر هي ذاتها التي حصلت في الخبر الأول . ومن ثمّ فإنها حدثت في الزمان والمكان نفسهما ، كما نجد ثبوت الشخصيات ذاتها (النعمان ، أنس ،

---

[1] كتاب الفصوص : ١ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ . أجمرت : أسرعت ، تمزعوها : تقاسموها ، الآباق : هروب العبيد ، كريتاً : تاماً ، الحلة : المحل والقوم النزول ، أذّمت : تهاونت ، وتخلفت .

[2] يُنظرالمصدر نفسه: ١ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

وقومهما) . ولعل السارد أراد بتكرار الحدث إبراز وجهات النظر المتعددة للحدث الواحد عبر عقد مقارنة بين رؤية الطرفين للأحداث ذاتها .

٥ ـ نسق التداخل :

ويُقصد به النسق الذي تتداخل فيه الأحداث من دون الإهتمام بتسلسلها الزمني ، إذ ((تتقاطع الأحداث وتتداخل من دون ضوابط منطقية ، وتقدّم من دون الإهتمام بتواليها ، إنما بكيفية وقوعها))[١] .

وفي هذا النسق لا يكون الحدث السابق سبباً لما بعده ، إذ تُستبدل العلاقات السببية بعلاقات سردية . وقد تظهر النتائج قبل الأسباب وهكذا [٢] . ويرى شجاع العاني إنّ هذا النمط جاء ردّاً على هيمنة البناء المتتابع ، إذ يتغير ترتيب الحدث دون أن يخل بجوهره [٣] .

وسنعرض في هذا المقام نموذجاً واحداً لهذا النسق نوضّح بوساطته تكسر تراتبية الزمن ، لأننا سنفصل القول في ذلك في مبحث لاحق عند دراستنا لتقنيتي الإستباق والإسترجاع . يقول البغدادي في أحد أخباره بعد سرده لحادث مقتل إخوة بيهس وعودته إلى أهله بمفرده : ((حتى إذا ساروا ووازوا به سمت الحي ، قيل له : أيت أهلك ، وأنعَ إخوتك . وأطلقَ فأتى أُمه ، فقالت له أين إخوتك ؟ أمورقٌ أنت أم مخفق ؟ قال بل مخفق . قالت : فما فعل إخوتك ؟ قال : قُتلوا .قالت : فما الذي أتى بك دونهم قال : لو خيركِ القوم أخترت ...))[٤] .

هنا يتحدث السارد في خبره عن حاضر الشخصيات ، ويتجلى هذا الحاضر بحوار الشخصيات مع بعضها . غير أنّ السارد يكسر بناء التلاحق الحدثي متحولاً إلى زمن الماضي ليطلعنا على ماضي الشخصية وموقف الأم منه إذ يقول : ((وكانت أمه تبغضه لكثرة شره وتحب إخوته))[٥] . ولم يلبث الراوي كثيراً في استرجاعه ليعود ثانية

---

(١) البناء الفني لرواية الحرب في العراق : ٢٨ .
(٢) يُنظر المتخيل السردي : ١٠٩ ـ ١١٠ .
(٣) يُنظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ٣٨ .
(٤) كتاب الفصوص : ١ / ٧١ .
(٥) المصدر نفسه والصفحة .

إلى الحاضر لتأخذ الأحداث سيرها إلى الأمام ليمضي بيهس في طلب ثأثر إخوته [١].

ومما سبق يبدو البناء المتداخل للأحداث ، إذ بدأ بالـــحاضر ثـم إنتقل إلى الماضي ثم عاد من جديد الى الحاضر .

نستخلص مما تقدم إنّ سارد الفصوص لم يَبنِ أخباره على نـــسق واحد ، بل قدّمها لنا في أكثر من نسق سردي ، وبذلك عكس قدرته الإبداعية في تشكيل الأحداث وترتيبها . إلا أننا نلحظ هيمنة نسق التتابع في كتاب الفصوص [٢] ، ولعل هذا عائد إلى رغبة المتلقي بإستقبال مثل هذا النسق في الأحداث ، وهو أمر مرغوب في الفترة التي كُتِبت فيها تلك الأخبار .

---

[٦] كتاب الفصوص : ١ / ٧٢ .

[١] للاستزادة من النماذج يُنظر المصدر نفسه :٢ /٣٤١ ، ٧/٣ ، ٢٢٢/٥ .

المبحث الثالث

المـــــــروي لـــــــه

إذا كان الراوي هو طرف الإرسال في النصوص السردية ، فـــــإنّ المروي له هو الطرف المُستقبل لهذا النص المرسل . وعليه فإنّ أهمية المروي له لا تقل اهمية عن الراوي . ويؤكد ذلك التلازم الشائع بينهما في التعريفات التي تحدد كل منهما .

فالرواي هو ((الوسيط بين الأحداث ومتلقيها))[١] . والمروي له هو من ((يتلقى ما يرسله الراوي))[٢] . وبذلك أدّى الإهتمام بالراوي كونه عنصر الإرسال في النصوص ، إلى الإهتمام بالمروي له الذي يمثل الطرف الآخر لتلك العملية التواصلية ، وهو ما أُطلق عليه بـ (الترهين السردي) ، والذي يعني إرتباط الراوي والمروي له بعلاقة تبادلية مترابطة حتمية [٣] .

ونتيجة لهذه التلازمية ففي الغالب يرتبط المـــــروي له بالراوي بعلاقة تبعية ، فإذا كان الراوي خارجياً ماثله المروي له بالحضور ، أمّا إذا كان داخلياً فلابد أن يقابله مروي له داخلي [٤] .

وفي الدراسات السردية يجب عدم الخلط بين المـــــــــــروي له والقارئ الحقيقي والقارئ الضمني ، لأنّ القارئ الحقيقي هو إنسان من لحم ودم يتمتع بإستقلاله ويوجد منفصلاً عن النص ، أما المروي له فيقع داخل النص السردي ذاته . فضلاً عن ذلك فإنّ القارئ الضمني على الرغم من إنّه يلتقي مع المروي له في تواجدهما داخل البنية السردية لتلقي المروي ، إلا أنّ المروي له يتميز عنه بإمكانية تجسد حضوره فعليـــاً على مسرح الأحداث عبر تماهيه في إحدى شخصيات النص [٥] .

---

[١] معجم المصطلحات الأدبية : ١١١ .
[٢] السردية العربية : ١٢ .
[٣] يُنظر تحليل الخطاب الروائي : ٣٨٣ .
[٤] يُنظر الصوت الآخر(الجوهر الحواري للخطاب الأدبي) : ١٣٢ .
[٥] يُنظر المصدر نفسه : ١٣٠ .

ويتمتع المروي له بأهمية كبيرة في النص السردي ((فهو عنصر مهم وحاسم في بناء السرد))[١] . وقد إحتل المروي له هذه الأهمية نتيجة تأديته لكثير من الوظائف منها التوسط بين المروي (الأثر الأدبي) وبين القارئ[٢] . فضلاً عن ((توضيحه لبعض أنواع الغموض في النص ، أو إعادة تأكيد وتسويغ الأفعال المعينة لبعض الشخصيات ، ويسهم في تطوير الحبكة ، ويساعد على تأسيس الإطار السردي))[٣] . وقد أعطاه بعض الباحثين أهمية أكثر ممّا ذكرنا بجعله من يحدد مسبقاً نوعية النص الذي يريد أن يُسرد له [٤] .

ولا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ المروي له لا يأتي دائماً بصيغة الإفراد ، فقد يتعدد المروي له في نص ما ، إذ يوجه لهم الراوي الكلام بالتناوب [٥] . ويرى سعيد يقطين إنّ هذا التعدد في المروي له ينتج عنه تعدد في رؤيته للمروي الواحد [٦] .

أنماط المروي له :

يقسم المروي له بحسب موقعه في العمل السردي على نوعين [٧] . المروي له الممسرح والمروي له غير الممسرح . وسنقف فيما يأتي على هذين النوعين وأمثلتهما في كتاب الفصوص .

١ ـ المروي له الممسرح :

يُقصد بالمروي له الممسرح الشخصية التي تتواجد في بنية النص السردي تصغي للراوي وتتلقى منه [٨] ويتمسرح المروي له في النص ((إذا خاطبه الراوي بضمير

---

[١] الصوت الآخر : ١٤٦ .
[٢] يُنظر البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة : ٦١ .
[٣] الصوت الآخر: ١٣٤ .
[٤] يُنظر السرد العربي القديم (الانواع والوظائف والبنيات) : ٩٩ .
[٥] يُنظر المصطلح السردي : ١٤٢ ـ ١٤٣ .
[٦] يُنظر تحليل الخطاب الروائي : ٣٧١ .
[٧] هناك من أضاف لهما نوعاً ثالثاً وهو المروي له شبه الممسرح يُنظر عودة إلى خطاب الحكاية : جيرار جينيت ، تر : محمد معتصم :٩٢ ، روايات حنان الشيخ دراسة في بنية الخطاب الروائي :بشرى ياسين :١٢٢.
[٨] يُنظر السردية العربية : ٢٨ .

المخاطب أو شخّص جنسه))[١] .

ويظهر المروي له الممسرح واضحاً في الخبر الآتي يقول البغدادي : ((حـــــدثنا هارون بن محمد العسقلاني قال : وصلت إلى سعيد بن يعقوب رقعة جاءت بها جارية جعفر بن يحيى بن برمك ، ومعها كراسة فقالت : مولاي يقرأ عليك السلام ، وأرسلني إليك لتُملي عليّ أحاديث الملح فغضب من ذلك وقال : وكيف صرت أُملي أحاديث الملح ؟ فغضبت الجارية من كلامه ، وخرجت مسرعة تريد مولاها . فقالت له جاريته أُم ولده : أغضبت الجارية ، وهو جعفر بن يحيى ، فأنظر شيئاً لا تأثم فيه ، فأرضها به . فقال لها إرجعي يا جارية فأكتبي له : بلغني حين كانت الطير تتكلم ...))[٢] .

في هذا الخبر يظهر لنا المروي له (جعفر بن برمك) متـــــمسرحاً وحاضراً في أحداث الخبر عبر إرساله الجارية إلى سعيد بن يعقوب ومستمعاً لحديث الراوي بعد عودة الجارية . ونجد المروي له شخصية تاريخية معروفه مصرّح بإسمها من قبل الراوي . ويُمكن أن نلحظ إلى جانب ذلك إنّ الراوي جاء محكوماً بنوع معين من السرد (أحاديث الملح) ؛ لأنّ المروي له هو من حدد ذلك وأمر بسرد ما يُريد ، ليتولى بعد ذلك سعيد بن يعقوب السرد ، ويأخذ جعفر بن برمك دور المروي له الممسرح .

وأحياناً يتحول الراوي الممسرح إلى مروي له عنـــــدما ((يلتقي الراوي بشخص آخر فيتحول الراوي إلى مروي له يتلقى السرد من هذا الشخص))[٣] . وهو ما أطلق عليه بالمناقلة السردية [٤] .

ويتجلى هذا واضحاً في الخبر الذي كان راويته أبا الزهراء الذي روى للـــزبيدي رحلته بحثاً عن إبله إذ يقول في جزء منه : ((قلت بأبي وأمي لا يعمى عنك الرشاد لقد كنت أحب أن أكون خبيراً بحاجتك فلأي أمر قد أطلت الترحال والتسيار ؟ قال الزبيدي إذن والله أُخبرك .. ولا أخبرك إلا حقاً . فإسمع مني وتأن ، وأنظرني : إنّه كان لنا كلب

---

[١] البنية السردية في شعر الصعاليك : ١٧٥ .
[٢] كتاب الفصوص : ٣ / ١١١ .
[٣] الصوت الآخر : ١٣٩ .
[٤] يُنظر السردية العربية : ٢٢١ .

قنص ، يغني بصيده العيال ، ويرغد فيه المعتفون والسوّال فأحدث رهط من الحي فيما بينهم حدثاً ، فإرتحلوا ناشئة الصريم حين دجا الليل ...))[١] .

في بداية هذا الخبر ثمة راوٍ ممسرح يمثل القطب الـــــــسردي المرسل وهو أبو الزهراء ، يقابله مروي له ممسرح وهو الزبيدي والذي يمثل جانب التلقي . إلا أنّ الإستمرار في قراءة الخبر يعلن عن تبادل وظيفي بين طرفي العملية التواصلية ، فيتحول الزبيدي إلى راوٍ ممسرح بينما يبرز أبو الزهراء مروياً له ممسرحاً يستمع ما يحدثه به الزبيدي عن قصة قومه مع كلبهم ، ولعل هذا التبادل الوظيفي بين شخصيات الخبر جاء نتيجة إلتقائهما وتبادلهما الحديث معاً .

إنّ تمسرح المروي له في النص لا يظهر عبر تصـريح الـــراوي بالمروي له ، بل يتجلى أحياناً عندما تُعلن الشخصية عن نفسها كمستقبل للنص المروي [٢] . والخبر الآتي يوضح ذلك : ((قال صاعد بن الحسن : كان أبو علي النحوي رحمه الله يقول لي : كلما عملت شعراً تجود فيه فإعرضه عليّ وأمتعني به ، فإني أتعجب ممن يقدر على نظم الكلام الحسن وتخير الألفاظ والمعاني ...))[٣] .

إنّ المروي له في هذا الخبر ممسرحٌ ظاهرٌ في النص كمتلقٍ يسـتمع ما يُسرد له . إلا أنّ ظهوره في النص لم يكن من قبل الراوي ، بل جاء تصريحاً من المروي له نفسه (البغدادي) بأنه من يتلقى ما يسردهُ عليه أبو علي النحوي من حديث حول الشعر ، ومن ينشده وما ضمنه من طلب للبغدادي .

ونجد في فصوص البغدادي أخباراً أعلن فيها الراوي عن تعدد المروي له الممسرح مع تفرد الراوي بالسرد ، وهذا ما يمثله الخبر الاتي : ((عن ابن الكلبي والشرقي قـــالا : حدثنا الحارث بن وداع الباردي ... قال : كان حيان بن عبـــاهر قد ملك نـــــاحية من

---

[١] كتاب الفصوص : ٣ / ٩ .
[٢] يُنظر جماليات التشكيل الروائي : ١٢٩ .
[٣] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٤٥ .

الشام ...))[١] .

فالقـــارئ للخبر يتضح له من الوهلة الأولى وجـود طرفين مستمعين (ابن الكلبي والشرقي) لحديث شخص واحد (الحارث بن وداع) . فالمروي لهما الممسرحان في هذا النص الخبري قد صرّحا بسماعهما من الحارث وبذلك أكدا تمسرحها . إلا أنهما على الرغم من تواجدهما في بنية الخبر ، لم يشاركها في أحداثه بل إكتفيا بمهمة الإستماع .

٢ ـ المروي له غير الممسرح :

يقصد به المروي له الذي يتلقى السرد من الـرواي من دون أن تـــكون له شخصية ظاهرة محددة ، ولا يُشار إليه بإسم معين أو ضمير [٢] ،على الرغم من أنّ كل الشخصيات توجه سردها إليه٠ أي أنّ هذا النوع من المروي له ((لا سمة محددة تميزه ، ولا هوية تسردنه داخل النص الروائي ، أي إنّه شخصية عائمة لا موقع لها يُذكر))[٣] .

ونلحظ هذا النوع من المروي له في الخبر الآتي : ((عن ســـــعيد بن مسلم قال : قدم إعرابي من ولد قتيبة بن معن متوجهاً إلى خراسان ، وصحبه ابن عم له ، فلما صار في بعض الطريق ، مرض فأشفى على الموت ، فقال لابن عمه : ما أجد أحداً أوصي إليه أحق منك ، فأوصيك بتقوى الله تبارك وتعالى ، وتركتي حتى تؤديها إلى أهلي ، وأن تُنقي غسلي وتعمق حفرتي ، وتكفنني في أجود ثيابي ، وتوسدني يميني . فقال له صاحبه: أما نقاء غسلك فما معنا من الماء نبل به شفاهنا ، وأمّا أجود ثيابك فالحي أحق بذلك ، وأمّا إعماق حفرتك فإني لم أرحل إلى خراسان لأصير حفاراً لك ، أوسدك يميناً وأمامي وادٍ أصرحك فيه إن شاء وسدك يميناً وإن شاء وسدك شمالاً))[٤] .

ففي هذا الخبر نجد الراوي يرسل سرده إلى مـروي له غـــير حاضر في النص ولا

---

[١] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٩٣ .
[٢] يُنظر السردية العربية : ١٤٠ .
[٣] جماليات التشكيل الروائي : ١٣٨ .
[٤] كتاب الفصوص : ٣ / ١٠١ .

مشارك فيه ، ولا معلن عنه بإسم أو تحديد ملامح أو صفات ، إلا أنّه يرسل حديثه إلى مروي له حاضر في ذهنه ، يستحضره أمامه ويوجه إليه سرده . لأنّ كل سارد لابد من أن يقابله مسرود له . وإن لم يكن حاضراً . وإلا أصبح السرد هذيان لا معنى له .

ونجد هذا النوع من المروي له أيضاً في الخـبر الآتي : ((وأسر رجــل من مُزينة رجلاً من بني أسد يقال له قمامة فقال : أطلقني ولك ستون بعيراً ، وأعطني فرسك طيبة أركبها فأطلقه وأعطاه فرسه ، فركبها الأسدي إلى أهله . فلامته مزينة على ذلك ، وقالت : لا يرد عليك فرسك ولا الغذاء ، ثم إنّ الأسدي لمّا وصل إلى أهله بعث إليه ستين بعيراً ، وردّ الفرس مصنّعاً مجنوباً إليه مع الإبل))[1] .

في هذا الخبر نجد الراوي غير الممسرح يبدأ بسرد أحداث خـــــبره ، والذي ترد أحداثه حول وفاء الأسير بوعده الذي قطعه لمن فكَّ أسره . إلا أنّ القارئ للخبر لا يجد في ثناياه مرويا له يستمع ما ينقله الراوي ، لذا يمكن القول إنّ المروي له غير ممسرح ولا يظهر في النص ولا يصرّح به الراوي كونه مروياً له معنوياً وليس لفظياً ، مختفياً وليس ظاهراً ، إلا أنه يؤدي ما يؤديه المروي له الظاهر في إستماعه للمحكي لإكمال فاعلية العملية التواصلية الابلاغية .

ويغيب المروي له عن سرده أيضاً في الخبر الذي رواه حـمد بن سلام والذي يقول فيه : ((كان هشام بن العاص مع أخيه عمرو بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب ، فلقوا العدو في مضيق فقتل هشام بين الصفين ، فأمسك المسلمون عن الإقدام بخيولهم ، ولم يقدروا على أخذه ، فقال عمرو بن العاص : إنه جسد لا روح به ، فأوطئوه الخيل . فلما تجلّت المعركة ، جمعه عمر في ثوب بعدما قطعته الحوافر ، ودفنه ...))[2] .

يظهر المروي له غير الممسرح متلقياً لما يقص الـراوي وما يسرده .فدور المروي

---

[1] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٩٢ . المجنوب ، المَقَّود .
[2] المصدر نفسه : ٤ / ٣٠٣ ، وللاستزادة من النماذج يُنظر : ١ / ١٥٤ ، ٣ / ٦٥ ، ٤ / ٦ – ٧ .

له في هذا الخبر لا يتعدى وظيفة التلقي التي يتركز عليها الإرسال السردي . وفي هذا الخبر نلحظ التلازم الوجودي بين الراوي والمروي له ، إذ لا وجود للمروي له في أي نص سردي دون تواجد الراوي ، ولا وجود للراوي إن لم يكن هناك من يتلقى سرده .

الفصل الثالث
الفضـــــــــاء

المبحث الاول : الزمـــــان

المبحث الثاني : المكـــــان

المبحث الاول

الزمـــــــان

قبل أن يصبح الزمن عنصراً مهماً من عنـــاصر الدراسات الســـردية ، كـــان من أهم عناصر النص الأدبي ،بل جعله بعضهم أكثر من ذلك فهو وجود الإنسان نفسه[١] ، أو هو العنصر الرابط بين المجالات البالغة التنوع كالحياة والفكر والمشاعر والتاريخ [٢] .

أمّا في النصوص السردية فيمـــكن القول إنّ عبارة (كان يا ما كان في قديم الزمان) ، ملمحٌ زمنيٌ بـــارزٌ في أغـلب القصص التي كـــــان يحكيها الإنسان [٣].

لقد أولت الدراسات الحديثة إهتماما كبيراً بعنصر الزمن بوصفه أحد العناصر الأساسية والفعّالة في النص السردي إذ ((لا سرد بدون زمن))[٤] . أي أن وجود الزمن في السرد وجود حتمي ، وهذه الحتمية هي التي تُعطي للزمن أهميته ، إذ بالإمكان رواية قصة من دون تحديد المكان الذي تدور فيه الأحداث مثلاً ، وإستحالة إهمال عنصر الزمن في النص السردي .

وتعزو الباحثة سيزا قاسم أسباب الإهتمام بالزمن إلى أنّ الـزمن عنـصر محوري ، وعليه تترتب عنـــــاصر الإيقاع والتشويق والإستمرار [٥] ، على حين يرى إبراهيم جنداري إنّ سبب هذه الأهمية يعود إلى كون الزمن في النص هو((كالنص نفسه)) [٦] .

وقد ميزت سيزا قاسم بين نوعين من الأزمنة في النـــص ، هما الأزمنة الخارجية والتي تشمل زمن الكتابة وزمن القراءة ، والأزمنة الداخلية والتي تتضمن أحداث الرواية في تتابعها وترتيبها ، ووضع السارد فيما يخص وقوعها [٧]، كما قسمت الزمن الداخلي

---

[١] يُنظر في نظرية الرواية : ٢٠٧ .
[٢] يُنظر جدلية الزمن :باشلار ، تر : خليل أحمد : ١٣٧ .
[٣] يُنظر الزمن في الأدب : هانز ميرهوف ، تر : أسعد رزوق : ٩ .
[٤] بنية الشكل الروائي : ١١٧ .
[٥] يُنظر بناء الرواية : ٢٦ ـ ٢٧ .
[٦] الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا :ابراهيم جنداري : ٥٦ .
[٧] يُنظر بناء الرواية : ٣٣ .

على نوعين زمن طبيعي وزمن نفسي. [١] وسنتناول هذين الزمنين ـ الطبيعي والنفسي ـ بالدراسة ، كوننا نجد لهما حضوراً في كتاب الفصوص .

أولاً ـ الزمن الطبيعي :*

ويراد به الزمن الذي يخضع ((لمقاييس موضوعية ومـــعايير خارجية)) [٢]. إلا أن هذه المقاييس لا تتطابق تماما ، فما يجري في يوم سردي مثلاً ، لا يُشترط جريانه في يوم من أيام الواقع الخارجي . ويتجلى الزمن الموضوعي في تعاقب الفصول والليل والنهار وبدء الحياة من الميلاد إلى الموت [٣] .

ولهذا الزمن جانبان : زمن تأريخي وزمن كوني . أما التأريخي فـــــــــهو الفترة التاريخية التي تقع فيها الأحداث[٤]، ((لأن التاريخ يُمثل إسقاطاً للخبرة البشرية على خط الزمن الطبيعي ، وهو يمثل ذاكرة البشرية)) [٥].

وفي كتاب الفصوص نجد العديد من الأخبار التي إحتوت على أزمنة تأريخية مـنها قول البغدادي : ((أملى علينا أبو علي الفـارسي النحوي رحمه الله ببغداد ... سـنة إحدى وسبعين وثلاثمائة فقال : ...))[٦] . ونجد أيضاً في أحد أخبار البغدادي إنّ السارد وهو محمد بن أيوب يفتتح سرده بذكر التاريخ إذ يقول مؤرخاً : ((حجَّ محمد بن أبي ربيعة الكوفي سنة ست وأربعين ومائتين وأحجني معه ، فقال لي في طريق مكة ...))[٧] .

ومن ذلك أيضاً قول البغدادي في أحد فصوصه : ((عن ذي عطاء مـولى عتبة قال

---

[١] يُنظر بناء الرواية : ٥٠ .
* للزمن الطبيعي تسميات أخرى منها : الزمن الافقي ، الزمن الموضوعي ، الزمن الخارجي ، يُنظر الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : ٦٥ ، الزمن في الرواية العربية : مها القصراوي : ٢٢ ، بناء الرواية : ٤٥ .
[٢] الزمن في رواية المنزل الخشبي وطيور مسعود: نبهان حسون، (بحث) :١٠٩.
[٣] يُنظر الزمن في الرواية العربية: ٢٣ .
[٤] ينظر السرد عند الجاحظ : ٧٩ .
[٥] بناء الرواية : ٤٦ .
[٦] كتاب الفصوص : ٢ / ٢٦٢ .
[٧] المصدر نفسه : ٥ / ١٩ .

: قدم علينا ابن عباس سنة إحدى وأربعين ...))[١] .

ولعل الراوي يسعى من خلال ذكر هذه التواريخ إقناع القارئ بأنّ مـــا يسرده هو عالم حقيقي غير متخيَّل [٢] . عن طريق توظيف الوحدات الزمنية بقيمتها الرقمية والتي تجر السرد من الماضي غير المؤكّد إلى ساحة الخبر الواقعي .

أمّا الزمن الكوني فهو إيقاع الزمن في الطبيعة [٣] و يشـــمل إختلاف الليل والنهار ، إذ يتحدد من خلال شروق الشمس أو غروبها [٤] . فمثلاً يقول البغدادي في أحد أخباره : ((فلم نزل نسير إلى أن دلكت الشمس أو كربت))[٥] .

ومن الزمن الكوني أيضاً أوقات اليوم (الصباح ، الظهيرة ، والليل) . ونـــجد لهذه الأوقات حضوراً في فصوص البغدادي إذ يقول : ((فلمّا حسَّ بالصبح إستيقظ ، فأرّث ناره ، وشبّها ثم نادى ..))[٦] . فوقت الصباح في هذا الخبر جسّد زمناً كونياً يشير إلى بداية اليوم وبداية نشاط الشخصيات .

أما الظهيرة فقد وردت في قوله : ((خرج بيهس أحد بني غراب بن فزارة مـــع إخوة له سبعة ، مغيراً على ضبية ، فلقيهم في موضع يُقـال له الأثـلاث ... فقـتلوهم إلا بيهساً إحتقروه لصغر سنه ، ثم حملوه معهم ، حتى إذ قـــام قائم الظهيرة نزلوا ونحروا ناقة ...))[٧] .

كذلك نجد زمن الليل يتجلى في أحد أخبار البـغدادي حين يقول في خبره عن حسان بن شراحبيل عندما خرج مع قومه يريد الإغارة على مهرة بن حمدان :((فباتوا بوادٍ من أودية مهرة فلما تهور الليل قام رجل منهم .. فأمعن في المذهب ، فإذا بسواد كاللَّاية قد ملأ

---

[١] كتاب الفصوص : ٤ / ٤١ .
[٢] يُنظر تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : ٦٨ .
[٣] بناء الرواية : ٥٠ .
[٤] يُنظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ٦٨ ـ ٦٩ .
[٥] كتاب الفصوص : ٢ / ١٨١ . دلكت : غربت ، كرب : دنا وقرب .
[٦] المصدر نفسه : ٢ / ١٨٠ .
[٧] المصدر نفسه : ١ / ٧٠.

الوادي ...))[1] . فقوله تهور الليل تدل على الزمن الكوني ، الذي يحدث جراء غروب الشمس ، ومع حلول الظلام يحل السكون وتلجأ المخلوقات إلى الراحة ، إلا أننا نجد في هذا الخبر خلاف ذلك فقد إستُغلّ الليل بظلامه للهجوم والإغارة .

لعل ورود الزمن الكوني بشروق الشمس أو غروبـــها يمثل دعـــوة القارئ لتلّمّس الجمال ومظاهره من خلال تأمل الشمس ، وإدراك التصوير الفني الذي قدّمه الكاتب .

٢ ـ الزمن النفسي :*

يختلف الزمن النفسي عن الزمن الطبيعي في كونه لا يخـــضع لمقاييس موضوعية ومعايير خارجية ، بل يرتبط بالشخصية وحالتها النفسية . فقد يطول الزمن ويقصر حسب الحالة النفسية للشخصية ، فتأخذ الذات محل الصدارة ، ويفقد الزمن معناه الموضوعي ويصبح منسوجاً في خيوط الحياة النفسية للشخصية [٢] .

فالزمن مثلاً يكون طويلاً وقاسياً حين تكون الشخصية حـــزينة ، ولا تـشعر بمرور الزمن حين تكون سعيدة[٣] . ففي في أحد أخبار البغدادي نجد شخصية هارون الرشيد تشتكي طول الليل لكثرة الهموم التي تعتلج داخله . يقول البغدادي في هذا الخبر : ((حدثنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعي قال : دخلت ذات عشية إلى هارون الرشيد وهو متململ على فراشه ، فقال لي يا ابن قريب لقد منّ الله علينا بك في هذه العشية ، لقد إعتلجت قلبي هموم أخاف أن تطول ليلتي بها . فبُت ليلتك عندي ، وإشغلني عمّا يعاورني من الذكر وطوارق الفكر بملحة تلهيني بها ..))[٤] .

في هذا الخبر نجد أنّ القلق والإضطراب النفسي يُشـــعر الشخصية بثقل الـــزمن وطول لحظاته ، كما أنّ الزمن النفسي في هذا الخبر يُتيح للقارئ الولوج داخل الشخصية

---

[1] كتاب الفصوص : ٤ / ١٤١، وللاستزادة من نماذج الزمن الكوني يُنظر : ١/ ١٠٠ ،١/ ١١٣ ، ٢/ ١٧٦ .

* للزمن النفسي تسميات أخرى منها الزمن العمودي يُنظر الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : ٦٧ ، ويسمى الزمن الداخلي يُنظر بناء الرواية : ٤٥ .

[2] يُنظر بناء الرواية : ٥٢ .

[3] يُنظر مشكلة الزمن من الفلسفة الى العلم : أحمد دعدوش : ٤٢.

[4] كتاب الفصوص : ٣ / ٨٧ .

ومعرفة أحاسيسها . ولشدة ما تعانيه هذه الشخصية من قلق وإضطراب ، نـلحظ أنّ مشاعرها تطفو على السطح حالما تجد لها متنفساً أو ملجئاً تأوي إليه ؛ لتشتكي ما يراودها من مرارة اللحظات وثقلها .

إلا أننا في بعض الأحيان نجد خلاف ذلك فعندما يُركّز السارد عـــــلى المشاعر الداخلية يتقلص الزمن وتصغر وحداته[١] . يقول البغدادي في أحد أخباره الذي تدور أحداثه حول فقد أرطأة بن سهية لأحد أولاده: ((حدثنا إبن حديد ، عن عبد الرحمن ، عن عمه الأصمعي قال : أُصيب أرطأة بن سهية بولد ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، فقام على قبره حولاً يقول كلما أصبح : أي ابناه إن أنا أمسيت عندك هل أنت رائح معي ؟ ويقول إذا أمسى : أي ابناه إن أصبحت عندك ، هل أنت غادٍ معي ...))[٢].

في هذا الخبر نجد أن أرطأة قد عكف حولاً كاملاً يندب ولـده ، فالسارد هــنا قلّص أحداث الزمن بقوله (يقول كلما أصبح أي ابناه إن أنا أمسيت عندك هل أنت رائح معي ؟ ويقول إذا أمسى أي ابناه إن أصبحت عندك هل أنت غادٍ معي)٠ وهذا لا يعني إنّ أرطأة لم يقم في هذا الحول بأي عمل آخر سوى ندب ولده ، بل يدلُّ على أنّه يمضي معظم وقته عند قبر ولده ، وفي ندبه ، إذ يجد راحته في ذلك لأن الذي ((يُعطي للديمومة طابعاً عاطفياً فرح الإنسان بالوجود أو تألمه له))[٣] .وكأن أرطاة في هذا الخبر يبحث عن زمن ضائع إفتقده بفـــقدان ولده ، لذلك فهو يحاور الحاضر حالماً بعودة الماضي . ويمكن القول إنّ السارد في هذا الخبر أعطى القارئ صورةً واضحةً عن صعوبة الأيام التي عاشها الوالد٠إذ أصبح اليأس عادة يعيشها ، ولا بادرة لفجر يطل في الأفق المظلم ، كما إنّ الانكسارات النفسية التي عاشها الأب الفاقد ، كانت سبباً للإستنجاد بالزمن الماضي كي يعود حاملاً معه ذلك الولد .

---

[١] يُنظر بناء الرواية : ٥٢ .
[٢] كتاب الفصوص : ١ / ١٩٦ .
[٣] حدس اللحظة : فاستون بشلار ، تر: رضا عزوز ، عبد العزيز زمزم : ٤٨ .

ويتجلى الزمن النفسي في الخبر الذي يتحدث فيه البغدادي عن الأعرابي الذي أضاع إبله ومضى للبحث عنها إذ يقول : ((فها أنا في بغائهن منذ شهر ، لا أحسُّ حساً ، ولا أرى إنساً ، ولا أسمع همساً ، ... متجافياً أوطاني عن الحشا ثم والله مالي عهد بالطعام كان أردُّ لنفسي ...))[١] .

إن الزمن النفسي في هذا الخبر لا يتضح للقارئ من زاوية طوله أو قصره بالنسبة للشخصية ، بل يمكن أن يُحَسّ به من زاوية أُخرى ، تتمثل بفقدان الأعرابي القدرة على الإحساس بالزمن أو الإلتذاذ به . ونجد تغيير المكان خلال مسيرة الأعرابي في بحثه إلا أن الزمن بقي واحداً يفرض سيطرته على شخصيات خبره، فكل ما يتحدث به الإعرابي هو خلاصة وعيه بالأحداث والزمن الذي إحتواها . وبذلك نقف أمام زمنٍ نفسي يطغى على مسيرة الإعرابي .

وإذا كان الزمن الواقعي الطبيعي يتقدّم بصورة خطية من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل ، فالزمن السردي هو ((خلخلة واضحة للزمن)) [٢] . فالراوي لا يقدم لنا الأحداث حسب ترتيبها الزمني ، بل يعود إلى الوراء ليقدم لنا أحداثاً سابقة لما وصل إليه ، أو يذهب بنا بعيداً إلى المستقبل ليُطلعنا على أحداث لم يصلها السرد بعد . كما إنّ السارد لا يقدّم لنا الأحداث جميعها التي وقعت ، بل يعمد إلى إسقاط ما يراه غير ضروري ، أو تلخيص ما يراه جديراً بالتلخيص وهكذا [٣] .

وعليه يمكن القول إنّ الراوي هو سيد الزمن وليس عبداً له، فهو وإن لم يكن حراً يفعل ما يشاء بنظام زمنه ، إلا أنه ليس مقيداً بعمل شيء واحد [٤] .فهو يتعامل مع الزمن ((لا بصفته عاكساً بل بصفته صانعاً))[٥] حيث يعمد إلى ((تشويه الزمن لغايات

---

[١] كتاب الفصوص : ٣ / ٦٠٥ .
[٢] السرد العربي القديم (الانواع والوظائف والبنيات): ٢٤ .
[٣] يُنظر الزمان والمكان في قصة العهد القديم : أحمد عبد اللطيف ، (بحث) : ٦٦ ، ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية : داوود سلمان : ٧٤ .
[٤] يُنظر الصيغة والزمن في الرواية : جورج واتسن : تر: عباس العويني، (بحث) : ١٤٠ .
[٥] التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف : عبد الحميد المحادين : ٢٥ .

جمالية))[١] . منها التشويق والتماسك وإيهام القارئ [٢] . وهناك من يجد في هذه الصفة أبعد من ذلك ، إذ إنها لا تضيف عناصر جمالية حسب ، بل إنّ دلالاتها تتغير بتغير صياغتها [٣] .

ولا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ قضية الزمن في السرد تعود بداياتها إلى الشكلانيين الروس ، الذين أسسوا تصورهم إنطلاقاً من التمييز بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، والذي يُبنى أساساً على الإختلاف القائم في الترتيب الزمني للأحداث [٤] . فالمتن الحكائي ((مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل ... في حين يتألف المبنى الحكائي من نفس الأحداث ، بيد أنه يُراعى نظام ظهورها في العمل كما يُراعى ما يتبعها من معلومات تبينها لنا))[٥] .

وعلى غرار الشكلانيين الروس ميّز تودروف بين القصة والخطاب فهو يرى إنّ زمن الخطاب هو زمن خطّي وزمن القصة متعدد الأبعاد [٦] .

ويبلور بارت رؤيته للزمن السردي مستفيداً في ذلك حسب ما يرى حسن بحراوي من الشعرية اليونانية التي أعطت الأولوية لما هو منطقي على ما هو زمني [٧] . حيث يُعلن أن الفعل الماضي الذي يُشكّل حجر الزاوية في السرد لم تعد مهمته التعبير عن الزمن فقط ، بل إيصال الحقيقة إلى نقطة ما [٨] .

كما نجد مندولا يتحدث عن هذه المفارقات ، فهو يرى إنّ القارئ ينبغي أن لا يتفاجيء من كون بعض الفصول تتناول يوماً واحداً ، وبعضها يتناول عدداً من السنين . كذلك نبّه إلى أنّ القصة تقف أحياناً دون حراك ثم تطير طيراناً ـ حسب تعبيره ـ أحياناً أخرى [٩] .

---

[١] في نظرية الرواية : ١٨٨ .
[٢] يُنظر تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : ١٧١ .
[٣] يُنظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ٩ .
[٤] يُنظر بنية الشكل الروائي : ١٠٧ .
[٥] نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس) تر : إبراهيم الخطيب : ١٨٠ .
[٦] يُنظر الشعرية: ٤٨ .
[٧] يُنظر بنية الشكل الروائي : ١١١ .
[٨] يُنظر الكتابة في درجة الصفر : رولان بارت : تر : محمد نديم : ٤٠ ـ ٤٣ .
[٩] يُنظر الزمن والرواية : أ٠أ مندولا : تر : بكر عباس : ٨٨ .

ويتحدث جيرار جينيت في كتابه خطاب الحـكاية عـن الثنائية الزمنية المتمثلة في زمن القصة وزمن الحكاية ثم يدرس العلاقات القائمة بينها . ويجعلها في ثلاثة أشكال هي علاقات الترتيب الزمني والمدة والتواتر .[1]

ولا بد من التنويه إلى إننا سنعتمد في مبحث الزمن على مـــــا أرساه جينيت من مقولات زمنية تتعلق بالترتيب والمدة ، وسنترك الحديث عن مستوى التواتر نظراً للصلة الوثيقة بين هذا المستوى وبناء الحدث الذي درسناه في مبحث سابق.

[1] يُنظر خطاب الحكاية : ٤٧ .

تقنيـــــات الزمن

أولاً : الترتيب :

يُقصد بالترتيب ((مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المـــــقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة))[١] . وهي بذلك تمثل عدم إتفاق بين نظامين . نظام وقوع الأحداث في الواقع ونظام حدوثها في السرد[٢] . وهذا الإختلاف وعدم الاتفاق يُطلق عليه المفارقة الزمنية [٣] .

وعلى الرغم من أنّ إستعمال الزمن في السرد العربي القـديم كان على نحو المسار الطبيعي ،حيث نجد الماضي قبل الحاضر ، والحاضر قبل المستقبل . إذ كان التسلسل الزمني هو السلوك السائد في الأعمال السردية القديمة [٤] . إلا أنّ هذا لا يعني أنّ البغدادي صاعد لم يحاول كسر هذا التتابع بوساطة العودة إلى الوراء ؛ لإسترجاع أحداث وقعت في الماضي أو القفز للأمام لإستشراف ما هو آت أو متوقع ، لذلك نجد أنفسنا في نصوص البغدادي أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد . ولغرض معاينة ذلك فإننا سنقف على تقنيتي الإسترجاع والإستباق .

أ : الاسترجاع*

يمكن القول إنّ الإسترجاع مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة إلى اللحظة الراهنة من زمن القراءة[٥] . أي إستعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة ، أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني ليدع النطاق لعملية الإسترجاع . أي أنّه يعني

---

[١] خطاب الحكاية : ٤٧ .
[٢] يُنظر قاموس السرديات : جيرالد برنس : تر : السيد إمام : ١٤٠ .
[٣] يُنظر الزمن في الرواية العربية : ١٩٠ .
[٤] يُنظر في نظرية الرواية : ١٨٩ .
* هناك عدة تسميات أخرى للاسترجاع منها : السرد الاستذكاري ، الارتداد أو الفلاش باك ، الاستذكار، يُنظر بنية الشكل الروائي : ١٢١ ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : ٧١ : ، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً : ٧٦ .
[٥] يُنظر المصطلح السردي: ٢ .

الرجوع إلى الوراء سواء أكان هذا الرجوع بعيداً أم قريباً . ولا بد لنا من الإشارة الى أن هذه التقنية –الاسترجاع- هي تقنية سينمائية في الأصل ثم إنتقلت بعد ذلك إلى السرد .[١]

وللإسترجـــاع مدى وسعة . فأمّـــا مداه فيمثل المدة التي تســـــتغرقها الشخصية في العودة إلى الماضي ، وتقاس بالسنوات والشهور والأيام . في حين إنّ السعة هي مساحة الإسترجاع بالنسبة لزمن السرد ، وتُقاس بالسطور والفقرات والصفحات [٢].

ويُقسم الإسترجاع تبعاً ((لدرجة ماضوية الحدث الحكائي ... ونـوعية العلاقة التي تربطه بالحدث السردي الحاضر))[٣] على نوعين هما الإسترجاع الخارجي والإسترجاع الداخلي . فالإسترجاع الخارجي هو ((مقاطع إسترجاعية تعود بالذاكرة إلى ما قبل بداية الرواية))[٤] ،ويرى جيرار إنّ هذه الإسترجاعات تتداخل مع الحكاية الأولى ، لأنها تعمل على إكمالها عن طريق تنوير القارئ عن هذه الحادثة أو تلك [٥] .

أمّا الإسترجاع الداخلي فهو على العكس من الإستـرجاع الخارجي حـــــيث يكون الإسترجاع داخل الحيّز الزمني للحكاية . إذ يعود الراوي فيه إلى ماضٍ لاحق ببداية النص ، وقد تأخر تقديمه [٦] .

إنّ هذه التغيرات في سير الزمن ومنها الإسترجاع لم توظّف بـصورة إعتباطية وإن كانت في النصوص القديمة عفوية في أغلب الأحيان ، بل ترمي إلى تحقيق جملة من المقاصد البنائية والجمالية سنتحدث عنها في مواضعها .

ومما تجدر الإشارة إليه إنّ الإسترجاع قد شكّل ملـمحاً بارزاً في أخــبار البغدادي ، فقد جعل إسترجاعاته منصهرة في زمن الخبر ، بحيث يضمن للقارئ الإنتقال بين الماضي والحاضر بصورة طبيعية غير مفتعلة ، وكما إنّ الإسترجاع في فصوص البغدادي جاء موزعاً بين الشخصيات ورواتها .

---

[١] يُنظر النقد التطبيقي التحليلي : ٨٠ .
[٢] يُنظر مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً : ١٢٥ .
[٣] الزمن في الرواية العربية : ١٩٤ .
[٤] خطاب الحكاية : ٧٠ .
[٥] المصدر نفسه : ٧٢ .
[٦] يُنظر الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : ١٠٥ .

ويوظف الاسترجاع بغية ملئ الفراغات الزمنية التي تســـــــــاعد على فهم مسار الأحداث ، وهذا النوع من الإسترجاع يتركّز غالباً في الإفتتاحية [١] . ومنه الخبر الذي نقله البغدادي عن إبن الإعرابي ، والذي إسترجع فيه ماضي بلاد خولان ، وما أصابها من قحط ، حيث ساعد هذا الإسترجاع على فهم الأحداث الآتية له ٠ يقول البغدادي:((حكى إبن الإعرابي إنّ بلاد خولان أجدبت ، وفي الحي جارية لا أبوين لها ، فكانت تُرمق وتُعان ، فرأت ذات يوم نعامة أكلت صعروراً ، فغصّت به ، ولم تقدر على الزوال ، فغدت إليها فاصطادتها ، وجعلت تقول رافعة عقيرتها : من حفّنا أو رفّنا فليترك نعامة غصّت بصعرور))[٢] .

فالإسترجاع هنا ساعد في فهم سبب إصطياد الجارية للنعامة . كـــما إنّــه كشف عن ماضي الشخصيات ، ودواخلها النفسية ، التي لم يُفصح السرد المباشر عن بعض جوانبها . ولعل كلام الجارية بعد إصطيادها للنعامة يؤكد ذلك ، فقد قاست في الأيام الماضية من صعوبة الحياة ، وهذا ما دفعها إلى أن تفعل ما فعلت . وفي هذا الخبر إسترجع السارد في إفتتاحيته ماضياً غارقاً في المآسي والمعاناة ، وهذا النوع من الإسترجاع له علاقة مباشرة وتماس حيوي بالحدث الذي إستدعى مثل هذا الإسترجاع من أجل أن تكون اللحظة السردية قابلة للتلقي على هذا النحو المقبول .

ونجد في أحد أخبار البغدادي إنّ الإسترجاع جـــــاء ((كإستدعاء مرتبط بالحدث الحاضر))[٣] . إذ يقول في خبره ، الذي يتحدث فيه عن فقدان عروة لابنه محمد وكيفية إستدعاء الماجشون للماضي عندما أراد إخباره بموت ولده ليهوّن عليه سماع ذلك . يقول البغدادي : ((فجاء من ليليته فاستأذن عروة ، فوجده يصلي ، فأذن له في مصلاه وقال : أفي هذه الساعة ؟ قال : نعم يا أبا عبد الله ، طال الثواء وذكرت الموت ، وزهدت في كثير مما أطلب ، وخطر ببالي ذكر من مضى من القرون قبلي . فجعل الماجشون يذكر فناء الناس وما مضى ويزهد في الدنيا ويذكر الآخرة ، حتى أوجش عروة فقال : قل في ما تريد

---

[١] يُنظر بناء الرواية : ٤٠ .
[٢] كتاب الفصوص : ١ / ٧٥ .
[٣] التداخل الثقافي في سرديات إحسان عبد القدوس : شريف الجيّار : ٢٣٤ .

؟ فإنما قام محمد من عندي آنفاً فمضى في قصته ولم يذكر شيئاً . ففطن عروة فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون . وأحتسب محمد عند الله))[1] .

إن التناوب بين الماضي والحاضر في هذا الخبر ، ينم عن أهمية الماضي في معالجة الحاضر . إذ إنّ الذاكرة هنا هي التي تسترجع أحداثاً منتخبة معينة تخدم الواقعة السردية التي هي قيد التداول الآن . فعملية التذكر في هذا الخبر إنّما هي ولادة ثانية للماضي من جديد ، وهي محاولة من الماجشون لتذكير الوالد بمن مضى من أسلافه . ولعل محرك الإسترجاع في هذا الخبر هو تشابه الحدث الراهن بالأحداث السابقة ، كما إنّ الإسترجاع قد ساعد الماجشون في الوصول إلى مراده والتهوين من مصيبة عروة .

وأحياناً يهدف الإسترجاع إلى ((رؤية الآتي في ظل معطيات الحاضر وإسترجاع الماضي))[2]. ومن نماذج ذلك ما نجده في فصوص البغدادي من خبر يرويه لنا أبو الحسن المدائني يقول فيه : ((قيل لعمرو بن العاص : ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك ؟ قال : إنّا كنّا مع قوم لهم علينا تقدّم وسن ، توازن حلومهم الجبال ، ما سلكوا فجّا فتبعناهم إلا وجدناه سهلاً ، فلما أنكروا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتدبرنا ، فإذا الأمر بيّن ....))[3] .

في هذا الخبر نجد الراوي يطرح السؤال ثم يتنحى جانباً ، ليترك الشخصية وهي عمرو بن العاص تأخذ بزمام السرد ، لتجيب عن السؤال عبر العودة إلى الماضي وإستذكاره . فإسترجاع الشخصية في هذا الخبر للأحداث الماضية عمل على تقديم مشاهد تساعد القارئ على فهم الأحداث الماضية وتفسيرها والربط بينها . إذ كشف الإسترجاع عن

---

(1) كتاب الفصوص : ٣/٦٣-٦٤ ، الماجشون : هو يعقوب بن أبي سلمة ، ابو يوسف الملقب بالماجشون (٣٤ – ١٢٤)، كان من رجال الحديث يجالس عروة بن الزبير .يُنظر الاعلام : الزركلي : ٨ / ١٩٨ .

(2) الزمن في الرواية العربية: ١٩٤ .

(3) كتاب الفصوص : ٣/ ٢٠١ .

السبب الذي دفع عمرو إلى عدم الإسلام مبكراً . كما سعى الراوي عن طريق هذا الإسترجاع الى عقد مقارنة بين الماضي والحاضر ، وهذه المقارنة تدفع الشخصية إلى إستحضار الماضي وروايته من منظور جديد ، وبيان التحول الذي إعترى الشخصية نتيجة الحدث الذي فصل بين عهدين هما الجاهلية والإسلام.

وعندما يكون السارد إزاء أحداث متزامنة فإنه يلجأ إلى الإسترجاع ، إذ يتطلّب منه القص متابعه أحدها ثم العودة إلى الأخرى [١] . ويمكن أن نلحظ ذلك في الخبر الآتي يقول البغدادي : ((يُحكى إنه إجتمع ابن المقفع ، ويحيى بن زياد الحارثي ، ومطيع بن إياس ، وحمّاد عجرد فقالوا : نحن بلغاء الزمان وفصحاؤه ، فلمَ لا نصنع مثل هذا القران ؟ فاجتمعوا على ذلك ، وتفرد كل واحد منهم على حيالة .فما كان في اليوم الثاني من إجتماعهم قال بعضهم : ما عــملتم ؟ قال ابن المقفع : فتحت المصحف فأول ما وقع بصري (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أُحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يُتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إنّ الله يحكم ما يريد) فجمع خمسة أحكام في آية . أفتظنون إن هذا في قدرة مخلوق ؟ قال : فقال مطيع بن إياس : لقد فتحت المصحف فأول ما رأيت (وقيل يا أرض إبلعي ماءك و يا سماء إقلعي وغيض الماء وقُضي الأمر وإستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) ففكرت في عظيم ما جمع من القصص التي لا تستوعبها الصحف في هذا اليسير من الأحرف ، فعلمت إنه كلام لم يتكلف به ، ورأيت إنّ الأرض قد فقرت فاها لتبلعني فلم أرقد البارحة فرقاً. وقال حمّاد عجرد : أول ما فتحت المصحف فرأيت (خذ العفو وأمر بالعرف وإعرض عن الجاهلين) فرأيت كل حسنة مجموعة في ثلاث كلمات ، فعلمت إنــه كلام خرج من إلٍّ ، فندمت لو تنفع الندامة . فقال يحيى بن زياد : أرى لكم أن لا تفضحوا أنفسكم ، وتريقوا دمـائكم فقد أمهلـكم الله ولا يهملكم . فلم يُروا مجتمعين بعد ذلك))[٢].

إنّ الراوي في الخبر جعل شخصياته تقطع سير الأحــداث الطبيعي إلى الأمام لتعود

---

[١] يُنظر بناء الرواية : ٤١ .

[٢] كتاب الفصوص : ٢ / ٦٩ ـ ٧٠ . سورة المائدة : الآية ١ ، سورة هود : الآية ٤٤ ، سورة الأعراف : الآية : ١٩٩ .

قليلاً إلى الماضي القريب . كما نجد الراوي هنا يحاول ربط أحداث الخبر ، فهو يصاحب الشخصيات الواحدة تلو الأخرى لتسرد كل منها ما حدث ، كونه إزاء أحداث متزامنة . وفي هذا الإسترجاع الداخلي نلحظ كيف تغيرت النظرة للأحداث تغيراً ملحوظاً ، فبعد أن إجتمعوا على نظم ما يشبه القرآن ، تفرقوا على تقديسه والندم على فعلتهم ، وبذلك أوقفنا السارد على كثير من الأحداث التي مضت ، وكان لها الأثر الأكبر في تنامي السرد وتشكيل رؤى شخصياته .

ب : الاستباق *

يُعدُّ الإستباق الشكل الثاني من أشكال نظام الترتيب الزمـني ، فإذا كان الإسترجاع عودة إلى الماضي ، فإنّ الإستباق يُعدّ قفزاً للمستقبل بمجموعة من التلميحات أو الإشارات التي يوظفها السارد . وهو بذلك ((مخالفة لسير زمن السرد ، تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حادث لم يحن وقته بعد))[١] .

ويؤخذ على تقنية الإستباق من قبل بعض الباحثين ، إنّها تقتل عنـــــصر التشويق والمفاجأة لدى القارئ ، وهي العمود الفقري للنصوص القصصية ،عن طريق سرد الأحداث الـــلاحقة قبل وقوعها [٢] . في حين يرى بعضهم خلاف ذلك . إذ ترى مها القصـــراوي ، إنّ الاستباق يعمل على خلق الترقب والتشويق ولكن بصورة جديدة ، فهو يَدفع القارئ للتحقق من يقينية ما أُشير إليه [٣] .

ونتيجة لكون الإستباق شكلاً من أشكال التطلع ، لذلك غالـباً ما تُستعمل فيه الصيغ الدالّة على المستقبل ، فهو يسرد أحداثاً لم تقع بعد . إلا أنّ هذه الصيغ تتغير وتتنوع على

* هناك تسميات أخرى للاستباق منها : الاستشراف ، السوابق ، يُنظر بنية الشكل الروائي : ٣٢ ، مدخل إلى نظرية القصة : ٧٦ .
[١] معجم مصطلحات نقد الرواية : ١٥ .
[٢] يُنظر بناء الرواية : ٤٤ ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : ٨١ .
[٣] يُنظر بناء الزمن في الرواية العربية : ٢١٢ .

وفق طريقة الراوي [١] .

ويُقسم جيرار جينيت الإستباق على غرار الإسترجاع على أســـتباق داخلي ، وآخر خارجي تبعاً لقربه من لحظة السرد[٢].

وقد جاءت الإستباقات في كتاب الفصوص بصيغ مـــــــــتنوعة ، منها إتكاء النص السردي على تقنية الحلم . والحلم تعبير سردي سابق لأوانه ، فهو ينهض داخل السرد بمهمة ((التمهيد لأحداث تالية ، أو الكشف عنها)) [٣] .

ومن أمثلة ذلك الحلم الذي رآه الوزير أبو الحـــسن علي بن محمد بعدما بنى بيوتاً على طريق الحجاج ، ليستريحوا فيها أثناء مسيرهم إلى بيت الله الحرام . يقول البغدادي : ((حدثني أبو الحسن رحمه الله إنّه رأى في أول ليلة من شهر رمضان في سنة ذكرها .فيما يرى النائم ، إنه عرج به إلى السماء ، وأُدخل الجنة ، وعرض عليه القصر الذي بُني له ولكل من سعى في بناء المصانع وأعان عليها ، قال : وكانت المصانع عليها الحجاج وهم شعث غبر ظِماء ، فيشربون منها ويقولون : غفر الله لمن إتخذك قال : فكنت أسمع منادياً يقول : غفر الله لكل من بناها وأعان فيها وورد عليها))[٤] .

فالحلم هنا كان سابقاً لأوانه ، فهو يصور الثواب الذي سيـــحصل عليه ذلك الوزير نتيجة العمل الذي قام به . وقد إستطاع البغدادي أن يجعل الحلم الأساس الذي يقوم عليه الخبر ، عندما منح القارئ إمكانية التحرك عبر مساحات واسعة وتوليد دلالات جديدة ، عندما دفع الأحداث إلى أقصى حد يمكن الوصول إليه وهو زمن الآخرة . وقد شكلت رؤيا الوزير في هذا الخبر إستباقاً سردياً تمثل في تبشيره بالجنة ، فضلاً عن ذلك فإن سيـــاق الخبر(أُدخل الجنة ، وعُرض عليه القصر ...) إشارة ثانية على تواجد الإستباق .

وقد يأتي الإستشراف (الاستباق) على هيأة دعاء ، ومثال ذلك الخـــبر الذي ضمّنه البغدادي في طيّات فصوصه والذي يقول فيه : ((أخبرنا الأصمعي عن إبن الكلبي قال :

---

[١] يُنظر الزمن في الرواية العربية : ٦٦ .
[٢] يُنظر خطاب الحكاية : ٧٧ .
[٣] البنية السردية في زمن الخيول البيضاء : سوسن البستاني ، (بحث) : ٢٠ .
[٤] كتاب الفصوص : ٣ / ٢٠٦ .

أضل أعرابي من بني عذرة يُكنى أبا الزهراء إبلاً له فنغص في بغائهن ، حتى أنتهى إلى بيداء متيهة ، يُحار فيها الدليل ... فأوجس رهبة ، ورفع إلى الله رغبة ثم قال : اللهم أنت ترد الضالة ، وتهدي من الضلال ، وتفرج الكروب ، اللهم فأردد ضالتي ، وأفرج كربتي ، إنك على كل شيء قدير ..))[١] .

وما إن أتمّ الإعرابي دعاءه حتى قطف ثمار هذا الدعـاء فحضر إليه من يعينه على إرجاع إبله وهذا ما نجده في تتمة الخبر ((فلم يلبث إن رأى شخصاً مقبلاً على نجيب له أرحلي ، يهوي به كهوي الريح . فلما ساواه على اليفاع قال له : أيها الصارخ ما أضللت ؟ ...))[٢] . حتى ينتهي الخبر بمساعدة الزبيدي للأعرابي في ردَّ إبله [٣] .

إنّ الإعرابي في الخبر السابق إستبق الأحداث عندما دعا الله سبحانه ليرد عليه إبله . ويأتي هذا الإستباق على الرغم من قله سعته ، مقارنةً بالنص ليُشعل فتيل الأحداث ثم يختفي تاركاً أثره يسري ليصنع الحدث . إذ تُستجاب دعوة الإعرابي ليأتيه من يساعده في إرجاع إبله . ولعل السارد في هذا الخبر قد جعل المسافة بين الإستباق وتحقيقه طويلة نسبياً ، إذ سعى إلى خلق نظام تصاعدي للأحداث للوصول بالبناء السردي إلى ذروته فهو يضع العراقيل التي صعّبت مهمة الإعرابي ؛ ليخلق نوعاً من الإنتظار والتشويق لـدى القارئ .

وعند تتبعنا لأخبار البغدادي نجده ضمن أخباره إستباقا جامعاً بين الحلم والدعاء وذلك في الخبـــر الذي رواه عن بعض آل أبي طالب يقــول فيه : ((حدثني بعض آل بني طالب قال : حبسني الرشيد ، فأدخلت في موضع ضيق فيه ستة رجال محبوسون ، وكان ذلك في الليل فرقدت وراسي على ركبتي ، فرأيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)قد حركني بيده وقال لي : يا فلان مالك مغموم ؟ قلت : يا رسول الله أنا في الحبس ، وفي موضع ضيق ، ولا أدري ما يراد بي ؟ فقال لي : أفلا أعلمك دعاء الفرج ؟ قلت بلى يا رسول الله قال : قُل : يا سامع كل صوت ، و يا سابق كل فوت ، و يا محيي العظام وهي رميم بعد الموت . صلِّ على محمد وآل محمد ، وأغثني وفرج عني ما أنا فيه ، بلا إله إلا أنت ، عليك توكلت وأنت

---

[١] كتاب الفصوص : ٣ / ٣ .
[٢] المصدر نفسه : ٣ / ٣ ـ ٤ .
[٣] يُنظر المصدر نفسه : ٨ ـ ٩ .

أرحم الراحمين . قال : فاستيقظت ودعوت بها فلم ألبث أن فتحت الأبواب وجائني رسول الرشيد ، فمضى بي إليه ، ودخلت عليه وهو في فراشه .. فقال لي : ويحك ، مالي ولك ؟ النبي منذ الليلة يأمرني بتخليتك ، امضِ لسبيلك . فقلت يا أمير المؤمنين إن لي في الحبس ثياباً ، أفأرجع فآخذها ؟ قال نعم . فسرت إلى الحبس وعلمت الستة الرجال الذين كانوا معي الدعاء وخرجت فلا والله ما صليت الجمعة إلا وهم معي في المسجد الجامع))[1] .

فالإستباق في هذا الخبر جاء مركباً بين الحلم والدعــاء ، فعندما إستغرق السجين في نومه ، أتاه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وعلمه دعاءً كان سبب خلاصه . ونجد الراوي في هذا الخبر قد بدأ بوصف حال السجين قبل الرؤيا ، حتى يُهيىء القارئ نفسياً لإستقبال الرؤيا ، ثم الأحداث التي تأتي بعدها . كما نجد في هذا الخبر براعة الراوي في الإنتقال بين الأزمنة ، حيث أنّ عودة الراوي من زمن اللاوعي (الحلم) إلى زمــن الوعي تمت بعبارة واحدة هي إستيقظت . ومن الملاحظ أيضاً في هذا الإستباق يقينية تحققه ، فلم يؤد الى خروج صاحب الرؤيا فقط ، بل أدّى إلى خروج بقية السجناء أيضاً .

وقد يأتي الإستباق على شكل أُمنية ومنه قول البــغدادي في أحد أخباره : ((بلغني عن العريان بن الهيثم النخعي إنّه قال : بعثني عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية ، فدخلت إليه وبين يديه شاب من الخوارج قد أمر بقتله ، وهو يحرك شفتيه بشيء يقوله ، فقال يزيد للحرس : ما يقول ؟ قال يقول (طويل):

عَسى فرجٌ يأتي بهِ اللهُ إنّه

لهُ كلَّ يومٍ في خليقَتهِ أمرُ

فقال يزيد : أعليّ تتأول الشعر ؟ لا أم لك . فأمر بقتله ، فأخرج إلى ناحية من الدار ليُقتل .قال العريان : فسألت عنه فأُخبرت إنّه من قومي . قُلت : يا أمير المؤمنين هب مجرم قومٍ لوافدهم .فقال : هو لك ، فأخذت بيده ، فلما خرج قال : الحمد لله على طول العافية وحسن

[1] كتاب الفصوص : ١ / ١٠٠ .

البلاء . تألّى على الله فأكذبه وغالب الله فغلبه))[1] .

إنّ الإستباق في الخبر السابق يختلف عن ســـابقيه ، إذ تمتزج فيه الأمنية مع اليقين ، فالقارئ للبيت الذي ذكره الشاب يلحظ فيه إيماناً بالقدر، المتمثل في إنتصار الحق على الباطل . كما إننا نلحظ صحة هذا الإستباق في السطور الأخيرة من الخبر والتي تتمثل بخلاص الشاب من الإعدام بعد تمنيه لذلك .

ومن الإستباق الداخلي قول البغدادي: ((كانت ســلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أم عبد المطلب بن هاشم عند أُحيحة بن الجلاح . فولدت له عمراً ، فقال أُحيحة ذات يوم لقومه : إستعدوا فإني مصِّبح بني النجار ...))[2] .

ففي هذا الخبر وظف السارد الإستباق ، ليمهّد لأحـــداث قادمة ، جـــاعلاً منه وسيلة تنقل القارئ إلى الحدث الجديد الذي سيسرده الراوي . فالإستشراف هنا لم يتجاوز مداه عدة ساعات ، إلا أنّه أعلن عن الحرب التي ستقع في اليوم التالي . وهو ما طمح السارد إلى تبلغيه، إذ جعل المتلقي يقرأ الخبر بشغف متشوقاً لتتمته .

---

[1] كتاب الفصوص : ٢ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، والبيت لمحمد بن أحمد بن رشيد مولى المهدي العباسي يُنظر الوافي بالوفيات : الصفدي : ٣٢/٢ .

[2] كتاب الفصوص : ١ / ١٢٦ .

ثانياً :- المدّة*

بعد أن تحدثنا عن الزمن ترتيباً ، وتعرفنا على أهم ما يتـعلق بمــفارقاته الزمنية ، سنتعرف عليه من زاوية أُخرى هي زاوية المدة ، والتي تعني مجموعة الظواهر المتصلة بالعلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب ، حيث يمكن أن يكون الزمن الأول أطول من الثاني أو معادلاً له أو أصغر منه [١].

إذ إنّ دراسة المدة تكون عبر ضبط العلاقة التي تربط بين الزمـــــن الحكائي الذي يُقاس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنوات ، وطول النص القصصي الذي يُقاس بالأسطر والجمل والفقرات والصفحات [٢] .

إن التقنيات السردية في مستوى الزمن تتجلى في مظـهرين أساسين هما : تسريع السرد وإبطاء السرد ٠

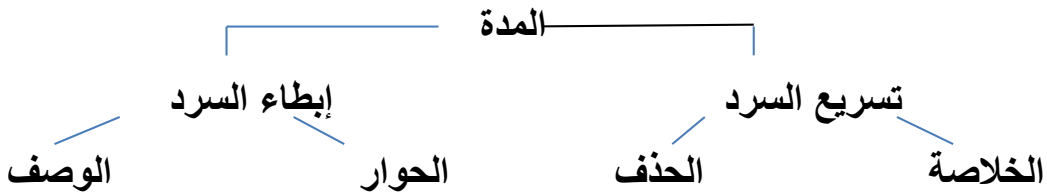

أ :- تسريع السرد :

نعني به إنّ مقطع صغير من السرد يمثل فترة زمــنية طويلة من الحكاية [٣] ، إذ إنّ إلتحام ترتيب الزمن بسرعته يشكّل أحد وجوه الإبداع الأدبي [٤] ، ويكون ذلك عبر إستعمال صيغ حكائية تَختزل زمن القصة وتقلصه إلى الحدّ الأدنى ، ونموذجه هو السرد التلخيصي (الخلاصة) الذي يقوم فيه الكاتب بإستعراض سريع لأحداث من المفروض إنّها

* هناك عدة تسميات أخرى لهذه التقنية منها : حركات السرد ، الاستغراق الزمني ، الديمومة يُنظر تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ٨٢ ، بنية النص السردي : ٧٣ ، مدخل الى نظرية القصة : ٨٥ .
(١) يُنظر قاموس السرديات : ٥٤ .
(٢) يُنظر تشظي الزمن في الرواية الحديثة : أمينة رشيد : ٣٦ ، مدخل الى نظرية القصة : ٨٥ .
(٣) يُنظر الزمن في الرواية المعاصرة : ٢١٣ .
(٤) يُنظر في دلالية القص وشعرية السرد : د . سامي سويدان : ١٨٢ .

إستغرقت مدة طويلة ، ثم الحذف وهو مؤشر على الثغرات الواقعة في التسلسل الزمني ، ويتميز بإسقاط مرحلة بكاملها من زمن القصة [١] .

١ ـ الخلاصة :*

تمثل الخلاصـــة تقنية سردية يقوم الكاتب من بوســـاطتها إحداث تسريع للزمن ، فيختزل زمن السرد بحيث يصبح أقل من زمن القصة . أي أنّ الخلاصة هي سرد مدة زمنية ما في أسطر قليلة دون التعرض للتفصيلات ، ويتم ذلك بسرد أحداث يُفترض أنّها وقعت في سنوات أو أشهر في صفحات أو أسطر أو بضع كلمات [٢] .

وتهيمن على هذه الحركة السردية صيغة الراوي العــليم ، الذي يرى الأحداث من الخارج ، فيحمل لنا المهم منها حسب إعتقاده ، كما أن الراوي لا يأتي بالخلاصة عفو الخاطر ، وإنما إستجابة لرغبة تعبيرية ذاتية أو مفروضة [٣] . حيث يلجأ السارد إلى الخلاصة في حالتين : الأولى: عندما يتناول أحداثاً حكائية ممتدة في فترة زمنية طويلة ، فيقوم بتلخيصها في زمن السرد وتسمى بالخلاصة الإسترجاعية . والحالة الأخرى : حين يتم التلخيص لأحداث سردية لا تحتاج إلى توقف زمني سردي طويل ، ويمكن تسميتها بالخلاصة الآنية في زمن السرد الحاضر [٤] .

ويبدو أنّ مهارة التلخيص تمثل جزءاً من كفاءة السرد ((فـــــهي عنصر مهم في الشرح يتوقف عليه نجاح التحليل في الوصول الى البنية السردية))[٥]. ولا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ الملخص لا يُقدّم بسرعة ثابتة ، بل إنّ سرعته تتراوح بين أبطا وأقصر سرعة ممكنة إذ يمكن ((للتلخيصات أن تطول أو تقصر بشكل جدٌّ مختلف))[٦].

---

[١] يُنظر بنية الشكل الروائي : ١١٩ ـ ١٢٠ .

* هناك عدة تسميات اخرى لهذه التقنية منها المجمل ، الملخص ، التلخيص ، الإيجاز . يُنظر خطاب الحكاية : ١٠٩ ، نظريات السرد الحديثة : والاس مارتن ، تر : حياة جاسم ، ١٦٤ ، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق : ٨٢ ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : ٨٤ .

[٢] يُنظر تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : ٨٢ .

[٣] يُنظر بنية السرد في القصص الصوفي : ٢٢٩ .

[٤] الزمن في الرواية العربية : ٢٢٤ .

[٥] يُنظر بلاغة الخطاب وعلم النص : صلاح فضل : ٢٨٩ .

[٦] نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير : ١٢٦ .

وتؤدي الخلاصة وظائف متعددة منها المرور على فــترات زمنية طويلة [١] . ومن ذلك ما رواه صاعد البغدادي من خبر أبي تمام ، إذ يقول : ((حدثنا أبو جعفر محمد بن محبوب الفقيه بمصر قال : حدثني أبو المقدام الشاعر الأعور قال : كان حبيب بن أوس صبياً يتعلم عندي ثم نما ومرع وقال الشعر . فلما وافى المأمون مصر ، صار إليّ فقال لي : يا أبا المقدام ، إني قد جئتك لحاجة قلت ما هي ؟ فقال : إن ابن عمي المعلى بن العلاء الطائي شاعر الناس اليوم ، وقلت شعراً أحببت أن أعرضه عليه ، وأُشاوره فيه . فإن إستحسنه وأمر بإظهاره أظهرته ، وإن تكن الأخرى طويته ...))[٢] .

فالسارد في هذا الخبر قدّم لنا عرضاً موجزاً لفترة زمــنية طويلة من حياة أبي تمام ، والتي بدأت من صباه حتى نبوغه في قول الشعر ، إذ ذابت هذه الفترة الزمنية الطويلة في وعاء الكلمات القليلة أو إكتفى بذكر الأحداث المهمة ذات العلاقة بالموضوع ، وأغفل الأحداث الثانوية التي لا تؤثر في سير الأحداث .

ومن الوظائف الأخرى التي تؤديها الخلاصة التــقديــم العام للشخصيات والمشاهد والربط بينها [٣] . وهذه الوظيفة يمكن أن نلمحها في الخبر الآتي : ((حدثني أبو الحسن ، علي بن محمد المعروف بابن البقال وكان أديباً من شعراء بغداد ومجوديها . وكان حسن الدين رصين العقل ، كثير الخير ، مُمتع المجالس ...))[٤] . ففي هذا الملخص ذي المساحة المحدودة ، قدّم لنا الراوي شخصية من شخصيات الخبر بعدد محدود من الكلمات حرصاً على تسريع السرد ، ودفعاً للأحداث إلى الأمام ٠وهو بهذه الخلاصة أعطانا صورة واضحة عن شخصية ابن البقال مستغنياً عن جوانب متعددة من حياته لا تفيد الخبر بشيء . بعد ذلك يتنحى الراوي جانباً ليسلم لواء السرد إلى أحد شخصيات الخبر وهو إبن البقال ليتولى تقديم ملخص عن حياته ، إذ يقول : ((كنت متصرفاً أيام حداثتي في خدمة الوزير أبي الحسن عيسى أيام المعتمد))[٥] .

---

[١] يُنظر بناء الرواية : ٥٦ .
[٢] كتاب الفصوص : ٥/ ١٢ .
[٣] يُنظر بناء الرواية :٥٦ .
[٤] كتاب الفصوص : ٣ / ٢٠١ .
[٥] المصدر نفسه : ٣ / ٢٠٢ .

فابن البقال أعطانا ملخصاً عن حياته ، بضغط الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها في خدمة الوزير بعدد محدود من الكلمات . ثم ينتقل ابن البقال من الحديث عن نفسه إلى الحديث عن الوزير وبشكل ملخص أيضاً ، إذ يقول : ((وكان الوزير كثير البر ، غدق المعروف ، كثير الصوم والصلاة حسن الدين))[١] . ولعله لجأ إلى هذه الخلاصة ليبرر لنا سبب مكوثه طيلة صباه في خدمة الوزير .

فالخبر السابق قدّم لنا خلاصة لحياة ثلاث شخصيات ، دون أن يتجاوز سبعة أسطر ، ولعل هذا أوضح الأمثلة على تسريع السرد ٠فالراوي هنا ضغط فترات زمنية متعددة ، مورداً أبرز أحداثها بشكل سريع دون تفصيل٠

ويلعب عنصرا التكثيف والإختزال دوراً هاماً في الخـــــلاصة ، إذ يدفعا المتلقي إلى المساهمة في بناء الأحداث بتفعيل مخيلته ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في الخبر الآتي: ((كانت إمراة من عبد القيس ثم من بني صباح لها ابن يقال له شيبان ... وكان شريراً عاقاً ...فلم يزل على شرته وعقوقه ، حتى مات . وخلف ابناً له شرّاً منه وأعق ، فكانت أمه تعضه وتعلّمه ، فلا يصغي إلى عظتها . ولم يحفل بوصاتها ، فعدا يوماً على ابن عم له أشراً ، فأخذه ابن عمّه فحطأ به الأرض حطأة دُقَّ منها عنقه ، فمات))[٢] .

فهذه الخلاصة التي قدمها لنا الســـارد عن شخـصية الولد لا تقــدم مجرد معلومات عن ماضي الشخصية ، بل تثير في مخيلة المتلقي جملة من صور الشر والعقوق التي كان يتصف بها والتي أدت به إلى هذه النهاية . كما تؤدي هذه المشاهد الملخصة دوراً تكثيفياً في العمارة السردية والتي تكشف بدورها عن بلاغة السرد والتفنن في تشكيله .

ومن الوظائف الأخرى التي يقوم بها التلخيص تقــديم الاسترجاع [٣] . ونـــجد في أخبار البغدادي ما يمثل هذه الوظيفة ، إذ يقول : ((سمعت المنذر بن عبد الله قال : رويت

---

[١] كتاب الفصوص : ٣ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .
[٢] المصدر نفسه : ١ / ٩٢ .
[٣] يُنظر بناء الرواية : ٥٦ .

الشعر ثلاث عشر سنة قبل أن أروي الحديث ...))[١] . ففي هذا الخبر أسقطت الخلاصة وبطريقة مُقننة العديد من التفاصيل ، التي يمكن ذكرها بخصوص الثلاث عشرة سنة الماضية ، وقد مزج السارد بين تقنيتي الإسترجاع والخلاصة ، إذ تؤدي كل منهما وظيفتها المنوطة بها لتسهم في تخليص السارد من مأزق السنوات الطويلة التي سبقت خبره ، دون أن تقطع خيوطها الممتدة في نسيج النص الخبري .

٢ ـ الحذف :*

يقف الحذف إلى جانب الخلاصة بوصـــــــفهما حركتين سرديتين تسرعان وتيرة السرد كما أسلفنا . والحذف حركة سردية تقوم على إسقاط فترة زمنية قصيرة أو طويلة من زمن القصة ، وعدم التطرق للأحداث التي وقعت فيها ، فهو ((تكثيف زمني مهمته إمتصاص فترة زمنية ليست على قدر من الأهمية))[٢] . حيث ((يتوقف الخطاب ، فيما يستمر الزمن بالمرور في القصة))[٣] .

والحذف كأي تقنية سردية يؤدي جملة من الوظائف منـــها إسقاط الفترة الزمنية الميتة [٤] ، والقفز بالأحداث إلى الأمام بإشارة أو بدونها [٥].

ويقسم الحذف على نوعين :

أ : الحذف الصريح :

وهو الحذف الذي يُشير إليه الراوي بعبارات موجزة توحـــي إلى الإحساس بالفراغ السردي الناتج عن الحذف [٦] . وقد حفل كتاب الفصوص بنماذج الحذف الصريح نذكر منها قول البغدادي في أحد أخباره ، والذي نقتطع منه ما يمكن الإستشهاد به لطول الخبر ،

---

[١] كتاب الفصوص : ٤/ ٢٧٨ .

* هناك عدة تسميات أخرى للحذف منها الإضمار ، القطع ، الثغرة ، الفجوة ، يُنظر مدخل إلى نظرية القصة : ٨٩ ، بنية النص السردي : ٧٧ ، بناء الرواية : ٦٤ ، المصطلحات الأدبية الحديثة :محمد عناني : ٢٤ .

[٢] بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٣٨ .

[٣] علم السرد : يان مانفريد ، تر : أماني أبو رحمة : ١٥٦ .

[٤] يُنظر الزمن في الرواية العربية : ٢٣٣ .

[٥] يُنظر بنية الشكل الروائي : ١٥٦ .

[٦] يُنظر خطاب الحكاية : ١١٧ ، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : ١٢٣ .

إذ يقول : ((فركب فرسه وحملها على بعير ، فانتهيا إليه بعد يوم وليلة فإحتمله إلى منزلهما ...))[١] .

ففي هذا الخبر يقفز الراوي مدة زمنية مـــــعلومة (يوم وليلة) دون الإشارة إلى الأحداث التي وقعت فيهما ، بغية الإسراع في الوصول إلى الحدث الأساس ، وهو وصولهم إلى المرقش وحملهم إياه . فضلاً عن أنّ هذه الأيام قد لا تحوي على أحداث مهمة لذلك إكتفى السارد بالإشارة إليها دون الخوض في تفاصيلها .

ومن النماذج الأخرى التي يمكن أن نســوقها إستدلالاً على وجــود هذه التقنية في أخبار البغدادي ، ما ذكره في خبر الحارث الغساني حين قال : ((وكان عندهما أحاديث من أحاديث العرب ، وأخبارهم وأشعارهم ، فأكرمهم الملك ونزلا منه بالمكان الأثير ، فحسدهما زهير بن جناب ، فدخل عليه فقال له : أبيت اللعن ، إن هذين والله عين لذي القرنين يكتبان إليه بعورتك وخلل ما يران منك . فقال : كلاّ ما هو على ما تقول . فتركه أياماً ثم ذكر له ذلك ، ولم يزل حتى أوغل صدره عليهما ..))[٢] .

لقد وظّف السارد تقنية الحذف حين قـال (فتركه أياماً) ، وبذلك ألغى جـميع الأحداث التي حصلت في تلك الأيام . ولعل السارد هنا لم يتوسع في ذكر أحداث هذه الأيام ؛ تلاشياً منه للإطالة غير المفيدة ليعود زهير إلى ما كان عليه قبل تلك المدة .

ب :- الحذف الضمني

وهو الحذف الذي يتم فيه الإنتقال من زمـن إلى آخر، بعيـــداً عن التحديدات الزمنية الدقيقة [٣]، دون أن يُشير إليها ، بل ليستدل عليها القارئ بوساطة ((وجود ثغرة في التسلسل الزمن أو الإستمرارية السردية))[٤] .

ومن نماذج ذلك قول البغدادي: ((كانت امرأة من العرب ومـات عنها زوجها ، ولها

---

[١] كتاب الفصوص : ١ / ١٦١ .
[٢] المصدر نفسه : ٢ / ٣٣٧ .
[٣] يُنظر الفضاء عند جبرا إبراهيم جبرا : ١٢٣ .
[٤] خطاب الحكاية : ١١٩ .

منه أربعة بنين، فقامت عليهم حتى زوجتهم ، ثم تزوجت ، فغابت عنهم زماناً ، ثـــم أتتهم ...)) [1] .

ففي الخبر توجد فترة زمنية غير محددة في قـــوله (فغابت عنهم زماناً) ، تم القفز عليها دون الإشارة إلى الأحداث التي جرت فيها ، فالمقطع السردي قلّص الزمن وحافظ على إتصال السرد ، وقد وظّف السارد هذه التقنية للربط بين الأحداث والحفاظ على تماسك بناء النص ، فضلاً عن عدم كدّ ذهن القارئ بأحداث لا تخدم السرد بشيء .

وكما يلجأ الراوي إلى إسقاط فترات زمنية طويلة في مواضع ، نجده يسقط فترات زمنية قصيرة في مواضع أخرى . وهذا ما نجده في الخبر الآتي ، إذ حذف فيه البغدادي فترة زمنية قصيرة دون أن يصرّح بها ،عندما تحدث عن إرسال عبد الرحمن بن قطف صديقه يوسف بن محمد إلى عثمان بن حمزة ؛ ليستقرض منه ألف دينار على أن يعيدها له حالما توافر المال لديه يقول : ((ثم دعا بألف دينار فدفعها إليّ ، فذهبت إلى عبد الرحمن بن قطف ، فقضى بها حـــاجته ، ولم يلبث إلا يسيراً حتى جـاء عبد الرحمن المال الذي كان ينتظر ...))[2] .

فقوله لم يلبث إلا يسيراً يدل على إسقاط فترة زمنـية ليست طويلة مـن زمن السرد ، لم يذكرها الراوي في سرده ، وفي هذا الخبر لم نعثر على إشارات تساعدنا على معرفة مدة الحذف التي تبقى مجهولة تضلل القارئ لولا تدخل السارد والأخذ بيده ليوصله إلى الحد الذي وصل إليه السرد عند عودة الأموال إلى عبد الرحمن .

وعليه يمكن القول إنّ صاعد البغدادي قد أعـطى السرد مظهر السـرعة في عرض الوقائع ، فهو أحياناً يلغي فترات زمنية من الخبر عبر تقنية الحذف ، وأحياناً لا يحذف ولا يلغي وإنما يُجمل ويلخص .

---

[1] كتاب الفصوص : ١ / ١٩٤ .
[2] المصدر نفسه والصفحة .

ب :- إبطاء السرد

تتجلى مظاهر إبطاء السرد في مجموع التقـنيات التي يسعى السـرد بوساطتها إلى تبطئة سير الأحداث . حيث مقطع طويل من الخطاب تقابله فترة زمنية قصيرة من الحكاية ويكون ذلك عبر تقنيتي الحوار والوصف .[١]

١ ـ الحوار

يُعد الحوار أحد الأليات التي يعتمدها العمل الأدبـي في بنـــاء تشكيله السردي إلى جانب السرد والوصف . فهو يمثل ((تبادل الكلام بين شخصين أو أكثر))[٢] . حيث يترك الراوي مكانه في سرد الأحداث فاسحاً المجال للشخصيات كي تتحاور فيما بينهما [٣] .

والسارد في هذه التقنية لا يلجأ إلى تعديل كلام الشـــخصية المتحدثة ، فلا يُضفي عليه أي صبغة أدبية أو فنية ، وإنما يتركه على صورته العفوية[٤]. وفي هذه التقنية يتساوى زمن القص مع زمن السرد[٥] . لا طبقاً للوقت الذي تستغرقه الكتابة أو القراءة ، فالزمن فيهما مطاط لا يمكن قياسه ، لكن القياس يكون في عدد الصفحات التي يشغلها الحوار، بعدّها نقطة إلتقاء المكان بالزمان في لحظة يسهل قياسها والمقارنة بها[٦] ، ((حيث لا تُختصر الأحداث بل تُقدم في تواليها وإنجازها كاملة))[٧] .

ويلعب الحوار دوراً مهماً في النصوص السردية ، فـهو يؤدي وظيفة مشهدية درامية ، تُغني العمل السردي ، وتجعله أكثر قابلية على الحركة والتفاعل السردي . بالإضافة إلى أنّ فاعلية الحوار تُعرّفنا على الحدث والشخصية والزمان والمكان [٨] .ومن هنا تتأكد أهمية

---

[١] يُنظر الزمن في الرواية العربية : ٢٢٣ .
[٢] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ١٥٦ .
[٣] يُنظر بنية السرد في القصص الصوفي : ٢٢٢ .
[٤] يُنظر بنية الشكل الروائي : ١٦٦ .
[٥] يُنظر بنية النص السردي : ٧٣ .
[٦] يُنظر أساليب السرد في الرواية العربية : صلاح فضل : ٢١ .
[٧] البنية والدلالة : ١١٨ .
[٨] يُنظر أنماط التشكيل الحواري في رواية حكايتي مع رأس مقطوع : علي صليبي ، (بحث) : ٣ .

الحوار في العمل الســـردي إلى درجـــة أنّ ((حذفه من النص يُلحق ضرراً بالتبادل العام للقص ؛ لأنه قد يؤدي غرضاً لا يؤديه السرد)) [١] .

ومن أهم الوظائف التي يؤديها الحوار تعبيره عــن الـــــــواقع النفسي والشعوري للشخصيات داخل العمل الأدبي . فهو ((يكشف عن ذات الشخصية من خلال حوارها مع الآخر))[٢] . فمثلاً يقول البغدادي في أحد أخباره: ((ذكر عمر بن الخطاب الفقراء فقال : إن سعيد بن عامر بن خديم لمنهم . فأرسل إليه بألف دينار فأخذها وقال لامرأته : هل لكِ أن نَضَعها في موضع إذا إحتجنا إليها وجدناها ؟ قالت : نعم . فصّرها صرراً وكتب عليها كلوا هنيئاً ، فجعل يأتي البيت الذي يرى إنهم فقراء فيلقيها إليهم حتى أنفدها . قال : فلما إحتاجوا قالت إمرأته : لو جئتنا من تلك الدنانير فأنفقناها فجعل يسوفها قالت: أراك والله قد فعلت. قال: أجل قد فعلت ، وقد بلغني أنّ فقراء المؤمنين يُدعون قبل أغنياهم بخمسمائة عام ، وما أحب أن لي الدنيا وما عليها وأنا في الزمرة الآخرة ٠ولقد بلغني أنّ المرأة من الحور العين لو أشرفت على اهل الدنيا لملأت الدنيا ريح المسك ...))[٣] .

في هذا الخبر يضع البغدادي أمام قارئ خبره مجالاً واســـعاً، إذ ينوّع في أساليب خطاب شخصياته كاشفاً عن طبائعها ، ومواقفها ، ونفسياتها . فحوار سعيد مع أمراته يكشف عن واقع الفقر الذي يعيشانه ، ويستمر الحوار ليكشف أبعاداً أكثر عمقاً في نفسية عامر ، إذ يصل إلى حدّ التصريح عن نواياه في تقسيم الأموال على الفقراء ٠ إذ كشف الحوار عن زهده في الدنيا إزاء الآخرة . وكما إنّه جسّد عبر الحوار المشاهد الدرامية التي تمسرح الأحداث لتجعل القارئ يعيش الواقع الطبيعي للشخصيات .

وغالباً ما تهيمن صيغ القول على النصوص الحوارية كـ (قال ـ قلت ـ فقال ...)[٤] ،ويمكن أن نلحظ ذلك في أحد أخبار البغدادي الذي إفتتحه بتقديم شخصية قيس بن نشيبة وقدومه على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بعد سماعه نبوءته . بعدها يترك الراوي مسؤولية السرد للشخصيات ، إذ تأخذ على عاتقها مسؤولية إدارة دفّة الأحداث يقول البغدادي : ((كان قيس

(١) دينامية النص : محمد مفتاح : ٥٧ .
(٢) الزمن في الرواية العربية : ٢٤ .
(٣) كتاب الفصوص : ٣ / ٢٠٢ .
(٤) يُنظر دينامية النص : ١٧٧ .

بن نشيبة يتأله في الجاهلية وينظر في الكتب ، فلما سمع بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قَدِم في وفد بني سليم عليه فقال : أأنت رسول الله ؟ قال نعم . قال : فإنتسِب، فإنتسَب ، فقال قيس: أنت شريف قومك وفي بيت النبوة فما تدعو إليه فعرض النبي وعرفه ما يأمر بهِ وينهى عنه. فقال :ما أمرت إلا بحسن، وما نهيت إلا عن قبيح ...))[١] .

يمكن القول إنّ البغدادي في هذا الخبر قد وجد الحــوار أفــضل وسيلة للتعبير عن مثل هذه المواقف . إذ تقف الشخصية مقابل الأخرى تناقشها أفكارها وتصوراتها ، فتصبح الشخصيات عوامل فاعلة في السرد ومؤثرة في الأحداث .إذ تجعل القارئ أمام حدث طبيعي تتحاور فيه الشخصيات لتبرز وجهات نظرها المختلفة ، تاركة الراوي في نقطة ما في بداية السرد، وهي النقطة التي بدأت الشخصيات عندها بالحوار٠إلا أنّ هذه الحوارية أوقفت حركة السرد ، وحالت دون تقدّم الأحداث .

وأحياناً يأتي الحوار في النص السردي لكــسر رتابة السرد وبث الحيوية والحركة في النص[٢] . إذ إنّ تولي السارد لمهمة السرد طيلة الخبر قد يُشعر القارئ بالملل . لذلك فإنّ تضمين النص الخبري لتقنية الحوار يمكن بدوره أن يخلّص السارد والسرد من هذه الإشكالات . ويمكن أن نسوق الخبر الآتي لتوضيح ما ذكرنا . يقول البغدادي : ((دخل صديق لأنس بن أبي شيخ عليه ، ورأسه على مرقنة اللجّام يأخذ من شعره ، فقال له : ما يحملك على هذا ؟ قال : الكسل . قال : فقلت له : إنّ لقمان قال لابنه : إيّاك والكسل والضجر ، فأنك إن كسلت لم تؤدِ فرضاً ، وإن ضجرت لم تصبر على حق . فقال : ذاك والله إنه لم يعرف لذة الفشولة والكسل))[٣] .

في هذا الخبر نلاحظ إختفاء صوت الراوي عندما بدأت الشخصيات بالحوار ، وهو بذلك يُبعد الخبر عن السرد الخالص والرتابة في القص ، حتى يخال للقارئ إنه يتابع مشهداً مسرحياً وحواراً حقيقياً يجري نصب عينه ؛ لشدة ما يبثه الحوار من حيوية وحركة ، إذ

---

[١] كتاب الفصوص : ١ / ١٣١ .
[٢] يُنظر الزمن في الرواية العربية : ٢٤٠ .
[٣] كتاب الفصوص : ٤ / ٢٠ .

إختفى الراوي العليم الذي يتولى السرد عن شخصياته ، وأصبحت الشخصيات تعبر عن نفسها بنفسها .

إنّ ما ذكرناه سابقاً من نماذج للحوار كانت جميعها تدور حول الحوار الخارجي الذي تتحاور فيه شخصيتين أو أكثر من شخصيات الخبر ، إلا أنّ هناك نوعاً آخر من أنواع الحوار وهو الحوار الداخلي . وهذا النوع من الحوار يجري داخل الشخصية من دون تدخل وسيط ، ومجاله النفس وباطن الإنسان ، إذ يقوم بإدخال القارئ إلى الحياة الداخلية للشخصية[١] . وهو حوار ذاتي غير مسموع ، يجري بين الشخصية ونفسها فتكون ((مرسلاً ومستقبلاً في الوقت ذاته))[٢] .

ومن نماذج الحوار الداخلي ما ساقه البغدادي في خـــبره ، الذي أخذه عـــن القاضي أبي الحسن . إذ نجد احدى شخصيات الخبر وهو جميم بن معد يكرب يحاور نفسه عندما ظنّ سوءاً برفيق سفره فقال : ((فغلبتني عيناي هزيعاً من الليل . ثم أزعج الخـــوف النوم وأنبهتني هماهم ، ولم آمن من إغتيال ، ثم إني ضربته بجروتي وقلت : واثكل أُماه ، ما هذا الوهل من هذا الشيخ ، والله إنه لأعزل ، وإني مستلئم ... ورأيت أحدث نفسي بهذا واشباهه ...))[٣] .

لقد استطاع السارد في هذا الخبر عن طريق مخـــاطبة الذات ومناجاتها الولوج إلى بواطن الشخصية ، والتطلع إلى عوالمها الداخلية ، وتصوير ما يدور في دواخلها ، ففي هذه التقنية تكون الذات النقطة المركزية التي ينطلق منها الحوار وإليها يعود . كما نجد إنّ جميم قد وجه كلامه إلى نفسه وحاورها كاشفاً عن أزمته ، وما يدور في داخله من توتر وقلق من هذه الرِّفقة .

ويمكن أن نلحظ نوعاً آخر من أنواع الحوار الداخـلي في فـصوص البغدادي، وهو المناجاة . فالمناجاة نوع من أنواع الحوار الداخلي يكشف عمّا يدور في نفوس الشخصيات بعيداً عن تقديم الحدث أو الحوار الملفوظ [٤] . وهذا النوع من الحوار نجده في الخبر الذي أورده البغدادي عن محمد بن يزيد ، إذ يقول : ((حدثني مؤذن بمسجد إبن شماس هذا إنه

---

(١) يُنظر المصطلح السردي : ١١٥ .
(٢) الحوار في مقامات الهمداني : فادية مروان أحمد ، (بحث) : ٢٦٥ .
(٣) كتاب الفصوص : ٢ / ١٧٩ ـ ١٨٠ .
(٤) يُنظر مدارات نقدية : فاضل ثامر : ٣٥٨ .

سمعه وقد رأى الهلال وهو يقول : ربي وربك الله يحيينا إذا شاء ، ويميتنا إذا شاء ، سبحان من خلقني وخلقك وشبهني وشبهك ، فشبهك بعود يابس فقال ((حتى عاد كالعرجون)) وشبهني بعقلاء الرجال الذين إذا ولدت لهم أنثى قالوا : الحمد لله حيث لم يجعلها خنثى ، وإذا ولد لهم ذكر قالوا ذكره الله بخير))[١] .

فهذا الخبر يتشكل على تقنية المناجاة . إذ من خلالها تتوضح أفكار محمد بن يزيد ، وما يدور في داخله أثناء رؤية الهلال من التمعن في خلق الله سبحانه وعظمة هذا الخلق ، وقد أدّت هذه المناجاة إلى إبطاء حركة السرد . إذ بقيت الأحداث على حالها دون تقدّم . وفي الخبر نجد إرتباطاً بين المنظر المرئي وطبيعة الإنفعال الذي يتركه في نفس الشخصية . فعندما تتأمل هذه الشخصية السماء ، وما فيها ، تتوجه إلى الباري وتناجيه بما يتدفق من كلمات .

٢ ـ الوصف *:

إستأثر الوصف بإهتمام الأدباء لما يشغله من مساحة شاسعة في الأعمال الأدبية . فقد تنبه له القدماء قبل المحدثين ، إذ عرّفه قدامة بن جعفر بأنه : ((ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات))[٢] . أما المحدثون فكان تعريفهم أوسع من ذلك ، إذ عرّفه جيرالد برنس بأنّه : ((عرض وتقديم الأشياء والكائنات والوقائع والحوادث في وجودها المكاني عوضاً عن الزمني ، وأرضيتها بدلاً من وظيفتها الزمنية ، وراهنيتها بدلاً من تتابعها))[٣] .

والوصف تقنية زمنية تعمل على تعطيل السرد وإبطاء سرعته ، حيث أنّ إمتداد الوصف يجعل زمن القراءة أطول من زمن الحكاية [٤] . إذ إنّ الوصف والسرد لا يمكن أن يلتقيا ويسيرا في نطاق عملي واحد ، فحالما يدخل الوصف مجال القص يتخلى السرد عن

---

[١] كتاب الفصوص : ٤ / ١٩ ، سورة يس : الآية ٣٩ .

* هناك عدة تسميات أخرى لتقنية الوصف منها : الوقفات الوصفية ، الاستراحة ، الوقفة ، التوقف يُنظر خطاب الحكاية : ١١٢ ، بنية النص السردي : ٧٨ ، بناء الرواية : ٦٤ ، مدخل الى نظرية القصة : ٨٩ .

[٢] نقد الشعر : قدامة بن جعفر : ٣٤ .

[٣] المصطلح السردي : ٥٨ .

[٤] يُنظر تقنيات السرد الحديثة : ١٦٤ .

دوره لصالح الوصف[١] .

ومما تجدر الإشارة إليه إرتباط الوصف بفن الرسم ، لأنّ الأدب في حقيقته لون من ألوان التصوير . وما الوصف إلا محاولة تقديم مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات . إلا أنّ لوحة الرسم تعرض المشهد دفعة واحدة في حين إن لوحة الوصف تعرض المشهد بصورة متتالية ، حيث تجعل القارئ ينتقل بإنتقال السارد داخل تفاصيل المشهد [٢] .

ويؤدي الوصف في النصوص السردية نوعين من الوظـــــائف : الأولى وظائف بنيوية داخلة في صميم القصة . حيث يهدف الوصف إلى إقناع القارئ بوجود موضوعي لعالم روائي يعمل السارد على تصويره[٣] . بحيث يجعل القارئ كما لو كـان في مواجهة قصة تاريخية أو سيرة عن طريق ((شدّ الأحداث والأخبار والشخصيات إلى أماكـــن وأزمنة معروفة))[٤] .كما يؤدي الوصف وظيفة تفسيرية عن طريق إستعمال المحسوس للكشف عن اللامحسوس ، فمثلاً وصف مظاهر الحياة الخارجية للشخصية من أجل إظهار الحالة النفسية لها [٥] .

أما النوع الآخر من الوظائف فيتمثل بالوظيفة التزيينية. فمـــنها ما يجعل الوصف ((محطات إستراحة يستعيد فيها السرد أنفاسه))[٦] . ومنها ما يرتبط بالجانب الموسيقي ، حيث يجعل القارئ يشعر بالإسترخاء ، ويبتعد عن التوتر الناتج عن الإنشداد مع الأحداث[٧].

وقد تمثّل الوصف في العديد من أخبار البغدادي ، ومنـها خبر الأصمعي فبعد أن بدأ

---

(١) يُنظر جماليات التشكيل الروائي في رواية شواطئ الدم : د . رمضان علي ، (بحث): ٢٢٣ .
(٢) يُنظر عالم الرواية : ١٠٠ .
(٣) يُنظر بنية الشكل الروائي : ١٧٦ .
(٤) الموصل فضاءاً روائياً : د. إبراهيم جنداري ، (بحث) :٥٨ .
(٥) يُنظر بناء الرواية : ٨١ .
(٦) بنية الشكل الروائي : ١٧٦ .
(٧) يُنظر عالم الرواية : ١٠٧ .

الراوي بسرد خبره أثناء رحلته في طلب الغريب من الحديث والشعر واللغة ، أوقف إستمراية السرد في سيره إلى الأمام ليصف أحد شخصيات الخبر . يقول البغدادي : ((بينما أنا أسير على حمار لي ، وأنا جاد في طلب الغريب من الحديث والشعر واللغة ... فإذا شاب قد برز من البيت ، جميل وسيم ، ذو جمة تضرب منكبيه ...))[١] .

لقد أوقف الوصف الخارجي المادي لشخصية الشاب حركة تتابع السرد في الخبر ، لتتوجه طاقة الراوي الأدبية لوصف الشخصية التي برزت أثناء سير الحدث إلى الأمام . وهذه الصفات لا تخدم السرد بشيء سوى ما تؤديه من وظيفة تزيينية . إذ لو تتبعنا تتمة الخبر نجد أنّ الأصمعي بعد لقاءه بهذا الشاب يستثمر أوقات اللقاء بالحديث عن الشعر وجماليته وفصاحة أصحابه ، دون أن نجد لصفات الشاب أو آثارها حضوراً آخر في بقية الخبر .

ولا يتوقف وصف الشخصيات على إبراز ملامحها الخارجية وحسب ، بل يتعداه ليصور لنا طباعها الخُلقية والنفسية . ومن ذلك الخبر الذي يقول فيه البغدادي : ((صعد معاوية المنبر يوماً فقال : إياي وإجلاف عدنان وطغام قحطان ، إذ لا يزال قائم منهم يرد عليّ قولي واثقاً بصفحي ... فقام جريم بن خناجر الحميري فقال : يا معاوية إنك لتُسرع إلينا بما تُبطىء به عن غيرنا . ونحن الصخرة الصماء ، والهضبة الخلقاء ، والركن الأشد ، لا توئسنا الملاطيس ، ولا تتخطفنا الدهارس ...))[٢] .

ففي هذا السياق السردي حددت أحد شخصيات السرد أهم الأوصاف المعنوية التي إتصفت بها هذه الجماعة . والملاحظ في هذا الوصف إنّه جاء عبر جمل قصيرة مكثفة . إلا أنّ كل واحدة منها تتولى مهمة ((سرد أحداث مخبوءة عبر جمل وصفية))[٣] . فجاء الوصف متتالياً متتابعاً مكملاً للمعنى غير ممزوجاً بحركة السرد .

ومن أمثلة الوصف الأخرى التي يطالعنا بها البغدادي في فصوصه ، ما نجده في

---

(١) كتاب الفصوص : ٢ / ٣١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٤ / ١٣ . الملاطيس : حجر ضخم تنقر به الارحاء ويُدق به النوى . الدهارس . جمع دهرس وهي الداهية .

(٣) الوصف في رواية قصر على النيل لثروت أباضة : نبهان حسون ، (بحث) : ١٨٥ .

خبر الامرأة التي سألت أولادها عن أزواجهم ، إذ يقول : ((فقالت للأكبر كيف وجدت أهلك ؟ فقال : حَس رائع ، وبيت ضائع ، وضيف جائع . وقالت للآخر : كيف وجدت أهلك ؟ فقال ظلّ أثله ، ولين رمله ، وجني نخله وكأني كل يوم آيب . وقالت للآخر : كيف وجدت أهلك ؟ فقال : دلٌّ لا يُلقى ، وعجب لا يفنى ، ولذة لا تنقضي وكأني مضل أصـــــاب ضالته ...))[1] .

إنّ الوصف في الخبر السابق لم يتناول جانباً واحداً ، بل جسّد مـلامح الشخصيات الخارجية وأفعالها ، سلوكها ،ومشاعرها ، كما إنه لم يتمحور حول شخصية واحدة بعينها بل تناول العديد منها ومن مختلف الجوانب . ويمكن القول إنّ هذا الوصف المتعدد الجوانب جاء مناسباً للحوارية التي دارت بين الأم وأولادها ، إذ حلّت الأوصاف محل الإجابة وتمثلت بها .

كما نجد في كتاب الفصوص لوناً آخر من ألوان الوصف وهـو وصف المكان ،وإن كان هذا الوصف موجزاً . فمثـــــــلاً يقول البغدادي في خبر سفر جميم لجمع ديات حـــملت عليه ، واصفاً ما لاقاه من مصاعب ، وما نزل به من أماكن : ((ثم إنّا أشـــــرفنا على وادٍ عظيم سجيرٍ))[2] .

يقدم لنا الراوي في هذا الخبر وصفاً موجزاً للمكان ، إلا أنّه يحمل دلالات متعددة ، إذ يساعد على معرفة علاقة الشخصية بالمكان ومدى تفاعلها معه . فالمتتبع للخبر يجد أنّ هذا الوصف يشير إلى حالة الحزن والعزلة التي يشعر بها جميم ، وهو يتحرك في هذا الوادي الواسع ، وهو بذلك يشد القارئ ليشعر بما يشعر به جميم من صعوبة المواقف وخطورة الأماكن .

ولا يقتصر الوصف في كتاب الفصوص على الشـــخصيات والأمـــــكنة ، بل سعى البغدادي إلى إتحاف القارئ بمواصفات أُخرى منها وصف النخيل ، إذ يقول : ((الغرابات نخلات لي بسمنات ، صليبات الجذوع ، حسنات النبتة ، طيبات التقن ، أخوات ، بنات نخلة

---

[1] كتاب الفصوص : ٥ / ٢٥٨ .
[2] المصدر نفسه : ٢ / ١٨١ .

واحدة في سائلة لماء السماء ..))[1].

ويستمر البغدادي في وصف هذه النخلات بأسـلوب أدبي رصـين يعكس قدرتهُ الأدبية وثقافته المتنوعة ، إذ لم تقتصر أوصافه على جزء واحد من أجزاء النخلة ، بل إمتد ليشمل جميع أجزائها بالإضافة إلى منبتها ونسلها .

وبعدُ فقد شكّلت حركة إبطاء السرد حظوراً متـميزاً في أخبار البغدادي [2] ، نتج عنها توسعاً في زمن السرد . وقد كانت المشاهد الحوارية صاحبة الإمتياز فيها ، تليها تقنية الوصف من حيث درجة الحضور .

[1] كتاب الفصوص : ٤ / ٨٦ .
[2] للاستزادة يُنظر مثلاً المصدر نفسه : ٢ / ٢٢٩ ، ٢ / ١٨٣ ـ ١٨٤٤ ، ٣ / ١٠٧ ، ٥ / ٨ .

المبحث الثاني

المكـــــــــــان

يُعدُّ المكان أحد مكونات البنية السردية للنصوص . إذ لا بد من تواجده لفهم الإطار العام للأحداث . ففيه تتم جميع مشاهد وفقرات وحوارات العمل ، سواء أكان حقيقياً أم خيالياً ، واقعاً أم مبتدعاً .

ويكتسب المكان أهميته في النصوص السردية ليس لكونه أحد عناصره الفنية ، أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات ، بل لأنّه يتحول في بعض الأعمال السردية إلى فضاء يحتوي على العناصر السردية الأخرى ، كما يساعد على تطور بناء النص السردي ، وأحياناً يكون غاية العمل السردي ومبتغاه . وبذلك فهو جزء لا يتجزأ من النص، وهو سبيل السارد لإيصال المتلقي إلى فضاء الأحداث وفهم مجرياتها

لذا وإستناداً لما تقدّم فإن المكان ليس عنصراً زائداً في النص السردي ، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معان ، إذ ((يستحيل الفن بدون أن يُسمى فناً))[١] . بالإضافة إلى ما يحتويه من أبعاد إجتماعية وتأريخية وعقائدية ترتبط به ولا تفارقه ، حتى إننا نسترجع هذه الأبعاد بإسترجاع المكان أو ما يرتبط به [٢] .

وإذا كان المكان قد نال حظوة كبيرة في الشعر العربي ، مـــــــن خلال المقدمات الطللية ووصف الطبيعة على إختلافها ، فإنّه حظي بدراسة أوسع في النصوص السردية . فهو يمثل فيها عنصراً هاماً يقوم بدور فاعل في بنائها وتركيبها ، إذ لم يعد يمثل ((صوراً مرسومة ككلمات ... بل ما كان في مخيلتنا وأحاسيسنا))[٣] .

وهنا يجب أن لا نغفل عن قضية رئيسة ، وهي إرتباط المـكان بالعناصر السردية الأخرى إرتباطاً وثيقاً ، فهو يمتزج معها ويتداخل لتنصهر جميع هذه العناصر مكونة نصاً متكاملاً متماسكاً . فعلى صعيد علاقته بالحدث ، فإنّ الصلة بينهما تلازمية ، إذ لا يمكن

---

[١] الرواية والمكان : ياسين النصير : ١٥ .
[٢] يُنظر الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : ١٧٣ .
[٣] جماليات المكان : غاستون باشلار : تر : غالب هلسا : ١٨٩ .

تواجد الأحداث بمعزل عن الأمكنة التي تدور فيها ((فالأحداث حتى لو كانت داخلية ، تحتاج إلى إطار تدور فيه))[١] . أما علاقة المكان بالزمن فهي علاقة جوهرية متبادلة . إذ يصعب تصور أي لحظة من لحظات الوجود دون أن نضعها في إطارها المكاني [٢] .

أما فيما يخص العلاقة المتبادلة بين الشخصيات والمـــكان فيمكن القول إنّ المكان عنصر فاعل في الشخصية . يأخذ منها ويعطيها ، ويرتبط بحركتها مما يدفع بأفعالها إلى الأمام كما إنّه يحدد الملامح العامة للشخصية [٣] .

لذلك يمكن القول إنّ المكان لا يوجد منعزلاً عن باقي عنـــاصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات السردية الأخرى كالأحداث والزمن والشخصيات .

ولا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ المكان في النصوص السردية لا يوجد إلا عبر اللغة ، فهو مكان لفظي تترجمه الكلمات المسموعة والمطبوعة ، وقدرة هذه الكلمات هي التي تحدد درجة خيالنا ومدى قربنا منه . فالسارد يتعامل مع المكان بعده ((تصويراً لغوياً يشكل معادلاً حسياً ومعنوياً للمجال الشعوري والذهني للشخصية))[٤]. وهذا لا يعني إنتفاء علاقته بالواقع ، إذ لا بد من وجود تماثل مع العالم الحقيقي خارج النص ، وذلك لصعوبة بناء الأحداث والشخصيات في مكان لا ملامح له . لذلك يعمد السارد في بعض الأحيان إلى إضفاء الواقعية على المكان ، كي يعبر عمّا يستطيع التعبير عنه [٥] .

أنماط المكان :

تتعدد أنواع الأمكنة بحسب طبيعة المكان ، وإختلاف وجـــــهات النظر ، فالمكان الواحد يمكن أن يكون أماكن متعددة بسبب ذلك الاختلاف . ولعـــل هذا الاختلاف عائد إلى

---

[١] القصة القصيرة وقضية المكان : سامية سعيد ، (بحث) :١٧٩ .
[٢] يُنظر جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة : مهدي عبيدي : ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
[٣] يُنظر تجليات المكان في رسالة الغفران : احمد زياد ، (بحث) : ١٨ .
[٤] بنية المكان في فن فؤاد التكرلي : سليمان كاصد ، (بحث) : ٢٨ .
[٥] يُنظر جماليات التشكيل الروائي : ١٩٦ .

زاوية النظر التي يُلتقط منها المكان[١] . أو طبيعة العلاقة التي تحكم الشخصيات القصصية وعلاقتها بالمكان داخل العمل فـ ((الإنسان بحركته وفعله هو الذي يشكّل المكان ويقيم أعمدته))[٢] .

وقد وقف كثير من الباحثين عند أنواع الأماكن وتقسيماتها في الدراسات الأدبية . إلا أنّ تقسيماتهم لم تكن واحدة ، بل إختلفت بإختلاف المنطلق الذي ينطلقون منه في تحديدهم لأنواع المكان كما أسلفنا . فمنهم من قسمها على أماكن جاذبة وأخرى طاردة ، ومنهم من قسمها على ذاتية وجماعية ، أليفة ومعادية وهكذا [٣] .

ونحن في دراستنا للمكان في كتاب الفصوص نعتمد على مبدأ التقاطبات أو الثنائيات المتضادة إذ سنتناول ثنائية (الأليف / المعادي) ، (المغلق / المفتوح) .

١ ـ المكان الأليف :

يُراد به المكان الذي يُضفي شعوراً بالأمان والدفء والحماية ، ويجسد الأمن والألفة ((حتى يترك آثراً لا يُمحى في ساكنه ، كأن يكون مكان الطفولة أو مكان الصبا أو مكان الشباب))[٤] .وهذه الذكريات هي التي تظل راسخة في داخلنا ، لأننا نرغب أن نبقى كذلك .

وهذا النوع من الأمكنة يقترن بالدفء والشعور بأنّ ثمة حماية لهذا المكان من الخارج المعادي وتهديداته ، كما يمنح هذا المكان الفسحة للحلم والتذكر [٥] .

وقد حرص البغدادي في فصوصه على تصوير الأماكن التي شعرت فيها الشخصيات بالألفة والأمان ، وإلتصقت بقوة في خيال الشخصية ، إذ إنّ خيال الإنسان ينشط

---

[١] يُنظر بنية النص السردي : ٦٣ .
[٢] جماليات المكان في الرواية العربية : شاكر النابلسي : ٤٤ .
[٣] يُنظر مثلاً جماليات المكان : ٦١ ، الرواية والمكان : ٢٧ ، مدخل إلى نظرية القصة : ٥٨ ـ ٩ ، بنية النص السردي : ٦٣ ـ ٦٥ ، جماليات المكان في الرواية العربية : ١٨٩ .
[٤] فن القصة : ١٥٦ .
[٥] يُنظر جماليات المكان : ٤٤ ـ ٤٦ .

عندما يجد المكان الملائم له . ومن خلال إستقرائنا لفصوص البغدادي وجدنا نماذج للمكان الأليف منها (البيت)، إذ لـــم يتوقف البيت في النصوص السردية على مجموعة الجدران التي تزينها الأثاث ، بل يتجاوز ذلك إلى وصفه بصفات توحي بروح الألفة التي تسكنه ، حتى أصبح البيت ذا دلالة على الإنسانية ، وعلاقة التأثر والتأثير بين الشخصيات . إذ يرى باشلار إنّ المكان هو مجموعة العادات العفوية [١] .

وأبرز نص يمكن أن نرصدهُ لتمثيل هذا النوع هو ما جـسّده الحوار الذي دار بين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد الله ،عندما أراد أن يخطب ابنته ، إذ يقول : ((عن أبي اليقظان قال : لمّا قدم سليمان ابن عبد الملك مكة في خلافته قال : من سيد أهلها ؟ قالوا : بها رجلان يتنازعان الشرف عبد العزيز بن عبد الله بن خالد وعمر بن عبد الله بن صفوان : قال ما سويَّ عمر بعبد العزيز في سلطاننا وهو ابن عمَّنا ألا وهو أشرف منه ، فأرسل إلى عمر يخطب ابنته، فقال : نعم ، ولكن على بساطي ، وفي بيتي قال سليمان : نعم ، فأتاه في بيته ومعه عمر بن عبد العزيز ...))[٢] .

في هذا الخبر يقدم لنا الراوي هذا المكان الأليف مستغنياً عن الوصف ، إذ تتضح إلفته عبر الممارسات التي تتم فيه ، إذ يأبى عمر أن تكون خطبة ابنته في غير داره ، لأنّ الإنتماء للبيت وقدسية علاقاته تُحتّم ذلك ، فالعلاقة بين البيت والشخصية وطيدة بحيث يصعب عزل أحدهما عن الآخر ، فيبدو لنا ممتلئا بالحضور الإنساني .

ومن هنا نجد البغدادي منح المكان قوة التأثير والإسهام في تكوين الأحداث ، فبيت عمر تحول الى أداة تغيير فكري ، إذ لم يعد مكاناً من جدران وأبواب .

وأحياناً يستمد المكان إلفته من شعور الشخصيات فـيه بالطمأنينة والأمان ، يقول البغدادي في أحد أخباره على لسان أحد شخصيات خبره: ((وحملنا صاحبنا على راحلة وتواصينا بالجد والإساد ، وأقبل بعض الأخوة على بعض يقول : إن أدركنا الصـــبح قبل النعف اصطلمتنا بنو ناعب ، فأصبحنا وقد جاوزنا النعف فلما اطمأنت بنا الدار ...))[٣].

---

[١] يُنظر جماليات المكان : ٤٧ .
[٢] كتاب الفصوص : ٥ / ٤ .
[٣] المصدر نفسه : ١ / ٢١٦ . الإساد : سير الليل كله ، النعق : المكان المرتفع أو ما إنحدر من السفح ، اصطلم : استأصل .

يحاول السارد في هذا الخبر إظهار إلفة المكان عـبر إجتماع الفـتيان مع النعمان في الدار وإختفائهم فيها عن قاتل أبيهم (أحد بني ناعب) ، فكانت الدار مأمن لهم من بطش الأعداء ، وهنا تتضح إلفة المكان للأخوة ، كما إنّ النعمان قد أمن من أخطار الصحراء عندما إحتمى بتلك الدار مع الأخوة أيضاً .

إنّ إلفة المكان أو عدائيته لا ترتبط بسعة المكان أو ضـيقه ، ولا تحددها خصوصيته أو عموميته ، وإنما يحدده شعورها بالمكان ذاته . فكثيراً ما نجد أماكناً غير أليفة ، إلا أننا نجد الأشخاص قد تآلفوا معها ، ومن ثم فإنّ دلالة العدائية والعنف تنحسر لتحل محلها دلالة الألفة والإحتواء ، وهذا التحول جاء نتيجة شعور الشخصية تجاه المكان . ويمكن أن نمثل لذلك بقول البغدادي : ((فملت إلى أقرب الأماكن مني ، لأعتصم منه بلجأ ، فلما سندت الى سفحه ، عرض لي غار غامض ، فاطمأننت إليه ، وولجت فيه ، فإذا نار كالمصباح تخبو تارة وتضيء أخرى ، وإحتفل السحاب ، وشري المطر ، وجلجل الرعد ، وأقبل البرق ، فلما رأيت ذلك ، إندمقت في الغار ، فأنخت في أدناه ، فإذا النار في لوذ منه ...))[1] .

في هذا الخبر وعلى الرغم من أنّ الغار مكان معادٍ ، يُشعر الإنسان دائماً بالخوف لما يكتنفه من ظلام ومصير مجهول ، إلا أنّ السارد قد أظهر لنا المكان خلاف ذلك ، إذ جعله الحصن الحصين والملاذ الأمين من تهديدات الخارج المعادي والملاذ الذي يتسم بالألفة والطمأنينة . وبذلك نقل السارد هذا المكان من كونه مصدر قلق وخطر لمن لجأ إليه ، إلى ملاذ للطمأنينة والإحتماء من ظواهر الطبيعة ، ومن ثمَّ يصبح مُنبَثقاً لصداقة جديدة ساعدت على قطع المسافات البعيدة وتجاوز صعوباتها [2] . ولعل إلفة هذا المكان المعادي جاءت عن طريق إستدعاء الراوي لما يساعد على ذلك متمثلاً بالرجل وما يوقد من نار ، لتضيء ذلك الظلام ، وتُبعد برد الصحراء ومخاطرها .

---

[1] كتاب الفصوص : ٢ /١٧٧ . اللجأ: الملجأ، سند إلى شيء : استند ، احتفل : اجتمع .
[2] يُنظر المصدر نفسه : ٢ / ١٧٩ . وللاستزادة من النماذج يُنظر : ١ / ١٥٧ ، ١ / ١٩٠ ، ٤ / ١٦ .

٢ ـ المكان المعادي :

ويُراد به المكان الذي لا يشعر الإنسان بالألفة معه ، بل على العكس من ذلك ، إذ يشعر نحوه بالعداء ، فهو يمثل بداية لمباغتاته المحتملة ، وافتقارا للألفة التي يعد طارداً لقيمتها [١].

وهذا النوع من الأمكنة أما أن تكون إقامة الشخصية فيها إجبارية ، أو أنّ خطر الموت يتواجد فيها لسبب أو لآخر [٢] .

ومن الأمكنة التي إتصفت بالعدائية ، التي نجد لها حضورا في كتاب الفصوص (السجن) ، فهو يمثل عالماً مناقضاً لعالم الحرية تنتقل إليه الشخصية مكرهة تاركة وراءها فضاء الخارج الأليف والمفتوح في آن واحد . فتنطوي على نفسها بعدما كانت منفتحة على المجتمع ، كما إنّ قسوة السجن لا تتوقف على ضيق المكان بل تنمو لتصبح رمزاً للكبت والقهر بحيث يقف نقيضاً للحرية ، وهذا ما نجده في الخبر الآتي : ((روي عن معاوية بن عمرو الأزدي قال : حدثني آل بني طالب قال : حبسني الرشيد ، فأُدخلت في موضع ضيق فيه ستة رجال محبوسون ، وكان ذلك في الليل ، فرقدت ورأسي على ركبتي ...))[٣] .

بهذه الطريقة يصور لنا السارد السجن ، إذ يختار له من العناصر ما يكمل الفكرة التي يريدها ، إبتداءً من ضيق المكان الذي يشّكل عبئاً إضافياً على السجين ، إذ تحد من سعة حركته وتضيف له ألماً نفسياً . ولعل هذه الجِلسَة تؤكد ذلك ، فهي توحي بضيق المكان ، فضلاً عن ذلك فإنّها تدل على كثرة ما يراود السجين من هموم وما يثقله من أحزان .

ثم يوظّف السارد الزمن ليسهم في الإيحاء بعدائية المكان ، فالسجين يمضي ليله ساهراً جالساً ، ورأسه بين ركبتيه متأملاً ما يجري عليه ، إذ يغادره النوم ليرحل مع رحيل الحرية .

---

(١) يُنظر جماليات المكان : ٢٠٩ .
(٢) يُنظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ٣٤٣ .
(٣) كتاب الفصوص : ١ / ١٠٠ .

والى جانب السجون ظهرت الصحاري نــماذجا للاماكن المعادية . فعلى الرغم من أنّ العربي عاش في عوالــم الصحاري وتأقلم معها ، إلا أنّه بقي ينظر إليهـــا بقلق وخوف، ومن هنا سميت بالمفازة ؛ ((لأنّ عبورها وإجتياز مهالكها يعد فوزاً))[١].

ومن ذلك قول البغدادي : ((أضلّ أعرابي من بني عذره يُكنّى أبا الزهراء إبلاً له فنغض في بغائهن ، حتى إنتهى إلى بيداء متيهة ، ومهامة غواله مرهوبة ، يُحار فيها الدليل ، ويضل فيها الرعيل ، فأوجس رهبة ...))[٢] .

في هذا الخبر نجد عدائية المكان واضحة جلـية ، إذ تناثرت الصفات التي تدل على ذلك في ثنايا النص (متيهة ، مرهوبة ، يحار فيها الدليل ...) ، وكل هذه الصفات تثير في نفس الشخصية الخوف والإثارة ، وربما الإحساس بالموت القريب . ولعل هذه المخاوف هي ما دفع أبا الزهراء للبحث عن مفتاح للنجاة من هذه الهَلَكة ،إذ قصد المرتفع من الأرض لينأى بعيداً عن هذه المخاطر .

ويظهر أثر الزمان في عدائية المكان ، عندما تمر الشــخصية بالأماكن المعادية في الليل ، لما تكتنفه هذه الثنائية من حلول الظلام وتواجد الكائنات المخيفة . فمثلاً يقول البغدادي ناقلا عن أحد شخصيات خبره : ((وإني لفي بعض أيامي أسير في بيداء قفر لا أحس بها أنيساً ، إذ رفع لي سواد عظيم فملت إليه ، وقد تضيفت الشمس للغروب ، فإذا حراجٌ أشبهٌ ، ونجال بين أدغال فملت إلى أدناها ... وبت عذوباً ، خرصاً ، متوجساً ، توحشني الوجبة ، وتشئزني النبآت ، لا أسمع إلا الضباح والعواء ...)) [٣] .

إنّ حضور الصحراء في هذا الخبر بصفاتها المتعددة مدعـومة بزمن الليل ضاعف من قسوة الصحراء ، إذ إنّ ((غضبها وصفائها وعتمتها وغدرها يترك أثره الكـبير في الأبنية السردية بما في ذلك الشخصيات والأحداث واللغة))[٤] . ولعل السارد كان موفقاً في

---

(١) لسان العرب : مادة (صحر) : ٧ / ٢٣٥ .

(٢) كتاب الفصوص : ٣ / ٣ . الرعيل : أسم كل قطعة متقدمة من خيل أو جراد أو طير أو رجال ، اليقاع : المشرف من الأرض أو الجبل .

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٢١٠ . تضيفت : دنت ، الحراج : غياض من شجر السلم ملتفة ، أشبة : ملتفة ، نجال : جمع نجل وهو الماء المستنقع ، عذوب : لم يأكل ولم يشرب ، خرص : جائع ، الوجبة : صوت الشيء يسقط ، أشأز : أقلق ، النبآت : جمع نبأة وهو الصوت الخفي ، الضباح : صوت الأرنب والحية والبوم والصدى .

(٤) موسوعة السرد : ٥٧ .

تجسيد عدائية المكان عبر إشراك حاسة السمع (لا أسمع إلا الضباح والعواء) مع حاسة البصر (فإذا مراجٌ أشبهُ ونجال بين أدغال) .

إن مفهوم المكان المعادي لا يقتصر على السجن أو غيره ، وإنّـــــما يتوقف على الحالة الشعورية للشخصية القاطنة للمكان ، إذ تتغير طبيعة المكان بين الألفة والعدائية عبر تغير الحالة النفسية للشخصية نتيجة ما يحدث في هذه الأماكن . ومثال ذلك قول البغدادي : ((عن أبي عبيدة قال : كان القعقاع بن معبد بن زرارة حليماً يُشبّه بعمه حاجب . فبينما حاجب ذات يوم على جابية وإبله تورد عليه ، إذ أقبل خالد بن مويلك النهشلي على فرسه ، وفي يده الرمح فقال : والله يا حاجب لترقصنّ أو لأقتلن حضنيك بالرمح . فقال تنح عني أيها السفيه ...))[1] .

في هذا الخبر نشهد تحولاً للمكان ، من كونه مكـاناً لإجتماع الأحبة وتبادل الحديث وإنشاد والأشعار وهو الطابع الذي تُعرف به ينابيع المياه ومصبات الأنهار إلى مكان عدائي تتقاتل فيه الشخصيات ، فأصبح يشكّل مصدر خطر لساكنيه ، ولعل سبب هذا التحول هو الحدث المتمثل بمقدم خالد النهشلي . إذ يتحول المكان الأليف الذي صممه السارد ليناسب طباع شخصية القعقاع ، إلى مكانٍ معادٍ بحلول الشخصية ذات الطباع العدائية .

٣ ـ المكان المفتوح :

وهو حيز مكاني لا تحده الحدود ، إذ يشكّل فضاءً رحباً يوحـــي بالحرية والإنفتاح ويمنح القدرة على الحركة والإنتقال [٢] . ويعدُّ هذا النوع من الأماكن أفضية عامة يمتلك كل واحد حق إرتيادها ، كما تسمح بالحركة والتفاعل والنمو داخل النص السردي ، كما تتمتع هذه الأمكنة بأهمية بالغة كونها تمد القارئ بمعلومات وخبرة وتصورات متعددة تكفل الإمساك بحقيقة الأفضية المتموضعة على الخارطة السردية للنص [٣] .

---

(١) كتاب الفصوص : ٥ / ٢٩٨ . الجـابية : الحوض الذي يجتمع فيه الماء . وللاستـــزادة من النمـاذج يُنظر : ١ /٧٠ ، ١ / ١٥٨ ، ٢ /٦٥ .

(٢) يُنظر السرد عند الجاحظ : ١١٧ .

(٣) يُنظر بنية الشكل الروائي : ٧٩ .

ومن أبرز الأمكنة المفتوحة التي وردت في كتاب الفــصوص (السوق) . إذ نجده في قول البغدادي : ((دخل الشماخ بن ضرار المدينة يمتار لأهله ، فدخل السوق فرأى غلاماً له ذؤابة قائماً على غلة لأبيه يبيعها ، والغلة عندهم التمر ... فقال الشماخ : يا غلام بكم توقر لي هذه الرواحل الأربع ؟ فقال له : ومن أنت ؟قال: أنا الشماخ بن ضرار ٠ فقال: أنخ رواحلك ...))[١] .

إن توظيف الراوي لمكان السوق في هذا الخبر جاء لتــعميق صـــورة المكان لدى المتلقي وإيهامه بواقعية ما يروى . فهو إشارة مكانية محضة تؤدي دوراً حيادياً أمام العناصر السردية الأخرى ، إذ جاء المكان (السوق) إطاراً يحوي الحديث والحوار معاً ، كما يمثل بؤرة تجمّع ، تسمح بوجود شخصيات عدة تتحاور في موضوع معين ، إذ يجتمع الشماخ مع الغلام البائع ليتم بعد ذلك سرد أحداث اللقاء .

ومن النماذج الأخرى للأماكن المفتوحة (الأودية) فــهي فضاءات مفتوحة واسعة لا تكاد تبدو حدودها . تؤطَّر فيها الأحداث مكانياً ، إذ من أجل تلك الأحداث تقطع الشخصيات فضاءات شاسعة وتسلك طرقاً وعرة ، ومثال ذلك قول البغدادي : ((إبتدأت منذ أثني عشر يوماً على شمل أحوى ، يُبعد المصبح عن الممسى ، يجوب الهضــاب والآكـام ،على قوائم مناسمهـا دوام ، حتى إذا مررت بوادي الرسيـل ، بين الفجة والخميل ...))[٢] .

في هذا الخبر نجد البطل يمر خلال رحلته بفضاءات واسعة مسـخرة لإتمام عملية السرد ، إذ نجد السارد يدلل على سعة المكان وإنفتاحه عبر وصفه بصفات تدل على ذلك مثل قوله (بين الفجة والخميل) ،وتارة أخرى عبر وصف الجمل الذي قطع به هذه الفضاءات إذ يقول: (يبعد المصبح عن الممسى ...) فهذه المواصفات تدل على سرعة الجمل ، ومن ثمّ تدل على سعة هذا الوادي وإنفتاحه .

وأحياناً تكون الأماكن مفتوحة من الناحية الـــسردية ، إلا أنّ طـــــبيعة ساكنيها

---

[١] كتاب الفصوص : ٢ / ٣٤١ .
[٢] المصدر نفسه: ٣ / ٧. الفجة : الواسعة المنفرجة .

وأحاسيسهم تجاه المكان تشكّل نوعاً من الإنغلاق . وهو إنغلاق نفسي وليس جغرافياً . ومثال ذلك قول البغدادي : ((ذكر أبو المقدام الضبي إن رجلاً من عكل آواه الليل والقرو والتعب إلى حي من بني جعفر ، فلم يقرّوه ولا آووه وبات تحت السماء يقفقف صراً وسغباً ...))[١] .

فإذا شئنا التحديد الجغرافي لهذا المكان ، فإنّه يدخل ضـمن الأمكنة المفتوحة ، إذ إنّ كل الأماكن التي تمتاز بالإنفتاح على الإمتداد الخارجي هي أماكن مفتوحة ، إلا أنّ عدم ملائمتها مع نفسية ساكنيها يفسح المجال لانغلاقها فـ((سعة المكان وضيقه إنغلاقه وإنفتاحه رهينان بالحالة النفسية والشعورية لساكن المكان))[٢]وهذا مانجده في الخبر السابق إذ تحول المكان المفتوح الى مكان مغلق نتيجة لما لاقاه الرجل فيه .

٤ ـ المكان المغلق :

يكتسب المكان وجوده من أبعاده الهندسية والوظـائف التـي يقوم بها ، فإذا كانت الأماكن المفتوحة إمتداداً للفضاء الكوني الطبيعي ، فالمغلق منها ((يوحي بالخصوصية في إنتسابه لأشخاص معينين أو تأطيره لهم))[٣] ، وليس مكاناً يوحي بعزلة الناس وإنغلاقهم على أنفسهم . إذ إنّ إختياره يكون بالإرادة لا بالإجبار أو الإكراه .

ومن أبرز الأمكنة المغلقة في كتاب الفصوص(الغرف) إذ تـمثل مكاناً خاصاً ذاتياً ، من خلال محدوديتها وخصوصيتها بأُناس دون غيرهم . وقد وردت في قول البغدادي : ((كان أمير البصرة يقرأ على المنبر (إنَّ اللهَ ومَلائِكَتُه يُصلّون على النّبي) بالرفع ، فصرت إليه ناصحاً له ومنبهاً ، فتهددني وأوعدني وقال : تلحنون أمرائكم ،ثم عُزل وتقلد محمد بن سيلمان الهاشمي ، فكأنه تلقنها من في المعزول ، فقلت : هذا هاشمي ونصيحته واجبة ، وخشيت أن يتلقاني بمثل ما تلقاني به الأول ، ثم حملت على نفسي فأتيته ، فإذا هو في

---

[١] كتاب الفصوص: ٤ / ١٧ . وللاستزادة من النماذج يُنظر : ٢/ ٦٨ ، ٥ / ١٤ ،
[٢] جماليات التشكيل الروائي : ٢١٧ .
[٣] السرد عند الجاحظ : ١٢١ .

غرفة له ، وعنده أخوة والغلمان على رأسه ...))[١] .

إنّ السارد في هذا الخبر أدخلنا معه إلى أحد الأمكنة المغلقة في خـــبره ، وقد جاء المكان في هذا الخبر معــادلاً للمكان الأليف ، إذ نلحظ محمد بن سليمان محـــاطاً بأهـــــله وغلمانه ٠ وهذا يدل على العلاقة الحميمــة المتبادلة من جانب ، كما يدل على المكانة الرفيعة وسعة العيش بدلالة تواجد الغلمان ٠

ومن الأمكنة المغلقة الأخرى التي وردت في كتاب الفـــــصوص ما نجده في الخبر الآتي : ((خرج سليمان ابن عبد الملك يريد بيت المقدس بنسائه وأثقاله . وكان من أعظم الناس غيره وأشدهم في أمر النساء طيرة ، فنزل بغور البلقاء ، في دير من ديارات الرهبان ليلة أربعة عشر من شعبان ...))[٢] .

إن المكان في هذا النص الخبري يمثل مكاناً لـــسلوك رتيــب تؤديه الشخصيات في أوقات معينة ، إذ إنّ علاقتها به تنحصر في العبادة ، فتطمئن النفس وتحس بالأمان والإستقرار . إلا أنّ وظيفته إختلفت عند سليمان بن عبد الملك ، فقد وجد فيه الملاذ الآمن الذي يحل فيــه مع نسائه ليكون ساتراً لهن عن كل ما يخشاه سليمان ٠فهو الـــشكل الذي يُحفظ فيه الجوهر. وبذلك إكتسب المكان وظيفة أخرى فضلاً عن وظيفته الأساس ، فهو وإن كان مغلقاً بطبيعته الهندسية ، إلا أنه مفتوحــاً بطبيعته المعنوية ، إذ يتقّبل كل من يلجأ إليه .

ومن الأخبار الأخرى التي ورد فيها هذا الـنوع مــن الأماكن قول البغدادي : ((كان النعمان ذو الأنف ... شجاعاً بئيساً ، وكان مماضاً لأنس بن مدرك ، وأنس يومئذٍ سيد خثعم ، لا ينازعه السؤدد أحد منهم ، إلا عبد الملك بن مويلك . فجُمعا ذات يوم في نادٍ من أندية خثعم ، وكــان أنس بخيلاً ، وكان النعمان جواداً ، فمرت بهم صرمة لأنس قد تجلت أوبارها ...))[٣] .

إنّ السارد في هذا الخبر ينقل لنا الواقع بصورة فنية ، إذ يجعل القارئ يتفاعل معه،

---

[١] كتاب الفصوص : ٤ / ٢١٧ . سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .
[٢] المصدر نفسه: ٤ / ١٣٦ .
[٣] المصدر نفسه: ١ / ٢٠٧ .وللاستزادة من النماذج يُنظر : ٢ / ٦٥ ، ٢ / ٢٦٢ ٠

فهو ينقله إلى النادي ، وهو المكان الذي تجتمع فيه الشخصيات للتخلص من ضغوطات الحياة وتبادل الأحاديث ووجهات النظر ، فهو بمثابة المتنفس للشخصيات ٠ إلا أنّ السارد ينحى به منحاً آخر ليجعل منه نقطة إنطلاق لصراع بين الشخصيات ، ويمكن القول إنّ طبيعة العلاقات التي تحكم شخصيات الخبر هي التي تحدد دلالة المكان ، لأنه مرآة عاكسة لدواخلها ،وهكذا تحول المكان المغلق ذو العلاقات الأليفة إلى مكان معادٍ يُثار فيه الصراع .

وفضلاً عن تنوع الأمكنة في كتاب الفصوص ، تـــنوعت أســـاليب تشكيل المكان . فهي تتراوح بين الوصف والسرد ٠ إذ إستعـــان البغـــــدادي بالوصف لإيصال فكرته إلى المتلقي ((عن طريق وصف بنية الشخصية ومكونـــــاتها من الأشيـاء وكل ما يكون خلفها))[١] ، ليجعل القارئ يعيش عالم الواقع لا عالم السرد المتخيل ، وسعياً منه لإضفاء صفة الواقعية على النصوص والإيهام بحقيقة ما يُروى من أحداث .

ومن أمثلة ذلك قول البغدادي : ((حدثنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعي ، بينما أنا أسير على حمار لي ، وانا جاد في طلب الغريب من الحديث والشعر واللغة ، حتى إذا كنت بحمى ضربة ، رُفعت مظلة عظيمة ، بفنائها فرس مربوط ، ورمح مركوز ، ومبارك إبل ومرابض غنم ، وآثار نعمة واسعة ، فنزلت على بئر قريبة من البيت ، فنزعت دلواً فأرقته في مهراس لـــهم على البئر ، فقربت حماري ليشرب ...))[٢] .

في هذا الخبر يتم وصف المكان بطريقة فوتـوغرافية واعـية ومتقنة ، تقدمها لنا عدسة السارد المصور ، إذ قدم لنا السارد وصفاً فنياً رائعاً ، إلا أنّه غير منفصل عن خط الأحداث ، بل يرتبط بالمواقف السردية المهمة للنص ٠ إذ أعطانا السارد لمحة عن الشخصية وحالتها الاقتصادية ، عبر وصف المكان ، ((لأن إختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءاً من بناء الشخصية))[٣] . فإذا وصفنا المكان وصفنا ساكنيه . فتلك العظمة في الظلال من إرتفاع المسكن ، وآثار النعمة الواسعة من تواجد الابل والأغنام إنما يعكس غنى

(١) البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ١٥٤ .
(٢) كتاب الفصوص : ٢ / ٣١٢ .
(٣) جماليات التشكيل الروائي : ١٩٨ .

أصحاب هذا المكان ، وعلو مكانهم الاقتصادية ومن ثمّ الاجتماعية ، وهذا يلوح للقارئ بعد السامع عندما يقع بصر السارد على أطراف مساكنتهم المرتفعة .

ومن نماذج الوصف الأخرى في كتاب الفـصوص قول البغدادي : ((بينما أنا ذات ليـــلة في بعض تلك المفـــاوز ، إذ نشأ لي نشأ ، فأُلبس الأفق ، فهمهم وتهزم ، وأظلت أغيـــاله وتلاحقت تواليه ، وبرق فخطف ، ورعد فرجف ، وهمى فبكى ، فأيقنت بالهلكة ، وأشفيت وأنا على ذلك سخي بنفسي ...))[١] .

إنّ الوصف في هذا المكان لا يتركز على المـكان ذاته ، وإنما يدور حـــول حركة الأشياء في داخل المكان ، مما يجعل الوصف فيه يموج بالحركة . وفي هذه الحالة لا يظهر المكان بتفصيلاته وأوصافه ، وإنّما يظهر بإنتقاء بعض مظاهره الرئيسة التي تخدم المقطع السردي الذي تتواجد فيه . إذ إنّ السارد في هذا الموضع يتحدث عن هول الصحراء وخطورتها عندما وصف الظواهر التي تزيد من ذلك .

أما الوسيلة الأخرى التي شكّل البغدادي بوسـاطتها أمكنته أســلوب السرد ، إذ نجد البغدادي : ((يفتح آليه السرد والوصف على أقصى طاقتها في سبيل توسيع الفضاء ... وفتح المكان الروائي قدر المستطاع))[٢] . إذ يُصرّح السارد بالمكان الواقعي نـاقلاً الواقع بطريقة فنية بعيدة عن الخيال ؛ لإرتباط هذا الواقع المكاني ((بعهد مضى أو لكونه علاقة في سياق حاضر))[٣] . ويمكن أن نورد ما يمثل ذلك ، إذ يقول البغدادي : ((كان الأعشى يمدح قيس بن معد يكرب الكندي بن الأشعث بن قيس ثم أتاه إلى حضرموت ، وكانت بلاده كندة ، فوجده معسكراً يريد الغزو ...))[٤] . وكذلك قوله في خبر آخر : ((عن عبد الرحمن عن عمة يونس قال : ((صرت إلى حي يعرف ببني يربوع ، فطلبت من أنزل

---

[١] كتاب الفصوص : ٢ / ١٧٦ .
[٢] المكان في الرواية بين تقانة الوصف وتقانة السرد : أحلام عامل ،(بحث): ١٨٣ .
[٣] حركية الأبداع :٣٠ .
[٤] كتاب الفصوص : ٢ / ٣٤٢ .

عليه ، فلم أجد إلا نساء ، فأضرّبي الجوع ...))[1] .

ففي هذه الأخبار نجد البغدادي قد جعل الأماكن الواقعية أماكن سـردية ، عندما جعلها الساحة المكانية التي تدور عليها أحداث الخبر ، رابطاً إياها بالتاريخ الذي إستلهمه إستلهاماً سردياً ، وبذلك وظّف المكان الواقعي توظيفاً سردياً ، لتوفير أكبر قدر من الواقعية على أخباره .

وأخيراً يخلص الكلام إلى القول بأنّ توظيف المكان بتجلياته في كتاب الفصوص لم يكن إعتباطيا ، ولا يعني تفوقاً ورجحاناً ، بل أنّ هذه الأهمية ناجمة في الأساس ((عن الوظيفة التأطيرية أو الديكورية التي يلعبها))[2] لذلك كان توظيفاً واعياً ينم عن إيحاءات ودلالات تعلن أهمية المكان ومركزيته في النص السردي.

[1] كتاب الفصوص : ٥ / ٢١ .
[2] الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم :١٧٢ .

الخاتمة

الخـــــاتمة

بعد هذه الصحبة الشيّقة والشاقّة مع كتاب الفصوص ،أحمـــد الله الذي يسر لي سبيل البحث وفتح لي آفاق كنت أجهلها ،لابدّ أن أُجمل النتائج التي توصلت لها ٠ وأهـــم هذه النتـــائج :

- إنّ أهم مايميز النص الخبري في كتاب الفصوص هو إعتماده الإسناد، ولـــعل هذا عائد الى إحتفاظ الخبر بصفات الشفاهية التي عُرف بها في بادئ الأمر ،إذ أصـــبح الاسناد جزءا من أجزاء الخبر يتولى مهمة نسبة النص الى قائـله ، وتعزيز مصداقية الخبر٠إلا أنّ تواجد الاسناد لا يلزمنا القول بحرفية ما يتم نقله ،لأنّ عملية نقل الخبر مبنية في أصلها على الشفاهية التي تؤدي تلقائيا الى إعادة إنتاج المتن٠

- إنّ قـــــــارئ فصوص البغدادي يلحظ إهتمامه بإستهلال أخباره ، إنطلاقا من عدّ الاستهلال بذرة الابداع الاولى ، حتى أنّ قارئ أخبـــار الفصوص تتضح له ملامح الخبر وتتجلى له أحداثه عند قراءته استهلاله ،لذلك يمكن عد الاستهلال في أخبـــار البغدادي إشارة تعبيرية تلوّح بمضمون الخبر٠

- لقد أفرزت الدراسة إنّ توظيف الراوي للنصوص الشعرية في نسيـــج أخباره ،لم يكن أمرا إعتباطيا ،ولم يأت للتقريب بين الشعر والنثر فقط ،،وانمـــــا حرص على إعطاء النص الشعري وظائف سردية داخل النص وإن اختلفت هذه الوظيفة، فالنص النثري في الخبر تارة يستخدم الشعر ويوظفه وتارة يخدمه وينضم تحت لوائه٠

- توصلت الدراسة الى أنّ تنوع مادة النصوص الخبرية يقود الى تنوع خواتيمها ،كون الخـــاتمة خلاصة الخبر ونهايته ،وهي آخر مايبقى في ذهن القارئ ،لذلك جـــاءت خواتيم البغدادي في عبارات قصيرة موجوة ومؤثرة ،سعيـــا منه لإحراز أكبر قدر من التأثير وأطول فترة ممكنة من الحفظ٠

- إنّ المتتبع لكتاب الفصوص يجد إنّ رواة أخبـــاره تتوزع على ثلاثة أنواع أكثرها تواجدا الراوي غير الممسرح فكثيـــرا ما نجد البغدادي يوكل سرد أخباره الى راو غير ظاهر ،ولعل سبب ذلك رغبة البغدادي بجعل راوي أخباره كلي المعرفة يحيط بأحداث الخبر أكثر من شخصياته ،ثم يأتي بعده الراوي الممسرح من حيث درجـــة الحضور ،وأخير الراوي شبه الممسرح٠وبـــذلك يمكن القول إنّ أهم ما يميز رواية أخبـــــار البغدادي هو تنوع زاوية النظر للأحداث سعيا منه لمنح الراوي حرية كاملة في رواية أحداثه وبالتالي تقديم الأحـــــداث في أوضح صورها٠وكذا الحال بالنسبة للمروي له إذ نلحظ سيادة المروي له غير الممسرح في أغلب الاخبار٠

- تحظى الشخصيـــــة في أخبار البغـــدادي بإهتمام كبير قد يفوق الاهتمام بالعناصر السردية الاخرى ،إذ أنّ البنية السردية للفصوص الاخبارية تضم بين طياتها أنواعا متعددة من الشخصيات كالمرجعية والادبية والمتخيلة ،ولعل التنوع الذي إنمازت به أخبار البغدادي أدّى الى ثراء أخباره بنماذج متنوعة من الشخصيات ،كما نلحظ في موضوعة الشخصية ميل البغدادي في الغالب الى تقديم شخصيـــاته بنفسه ،إذ يفوق التقديم الغيري للشخصيات التقديم الذاتي لها ٠

- لعل أهم ما يميز بناء الحدث في النص الخبري في كتاب الفصوص ابتعـاد البغدادي عن التلاعب بترتيب الاحداث ،فراوي الفصوص يقدم أحداث أخباره بتتابعها الزمني والسببي في الغالب أي أنّ المنطق الذي يحكم ترتيب الاحـــداث هو منطق المطابقة للواقع ،إلا أنّ هذه المطابقة لا تعني إلتزام البغدادي بنسق التتـــابع دائما بل نجد الى جانب هذا النسق نسق التكرار ونسق التضمين والنسق الدائري٠

- أمّـــــا فيما يخص الزمن السردي لأخبار البغدادي، فعلى الرغم من إنّ السرديات القديمة ومنها كتاب الفصوص تميل الى التسلسل المنطقي للأحداث ،إلا أن البغـدادي عمل على خلخلة الـــــزمن وتداخله في أحيان كثيرة ٠ولعل أهم ما يميز تواجد هذه

التقنيات هو العفوية في تواجدها إذ لا يمكن عدها شكلا تزيينيا ،بل تنهض لبلورة دلالات معينة ٠فالبغـدادي مثلا يوظف إسترجاعاته لإستذكار أحداث وتنوير القارئ بها ،ولا يلجأ الى الوصف الا لتوقف يحتاجه سياق النص الخبري ،وهـكذا مع بقية التقنيات الاخرى ٠

- على الرغم من أهمية المكـــان في النصوص السرديـــــة إلا أنّ ما يحتله المكان من مساحة سردية في أخبار البغدادي قليل جدا ، فالعناية بالفضاء الجـــــغرافي محدودة للغاية ٠ففي الغالب يرد ذكر المكان في النص الخبري على شكل إشارات بسيطة أو وصف مختصر ،إذ لايحضى بمساحة سردية واسعة الا في حالات نادرة عندما يُراد من وصف المكان التعريف بالشخصية الساكنة فيه ، كما نلحظ أيضا كثرة التحولات في بنية المكان من المغلق للمفتوح ومن الأليف للمعادي وبالعكس ٠

وأخيـــــرا يمكن القول إنّ فصوص البغدادي تنماز بخاصية جوهرية تتمثل في الافادة من علوم المشرق والمغرب وأنظمتهما الثقافية ، كمـــــا إنماز بمرونة تمرير أفكاره تحت رداء متعة المتلقي ، فيبدو ماهو لذة ومتعة في ظاهره عبرة ومعرفة في جوهره ٠

هـــــذا والحمد لله الذي وفقني للاختتام ،مصليةً ومسلمةً على سيد الأنـــام محمد وآلـــه البررة الكرام ٠

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

📖 القرآن الكريم٠

الكتـــب:

📖 أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر : ثائر زين الدين ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،١٩٩٩ م٠

📖 الادب وفنونه دراسة نقدية : عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٧٦ م٠

📖 أســـاس البلاغـــة :جار الله أبو القاسم محمود الـزمخشري ،تح :محمد باسل ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١ ،١٩٩٨م ٠

📖 اساليب السرد في الرواية العربية : صلاح فضل ، مركز الانماء الحضاري ، دمشق ، ٢٠٠٩ م٠

📖 الاستهلال فن البدايات في النص الادبي :ياسين النصير ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،١٩٩٣ م٠

📖 الاشـــارة الجمالية في المثل القرآني :عشتار داوود ،اتحـــاد الكتاب العرب ،دمشق ،١٩٩٩ م٠

📖 الازمنة والامكنة :أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي(٤٢١هـ)،تح: محمد نايف الدليمي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م ٠

📖 الاصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٢٨هـ ٠

📖 اصول الحديث :عبد الهادي الفضلي ، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر ،لبنان ، ط٣ ،١٤٢١هـ ٠

📖 اصول الحديث واحكامه في علم الدراية : جعفر السبحاني ،دار جواد الأمة للطباعة والنشر ،لبنان ، ط١ ،٢٠١٢ م٠

📖 الأعـــــلام :خير الدين الزركلي (٦٩٣١هـ)، دار العلم للملايين ،بيروت ، ط٤ ،١٩٧٩م ٠

📖 الأغاني : أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني(٣٥٦هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م ٠

📖 الالسنية والنقد الادبي في النظرية والممارسة :موريس ابو ناصر ،دار النهار للنشر ،بيروت ،١٩٧٩م ٠

📖 ألف ليلة وليلة وسحر السرديـــة العربية :داوود سلمان ،اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،٢٠٠٠ م٠

📖 الامـــــالي :ابو علي القـــالي(٣٥٦هـ) ،تح : محمد عبد الجواد ، دار افاق الجديدة ، بيروت ، (د٠ت) ٠

📖 أمالي المرتضى : علي بن الحسين الشريف المرتضى : تح: محمد أبو الفضل ابر اهيم ، دار احياء الكتب ، القاهرة ، ط١، ١٩٥٤ م ٠

📖 انوار الربيع في انواع البديع :علي معصوم المدني ،تح :شاكر هادي ،مطبعة النعمان ،النجف الاشرف ، ط ١ ، ١٩٦٨م ٠

📖 البحث الادبي طبيعته ،مناهجه ،اصوله ،مصادره :شوقي ضيف ، ط ٧ ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٩٢م ٠

📖 بحوث في الرواية الجديدة : ميشال بوتور ، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨١ م ٠

📖 بحـــوث في علم الدراية والرواية :مالك مصطفى وهبي ،دار الهادي للطباعة ،لبنان ،ط ١ ،٢٠٠٧ م٠

📖 البدايـــــة في النص الروائي :صدوق نور الـــدين ،دار الحوار للنشر ،دمشق ،ط ١ ،١٩٩٤ م٠

📖 البديع في البديع في نقد الشعر : اسامة بن منقذ(٥٨٤ هـ) ، تح : علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ،١٩٨٧ م٠

📖 بغية الملتمس في تـــــاريخ رجال اهل الاندلس :احمد بن يحيى الضبي ، دار الكاتب العربي ،القاهرة ، ١٩٦٧م ٠

📖 بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تح: محمد عبد الرحيم ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م ٠

📖 بلاغـــــة التزوير(فاعلية الاخبار في السرد العربي القديم): لؤي حمزة عباس ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠١٠م ٠

📖 بلاغـــــة الخطاب وعلم النص : صلاح فضل ، عالم المعرفة ، الكويت ،١٩٧٨ م٠

📖 البلاغة والتطبيق : احمـــد مطلوب ،كامل حسن ، مطابع بيروت ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠١٠ م٠

📖 بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ : سيزا قاسم ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،١٩٨٤ م٠

📖 بنـــــاء الشخصية في الرواية (الرواية العراقية انموذجا) : مصطفى ساجد الراوي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م٠

📖 البناء الفني في الرواية العربية في العراق : شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٤م ٠

📖 بنية الســـــرد في القصص الصوفي (المكونات والوظائف والتقنيات) : ناهضة عبد الستار ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣م ٠

📖البنية السردية في شعر الصعـــاليك : ضياء غني لفته ، دار الحامد ، عمان ،ط ١ ، ٢٠٠٩ م٠

📖 البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة : ميساء سليمان ، الهيأة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠١١ م٠

📖 بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) : حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩م ٠

📖 البنية القصصية في رسالة الغفران : حسين الواد، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ط ٣ ، (د ٠ ت) ٠

📖 بنيـــــة النص السردي من منظور النقد الادبي : حميد لحمداني ، المركز الثقافي ، المغرب ، ط ٣ ، ٢٠٠٠ م٠

📖 البنية والدلالـــة في روايات ابراهيم نصر الله: مرشد احمد ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠١م ٠

📖 البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تح :عبد السلام محمد هارون ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط ٧ ،١٩٩٨م ٠

📖 تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٤م ٠

📖 تـــــاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) : شوقي ضيف ، دار المعـارف القاهرة ، (د ٠ ت) ٠

📖 تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر(٥٧١هـ) : تح: علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ ٠

📖 التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر بن محمد الطوسي(٤٦٠) ، تح: أحمد قصير العاملي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ٠

📖 تحليل الخطاب الـــروائي :سعـــيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،١٩٨٨ م٠

📖 التـــــداخل الثقافي في سرديات احسان عبد القدوس : شريف الجيار ، شركة الامل للطباعة والنشر، (د٠ ت) ٠

📖 ترييف السرد (خطاب الشخصية الريفية في الادب) : فاتح عبد السلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م٠

📖 تشضي الـــــزمن في الرواية الحديثة : امينـــة رشيد ، دار الكتب العربية ، بيروت ، (د ٠ت) ٠

📖 تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية : اثير عادل شواي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٩م ٠

📖 تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : يمنى العيد ، دار الفارابي للطباعة ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٩م ٠

📖 تقنيات الســـــرد في النظرية والتطبيق : آمنــة يوسف ، دار الحوار للنشر، ط ١ ، ١٩٩٧ م٠

📖 التقنيات السرديـــــة في روايات عبد الرحمن منيف : عبد الحميد المحادين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩م ٠

📖 جـــــــدلية الزمن : غاستون باشلار ، تر : خليل احمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٢ م٠

📖 جذوة المقتبس في تـــــاريخ علماء الاندلس : أبوعبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (٤٨٨ هـ) ، تح : بشار عواد ، محمد بشـــار، دار الغرب الاسلامي ، تونس ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م٠

📖 جماليات التشكيل الروائي : محمد صابر ، سوسن البستاني ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ط ٢ ، ٢٠١٢م ٠

📖 جماليات المكان : غاستون باشلار ، تر : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤م ٠

📖 جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه : مهدي عبيدي ، الهيأة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠١١ م٠

📖 جماليات المكان في الرواية العربية : شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ م٠

📖 جمهرة أشعار العرب : أبو زيد محمد القرشي ، تح: علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧م ٠

📖حدس اللحظة : فاستون بشلار ، تعريب : رضا عزوز ، عبد العزيز زمزم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م ٠

📖 الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية : محمـــد ضاري حمادي ، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس الهجري ، ط ١ ،١٩٨٦م ٠
📖حركيـــــــة الابداع : خـــــالدة سعيد ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩م ٠

📖 الخبر في الادب العربي (دراسة في السردية العربية): محمد القاضي ، دار الغرب الاسلامي ،تونس ،ط ١ ، ١٩٩٨م ٠
📖 الخبر في السرد العربي (الثوابت والمتغيرات) : سعيد جبار ، شركة المدارس للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م٠
📖 الخبر في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني : ضياء غني لفته ، ميادة عبد الأمير ، دار الحامد ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠١٠ ٠
📖 خزانة الادب وغاية الارب : ابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٤م ٠
📖 خطاب الحكاية بحث في المنهج : جيرار جينيت ، تر : محمد معتصم ، عبد الجليل الازدي ، الهيأة العامة للمطابع الاميرية ، ط ٢ ، ١٩٩٧م ٠
📖 الخلاصة في اصول الحديث : الحسين بن عبد الله الطيبي ، تح : صبحي السامرائي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧١م ٠
📖 دراسات في القصة العربية الحديثة اصولها، اتجاهاتها، اعلامها : محمد زغلول ، منشأة المعارف ، مصر، ط ١ ،١٩٨٧م ٠
📖 دراسات في القصة القصيرة جدا : جميل حمداوي ، ط ١ ، ٢٠١٣ م٠

📖 دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، شرح : محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٩م ٠
📖 دينـــــامية النص : محمد مفـــــتاح ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٨٧م ٠

📖 ديــوان ابن مقبل : تح :عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفـــة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ م٠

📖 ديـــــوان أبي تمام ، تح: محيي الدين صبحي ، دار صـــــادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م٠

📖 ديوان أبي العتاهية ، تح : شكري فيصل ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤ م٠

📖 ديوان أبي علي البصير، تح: أحمد السامرائي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة المصرية ، بيروت ، ١٩٨٧ م ٠

📖 ديوان أبي نـــواس ، تح: سليم خليل قهـــوري ، دار الجيل ، بيــروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م ٠

📖 ديوان بشار بن برد ، تح: صلاح الدين الهواري ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٧م ٠

📖 ديوان جميل ، تح: حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٦م ٠

📖 ديوان الراعي النميـري ، تح: محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ م٠

📖 ديوان زهير بن أبي سلمى ، تح : فخر الدين قباوه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٣ م ٠

📖 ديوان الشماخ ، تح: صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٨م ٠

📖 ديوان الفرزدق: شرحه الاستاذ علي خريس ، مؤسسة الاعلى للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ م ٠

📖 الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، تح : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩ م٠

📖 الـــراوي الموقع والشكل : يمنى العيد ، مؤسسة الابحـاث العربية ، بيروت ،ط ١ ، ١٩٨٦م ٠

📖 الـــراوي والنص القصصي : عبد الرحيم الكردي ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٤ م٠

📖 الرسائل الادبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم : صالح بن رمضان ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م٠

📖 روايات حنان الشيخ دراسة في الخطاب الروائي : بشرى ياسين محمد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ،٢٠١١ م ٠

📖 الرواية العربية البناء والرؤيا : سمير روحي الفيصل ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣ م ٠

📖 الـــرواية العربية عصر التجميع : فاروق خورشيد ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢م ٠

📖 الرواية والمكان : ياسين النصير ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٦م ٠

📖 الزمن في الادب : هانز ميرهوف ، تر : اسعد رزوق ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٢م ٠

📖 الزمن في الرواية العربية : مها القصراوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ٠

📖 الـــزمن والرواية : أ٠أ منـــدولا ، تر : بكر عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م ٠

📖 ستراتيجيات القراءة السردية في التراث العربي (الامتاع والمؤانسة انموذجا) : أوراد محمد ، امل الجديدة للطباعة ، ط ١ ،٢٠١٣ م ٠

📖 سرد الامثال دراسة البنية السردية لكتب الامثال العربية : لؤي حمزة عباس ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣ م ٠

📖 السرد العربي القديم (الانســـــاق الثقافية واشكالية التأويل) : ضياء الكعبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م٠

📖 السرد العربي القديم (الانواع والوظائف والبنيات) : ابراهيم صحراوي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٨م ٠

📖 السرد في فاكهة الخلفـــاء ومفاكهة الظرفاء الياته ودلالاته : احمد علواني ، المجلس الاعلى للطباعة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٩م ٠

📖 سرديات العصر العربي الاسلامي الوسيط : محسن جاسم الموسوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م ٠

📖 السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي) : عبد الله ابراهيم ، المركز الثقافي العربي ، ط ١، ١٩٩٢م ٠

📖 شعر أبي دؤاد الأيادي : تح : غوستاف فون ، تر: احسان عباس ، دار ومكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٩م ٠

📖 الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية : عـــز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٦ م٠

📖 الشعرية : تزفيطان تودروف ، تر : شكري المبخوت ، رجاء بن سلامة ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٨٧م ٠

📖 صاعد البغدادي حياته واثاره : عبد الوهاب التازي ، مطابع وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ، ١٩٩٣ م٠

📖 الصناعتين : أبو هـــــلال العسكري ، تح : علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦م ٠

📖صنعـــــة الرواية : بيرسي لوبوك ، تر :عبد الستـــــار جواد ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١م ٠

📖 الصوت الآخر(الجوهر الحواري للخطاب الادبي) : فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩٢م ٠

📖 طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي(٢٣١هـ) ، تح: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٧٤هـ ٠

📖 عـــــــالم الرواية : رولان بورنوف ، ريال اونيلية ، تر : نهاد التكرلي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٢ م٠

📖 عالـــم القصة : برنار دي فوتو ، تر: محمد مصطفى ، عالـــم الكتب ، القـــاهرة ، ١٩٦٩ م٠

📖 علم السرد : يان مانفريد ، تر : اماني ابو رحمة ، مراجعة : دريد سعيد ، مكتبة الجيل العربي ، بغداد ، ٢٠٠٩ م٠

📖علـــــــوم الحديث ومصطلحه : صبحي الصـــــالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ ٢٠٠٩ م٠

📖 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(٤٥٦هـ) ، تح :محمد عبد القادر احمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م ٠

📖 العنـــوان وسيموطيقا الاتصال الادبي : محمد فكري الجزار ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ٠

📖 عودة الى خطاب الحكاية : جيرار جينيت : تر :محمد معتصم ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م٠

📖 عيـــــار الشعر : احمد بن محمد بن طباطبا العلوي ، تح : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٥م ٠

📖 الغـــــائب دراسة في مقامات الحريري : عبد الفتاح كليطو ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط ٣ ، ٢٠٠٧م ٠

📖 الفضـــــاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا : ابراهيم جنداري ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠١م ٠

📖 فن الخـــبر الصحفي : عبد الجواد سعيد ربيع ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ٠

📖 فن القصـــــة : محمد يوسف نجم ، دار الشرق ،عمان ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ٠

📖 فن القصـــة القصيرة : رشاد رشدي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م٠

📖 الفن القصصي في النثر العربي : ركان الصفدي ، الهيأة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠١١ م٠

📖 فن كتابة الرواية : ديان داوت فاير ، تر: عبد الستار جواد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٨ م٠

📖 فوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ، تح: محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١م ٠

📖 في دلاليـــة القص وشعرية السرد : ســـامي سويدان ، دار الآداب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م ٠

📖 في الشـــعر الجـــاهلي : طه حسين ، دار الكتب المصـــــرية ، القـــاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٢م ٠

📖 في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد : عبد الملك مرتاض ، عـــــالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٨م ٠

📖 قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) : سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٧ م٠

📖 قاموس السرديات : جيرالد برنس ، تر : السيد امام ، ميريت للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م٠

📖 كتاب الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)،تح : عبد السلام محمد هارون ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٩م ٠

📖 كتاب الفصوص : صاعد البغدادي ، تح : عبد الوهاب التازي ، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ، ١٩٩٣م ٠

📖 الكتابة في درجة الصفر : رولان بارت ، تر : محمد نديم ، مركز الانماء الحضاري ، سوريا ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م٠

📖 الكفـــــاية في علم الرواية : الخطيب البغدادي ، دائرة المعارف ، الهند ، ١٩٣٨م ٠

📖 الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) : سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م ٠

📖 لسان العرب :جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تصحيح : امين محمد ،محمد الصادق ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، (د ٠ ت) ٠

📖 المبتدأ في قصص الانبياء : محمد بن اسحاق ، جمع وتوثيق :محمد كريم الكواز ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط ١، ٢٠٠٦ م٠

📖 المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة : عبد الله ابراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠م ٠

📖 المثل الســـــائر في أدب الب والشاعر :ضياء الدين نصر الله بن الاثير(٦٣٨هـ) ، قـــدّمه وعلق عليه : احمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، (د ٠ت) ٠

📖 مدارات نقدية : فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٧ م٠

📖 مدخل الى التحليل البنيوي للقصة : رولان بارت ، تر : منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري ، ط ١ ، ١٩٩٣م ٠

📖 مدخل الى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا : سمير المرزوقي ، جميل شاكر ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ١٩٨٦م ٠

📖 مدخل لجامع النص : جيرار جينيت ، تر : عبد الرحمن ايوب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٥ م٠

📖 مرايا نرسيس (الانماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة) : حاتم الصكر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٩م ٠

📖مروان بن أبي حفصة وشعره ، تح: قحطان رشيد التميمي ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٢م ٠

📖 مشكلة الزمن من الفلسفة الى العلم : أحمد دعدوش ، دار النقاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م ٠

📖 مصـــــــادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : ناصر الدين الاسد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٧٨ م٠

📖 المصطلحات الادبية الحديثة : محمد عناني ، الشركة المصرية العامة للنشر ، القاهرة ، ط ٣ ، ٢٠٠٣م ٠

📖 المصطلح السردي : جيرالد برنس ، تر : عابد خزندار ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ٠

📖 المعارف : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تح : ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م ٠

📖 معجم الادباء : شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت الحموي(٦٢٦هـ) ،تح :احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، ١٩٩٣م ٠

📖 معجم البلدان : شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت الحموي(٦٢٦هـ) ، تح : عبد الله بن يحيى السريحي ، المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ٠

📖 معجم الشعراء : أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني(٣٨٤هـ) ، تح : فاروق أسليم ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٥ م ٠

📖 معـجم المصطلحات الادبية المعاصرة : سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥ ٠

📖 معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤م ٠

📖 معجم مصطلحات نـــقد الروايــة : لطيف زيتوني ، دار النهار للنشر ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ٠

📖 معجم مصطلحات النقد العربي القديم : احمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ،ط ١ ، ٢٠٠١ م٠

📖 معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس(٣٩٥هـ) ، تح :محمد عبد السلام هارون ، دار الفكر ،بيروت ، ١٩٧٩م ٠

📖 معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) : عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ١٩٥٧ م٠

📖 المعجم الوسيــط : ابراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الاسلامية للطبـــــاعة والنشر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٢م ٠

📖 معـــــرفة علوم الحديث : أبو عبد الله النيسابوري ، تح : السيد معظم حسين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧م ٠

📖 من البنيوية الى الشعـــــرية : رولان بارت ، جيرار جينيت ، تر : غسان السيد ، دار نينوى للدراسات والنشر ، سوريا ، ط ١ ، ٢٠٠١م ٠

📖 منهـــاج البلغاء وسراج الادباء : أبو الحسن حازم القرطاجني(٦٨٤هـ) ، تح : محمد الحبيب ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٦م ٠

📖 موسوعـــة السرد العربي : عبد الله ابراهيم ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، بيروت ،ط ١ ، ٢٠٠٥م ٠

📖 نحو رواية جديدة : آلان روب جرييه ، تر : مصطفى ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ، (د٠ ت) ٠

📖 نـــــزهة النظر في شرح نخبة الفكر : احمد بن علي العسقلاني ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط ١ ، ١٩٨٩م ٠

📖 نسيج النص : الأزهر الزنـــاد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ م٠

📖 نظـــــرية الادب : رينيه ويلك ، اوستن ورين ، تر : محيي الـدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥ م٠

📖 النظريـــة البنـــائية في النقد الأدبي : صـــــلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م٠

📖 نظرية الســـــرد من وجهة النظـــر الى التبئير : جيرار جينيت وآخرون ، تر : ناجي مصطفى ، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٨٩م ٠

📖 نظـــرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس : تر : ابراهيم الخطيب ، مؤسسة الابحاث العربية والشركة المغربية للناشرين المتحدة ، بيروت ، ١٩٩٨م ٠

📖 نظريـــــــات السرد الحديثة : والاس مارتن ، تر : حياة جاسم ، الهيأة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ١٩٩٨م ٠

📖 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : احمد بن محمد المقري ، تح : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د ٠ت) ٠

📖 نقد الشعر : قـــدامة بن جعفر ، تح : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٥ ، (د ٠ ت) ٠

📖 النقـــد التطبيقي التحليـــلي : عدنان خـــالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م ٠

📖 الهوية والذاكرة الجمعية (اعادة انتاج الادب العربي قبل الاسلام ايام العرب انموذجا) : عبد الستار جبر، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٣ م ٠

📖 الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل الصفدي ، تح : جماعة فرانز شتاينز فيسباون ، ١٩٨٢م ٠

📖 الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي عبد العزيز الجرجاني ، تح :محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م٠

📖 وفيـــــات الاعيان وأنباء أبناء الزمان :أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، تح : احسان عباس ،دار صادر ، بيروت ، ط ٥ ،٢٠٠٩ م٠

📖 يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر: أبو منصور عبد الملك الثعالبي(٤٢٩هـ) ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ،مصر ، ١٣٧٧ هـ ٠

الرسائل العلمية:

📖 الاستهلال في شعر غازي القصيبي : البندري معيض عبد الكريم ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٣٤ هـ ٠

📖 البنية السردية في شعر نزار قباني : انتصار جويد عيدان ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ ٠

📖 الراوي والمروي له دراسة في البنية السردية في المملكة السوداء : هشام يونس ، رسالة ماجستير جامعة البصرة ، ١٩٩٩ ٠

📖 السرد عند الجاحظ (البخلاء انموذجا) : فادية مروان احمد ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤ ٠

📖 فن الخبر في كتاب لطف التدبير(دراسة وظائفية) : اشراق سامي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٦ ٠

📖 المسائل النحوية والصرفية في كتاب الفصوص : ابراهيم بن علي عسيري ، اطروحة دكتوراه ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٩ هـ ٠

📖 المقامات اللزومية لأبي الطاهر محمد السرقسطي (دراسة اسلوبية) : مي محسن حسين ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ ٠

الابحاث والدوريـــات :

📖 اثــر علماء الحديث في منهج البحث الادبي : احمد جاسم النجدي ، مجلة المورد ، مج ٧ ، ع ٢ ، ١٩٧٨ م ٠

📖 اثر مصطلح الحديث في حفظ ثقافة الامة الاسلامية : عماد الدين الرشيد ، مجلة التراث العربي ، ع ١١٥ ٠

📖 الاستهلال الروائي دينامية البدايات في النص الروائي : ياسين النصير ، مجلة الاقلام ، ع ١١ – ١٢ ، ١٩٨٦ م٠

📖 انماط التشكيل الحواري في رواية حكايتي مع رأس مقطوع : علي صليبي ، مجلة ديالى ، ع ٥٧ ،٢٠٠١ م٠

📖 بناء الحدث في شعر نازك الملائكة : نجوى محمد جمعة ، مجلة آداب البصرة ، ع ٤٤ ، ٢٠٠٧م ٠

📖 البنية السردية في زمن الخيول البيضاء : سوسن البستاني ، مجلة افكار ، ع ٢٧ ، ٢٠١٠ م٠

📖 البنية السردية للخبر في كتاب بلاغات النساء : عقيل عبد الحسين ، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الانسانية ، مج ٣٢ ، ع ١ ٠

📖 بنية المكان في فن فؤاد التكرلي : سليمان كاصد ، مجلة الاقلام ، ع ٤ ، ١٩٩٩م ٠

📖 تجليـــات المكـــان في رسالة الغفران : احمد زياد ، مجلة التراث العربي ، ع ٧٨ ، ٢٠٠٠ م٠

📖 تحقيق كتاب الفصوص لصاعد البغدادي قراءة في المنهج : محمد رضوان الداية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٧١ ، ع ٢ ٠

📖 تداخل الاجنـــــــاس وهيمنة السرد على الشعر : عبد الرحيم مراشدة ، جريدة الدستور ، ع ٧٨٦ ٠

📖 جماليات الاستهلال في مواقف النفري : ابراهيم الحمداني ، عامر جميل ، مجلة التربية والعلم ، مج ١٤ ، ع ٤ ، ٢٠٠٧ م٠

📖 جماليات التشكيل الروائي في رواية شواطئ الدم : رمضان علي ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، مج ١٨ ، ع ١٠ ، ٢٠١١ م٠

📖 الحوار في مقامات الهمداني : فادية مروان احمد ، مجلة التربية والعلم ، مج ١٨ ، ع ٤ ، ٢٠١١ م٠

📖 الزمـــان والمكان في قصة العهد القديم : احمد عبد اللطيف ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٦ ، ع ١٣ ، ١٩٨٥ م٠

📖 الزمن في رواية المنزل الخشبي وطيور مسعود : نبهان حسون ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، مج ١٢ ، ع ١ ، ٢٠١٢ م٠

📖 السارد في السرديات الحديثة : نجاة وسواس ، مجلة المخبر، ع ٨ ، ٢٠١٢م ٠

📖 السرد العربي القديم البنية السوسيوثقافية والخصوصيات الجمالية : عبد الوهاب شعلان ، مجلة الموقف الادبي ، ع ٤١٢ ، ٢٠٠٥م ٠

📖 الشخصـــية في القصة : جميلة قيسمون ، مجلة العلوم الانسانية جامعة باتنة ، ع ١٣ ، ٢٠٠٠م ٠

📖 الشخصية القصصية وامكانية التخييل : سوسن هادي ، مجلة كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل ، ع ٩ ، ٢٠١٢ م٠

📖 الصيغـــة والزمن في الرواية ، جورج واتسن ، تر : عباس العويني ، مجلة الاقلام ، ع ١١ -١٢ ، ١٩٨٦ م٠

📖 فن الخبر في تراثنـــا القصصي : شكري محمد عياد ، مجلة فصول ، مج ٢ ، ع ٤ ، ١٩٨٢ م٠

📖 فن الخبر في التراث النثري القديم المفهوم والتطور : حنان المراعي ، مجلة الرافد ، ع ١٠٩ ، ٢٠١٠ م٠

📖 القصة القصيرة وقضية المكـــان : سامية سعيد ، مجلة فصول ، مج ٢ ، ع ٤ ، ١٩٨٢ م ٠

📖 المتكلـــم في الخطاب الروائي : ابـــراهيم جنداري ، مجلة ثقـــافات ، ع ١٣ ، ٢٠٠٥م ٠

📖 مصطلحات تراثية للقصة القصيرة عبد الله ابو هيف ، مجلة التراث العربي ، ع ٤٨ ، ١٩٩٢م ٠

📖 المكان في الرواية بين تقانة الوصف وتقانة السرد : احلام كامل ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، مج ١٦ ، ع ١٠ ، ٢٠٠٩ م٠

📖 المكونات السردية للخبر الفكاهي دراسة في اخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي : عبد الله محمد عيسى ، مجلة التراث العربي ، ع ٩٠ ، ٢٠٠٣م ٠

📖 الموصل فضاءا روائيا : ابراهيم جنداري ، مجلة الاقلام ، ع ٧ – ٨ ، ١٩٩٢م ٠

📖 الوصف في رواية قصر على النيل لثروت اباضة : مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، مج ١٢ ، ع ٣ ، ٢٠١٢م ٠